ردمد ٣٥١٥-١٦٥٨
ISSN.١٦٥٨-٣٥١٥
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠



قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً .
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A٤) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٨) وخط الهامش (١٤)، ونوع الخط (Arabic Traditional).
- أن تكون هوامش الصفحة من الأعلى والأسفل واليسار ٢,٥سم ومن اليمين ٣,٥سم.
- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف .

- يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.
- تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على الموقع الإلكتروني للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بعد إجازته للنشر.
- أن تكون المراسلات عبر البريد الإلكتروني.
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم

رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية – الرياض

ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤

هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥

البريد الإلكتروني: **quranmag@gmail.com**

عنوان الجمعية

ص – ب: ١٧٩٩٩ – الرياض – ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ – ٢٥٨٢٧٠٥

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحرير

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله ، وأصحابه ، وأزواجه ، وأتباعه ، إلى يوم الدين.

وبعـــــــــد:

فتسعد هيئة تحرير مجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه «تبيان»، أن تقدم عددها الجديد (العدد الحادي عشر) لعموم القراء المكرمين وخصوص الباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية، والمتابعين لها، حيث تسعى المجلة بدأب وحرص على أن تقدم لقرائها الجديد، والمفيد من البحوث والدراسات القرآنية ، التي تخدم تخصصها وتنفع به متابعيها وقراءها، وتدفع بالبحوث والدراسات إلى مزيد من العمق في البحث والدرس والجدة في الموضوعات والمسائل؛ لتسهم مع وصيفاتها ومثيلاتها - من المجلات الجادة والمحكمة الصادرة عن الجامعات، والجمعيات، ومراكز البحوث - في خدمة الباحثين ومعالجة مسائل التخصص، وقضاياه بدقة وعمق.

ويأتي هذا العدد بالعديد من الموضوعات المتنوعة، والقضايا المختلفة؛ لتشبع رغبة القراء المتجددة .

ولازلنا وسنظل ندعوا الباحثين إلى حسن اختيار الموضوعات، وعمق الدراسات، والفاحصين إلى بذل الجهد والحرص في التقويم والتقييم، وهو

ما نظنه فيهم، ونأمله منهم؛ لتتقدم مجلتهم وجمعيتهم في ميدان المنافسة الشريفة في خدمة كتاب الله ومايتصل به من علوم ودراسات.

وبمناسبة صدور هذا العدد (الحادي عشر) يسعدني شكر الزملاء أعضاء هيئة تحرير المجلة على مابذلوه من جهد وقدموه من نصح للرقي بالمجلة لتحتل مكانتها المناسبة واللائقة بين مثيلاتها من المجلات العلمية الجادة .

والشكر موصول لمعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور/ سليمان بن عبد الله ابا الخيل على تشجيعه للمجلة ودعمه للجمعية.

ولايسعني إلا أن اتقدم بالشكر والدعاء لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز على مايبذلونه ويقدمونه من دعم وتشجيع لكل المناشط العلمية في المملكة العربية السعودية.

حفظ الله الجميع وسدد خطاهم لكل خير وفضل.

رئيس هيئة تحرير المجلة

أ . د / محمد بن عبد الرحمن الشايع

المحتويات

اتجاهات التفسير في أوربا في القرن الرابع عشر الهجري

الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن عند علماء الألبان - الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي أنموذجًا

(دراسة تحليلية نقدية لمنهجه في التفسير)

تأليف

د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)

د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)

- أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر.
- ماجستير في التفسير والدراسات القرآنية – كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية – كوالالمبور – ماليزيا بأطروحته منهج الأستاذ سيد قطب في فهم آيات الدعوة – دراسة تحليلية نقدية في تفسير في ظلال القرآن – سورة الأنعام نموذجاً.
- دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية – كوالا لمبور – ماليزيا ، بأطروحته: الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث، القرن التاسع عشر والعشرون.
- عضو في الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه.

Kur'ani – Perkthim me Komentim ne Gjuhen Shqipe

Perktheu dhe Komentoi:
H. Sherif Ahmeti

(القرآن – ترجمة و تفسير معانيه إلى اللغة الألبانية) [1]

بقلم:

الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي رحمه الله

(١) تشرف بالأمر بطباعة هذا المصحف الشريف و ترجمة معانيه و تفسيره إلى اللغة الألبانية، خادم الحرمين الشريفين " الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود"، ملك المملكة العربية السعودية عام ١٤١٣ هـ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وتمت طباعته في مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وجعله هدىً ورحمة للذين يتلونه حق تلاوته بكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير محمد بن عبد الله، الذي نزل عليه القرآن ورَتَّله ترتيلاً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الكرام الذين حفظوا القرآن ونقلوه لنا جملة وتفصيلاً، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وجاهد بالقرآن جهادًا كبيرًا. أما بعد:

الحمد لله الذي شرفنا بخدمة القرآن تعلمًا وتعليمًا، وتبيينًا لفضائله ومزاياه، وترجمة لمعانيه وإجلاء لأسراره ودرره، ووفقنا لدراسة جهود السابقين من العلماء الربانيين، الذين قضوا نحبهم في خدمة القرآن تلاوةً وحفظًا وتفسيرًا. فلله الحمد والمنة.

لقد كشف الباحثون والعلماء النقاب عن دور وجهود علماء الألبان في العصر الحديث في خدمة القرآن الكريم، فكان لزامًا علينا القيام ببيان ودراسة تلك الجهود المباركة، وإدراجها في سلسلة حلقات جهود العلماء السابقين العلمية المشكورة في خدمة القرآن الكريم.

لقد شاء الله بحكمته أن أتشرف في رسالتي للدكتوراه، الموسومة بـ: **(الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث – القرن التاسع عشر والعشرين)**، أن أتناول جهود أكثر علماء الألبان في العصر الحديث وإبراز جهودهم المضنية في خدمة القرآن

الكريم، ودراسة أفكارهم واتجاهاتهم المذهبية والفكرية في التفسير. فقد تناولت فيها بالدراسة والتحليل أربع شخصيات علمية ألبانية بارزة، وهم: الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، **رائد الاتجاه العقدي الماتريدي** في التفسير، والشيخ الحافظ علي كورتشا، **رائد الاتجاه الإصلاحي** في التفسير، والشيخ حسن تحسين، **رائد الاتجاه العلمي الفلسفي** في التفسير، رحم الله عز وجل هؤلاء الثلاثة السابقين، والدكتور علي فخري إلياسي حفظه الله تعالى، **رائد الاتجاه العلمي التجريبي** في التفسير.

وأما هذه الدراسة التي بين أيديكم، فقد كانت بذرة قمت بزرعها في كوالا لامبور بماليزيا، ولم يكتب لها رؤية النور والنضج والاستواء إلا في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فهي لبنة جديدة في دراساتي السابقة حول جهود علماء الألبان في الدراسات القرآنية في أوربا. أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل منا صالح الأعمال وألا يحرمنا من الدراسات والبحوث الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم، سواء لعلماء الألبان أم لغيرهم، إنه تعالى أكرم مسئول وخير مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد : انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية

لقد كان للإسلام و لجهود الدولة العثمانية في نشر هذا الدين الحنيف وتعزيزه بين أوساط الألبان في الأراضي الألبانية في أوربا فضل عظيم في الحفاظ على هويتهم الدينية و العرقية، فوجود الدولة العثمانية أوقف عملية الانصهار القومي والعرقي والديني للألبان الذين كانوا يتعرضون لها أمام السلافيين من الصرب واليونانيين والبلغاريين المتعصبين[١]. ومعلوم أن الدولة العثمانية لم تمارس عملية الإكراه على إجبار الألبان للدخول في الإسلام، فالألبان كانوا يدخلون في دين الله طواعية وعن طيب نفس منهم، بينما الصرب الأرثودكس كانوا يمارسون شتى الضغوط والأساليب والممارسات القمعية لإجبار الألبان على اعتناق النصرانية [٢].

والغريب أنك تجد اليوم جمهور المثقفين الألبان وباحثيهم في العصر الحديث يعتقدون ويدرِّسون الطلاب في الجامعات الألبانية خلاف ما هو ثابت تاريخياً، حيث يرى هؤلاء أن الإسلام انتشر عنوة وبالسيف، وأن العثمانيين مارسوا العنف والإكراه، و إلا لم يكن الألبان ليسلموا عن طيب نفس منهم !! ولا شك أن هذه مغالطة تاريخية باطلة، وفكرة صليبية

---

(١) للتوسع انظر:

P.Alpan Kaci, Nesim, **Shqiptaret ne perandorine Osmane**, Albin,Tirane, ١٩٩٧, ٣٥،٤١،١٢٥; Frasheri Sami, **Shqiperia c'ka qene**, **c'eshte**, **e c'do behete**, ٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧١-٤٧٢

كاثوليكية ألبانية، يريد إحياءها بعض الذين يتعاونون مع بعض الجهات الأوربية التنصيرية والتبشيرية، بهدف ارتداد الألبان عن الإسلام، والعودة إلى الديانة الكاثوليكية.

النزعة التجديدية عند الألبان

كانت رياح الفكر الديني الإصلاحي تهب من المشرق العربي متجهة إلى العالم الإسلامي وأيضًا إلى الأراضي الألبانية والبوسنية[١] في جزيرة البلقان في أوربا. طلبة العلم الألبان كانوا يتجهون إلى المشرق العربي وإلى بعض البلاد الآسيوية كالهند وتركيا، لتعلم العلوم الدينية المختلفة لكون تلك البلاد مراكز عالمية للعلم والثقافة في ذلك الوقت [٢]. ومع مرور الزمن تشكلت علاقات أخوية دينية بين هؤلاء الطلاب الألبان

انظر: الأرنؤوط، محمد موفاكو. ١٩٩٣. **الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو.** (عمان: دار البشير، ط.د).، و انظر أيضًا:

Karcic, Fikret, **Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma - Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka**, Sarajevo, ١٩٩٠, ٢٩-٦٧.

(٢) انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, **Kombesia dhe feja ne Shqiperi**, ٢٠٩; Pirraku, Muhamed, **Kultura kombetare shqip***tare*.. ٣٩٣.

وأساتذتهم، حيث تزامنت هذه العلاقة مع الفترة التي نادى فيها بعض العلماء والمفكرون الإسلاميون المتأثرون بالمناهج والأفكار الغربية [1] بإجراء إصلاحات تعليمية حول المناهج الدراسية الأزهرية و إعادة النظر في بعض القضايا الدينية، وعلى رأسها قضية تحرير المرأة المسلمة وحالتها الاجتماعية [2].

إن نظرة عابرة وفاحصة لحركة فلسفة الفكر الديني الإسلامي في الأراضي الألبانية في أوربا، وإلى طبيعة الجدال والنقاش الحاد الذي كان يدور بين علماء الألبان المنادين بالإصلاح و بين المحافظين منهم، تجعلنا أن نجزم بأنهم كانوا مهتمين أيضاً بهذه القضايا الدينية التي شغلت الساحة

(١) حول جهود و أعمال هؤلاء المفكرين و المشايخ، مؤسسو المدرسة الإصلاحية فقد كُتب الكثير، و نال هؤلاء اهتمام كثير من الباحثين الغربيين و المسلمين.. انظر مثلاً دراسة أ.د. الرومي، فهد بن عبد الرحمن: **منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير**، (الرياض: ط١، ١٩٩٤)، وانظر أيضاً:

Crecelius, Daniel Neil, **The Ulema and the state in modern Egypt**, Princeton, N.J, Princeton University Press, ١٩٦٧, Ph.D. thesis; Jansen, J.J.G, **The interpretation of the Koran in modern Egypt**.

(٢) حول تاريخ التجديد الفكر الديني و إصلاحه وبعض المجددين الكبار من السلف والخلف..انظر:

Maududi, Abul AﷻLa, **A short history of the Revivalist Movement in Islam**, transl. by Al-Ashﷻari,The Other Press, Petaling Jaya, K.Lumpur, Malaysia, ١٩٩٩, ٢٤ –٧٧.

الفكرية في العالم العربي والإسلامي.

ومن القضايا العصرية الأخرى التي ناقشها العلماء الألبان في بدايات القرن العشرين في أوربا، حيث الشيوعية والإلحاد في أوجها؛ كانت قضية الاجتهاد ومجالاته وضوابطه [1]، ومسألة وجود الله عز وجل والحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والحضارة الإسلامية ومواجهة التحديات الغربية وحقوق الإنسان في المجتمع، وقضية العلمانية، والتسامح الديني والتعايش السلمي بين أتباع الأديان والعرقيات المختلفة، وقضية الإلحاد والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية وغيرها من القضايا الفكرية الساخنة التي كانت في عهدهم [2].

---

(١) راجع: **الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية**، للإمام الشاطبي، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة، ط٤، ١٩٩٩)، ج٤، ص ٤٦٣-٦٣٨.

(٢) راجع على سبيل المثال المجلة الإسلامية الشهيرة الأخرى بعنوان: (**Kultura Islame**)، **الثقافة الإسلامية**، والتي كانت تصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والتي أتيت بها من ألبانيا، و قد صورت جملة من الأعداد المختلفة فيها مواضيع مختلفة، راجع مثلاً العدد: ٣-٤، نوفمبر و ديسمبر، ١٩٤١م، مقالاً بعنوان: (**Islami eshte gjalle**)، (**الإسلام لا يزال حيًا**).

رواد الاتجاه الإصلاحي التجديدي عند الألبان:

وأبرز الذين ناقشوا هذه المسائل من علماء الألبان ومفكريهم نذكر على سبيل المثال: المفكر الألباني الشهير مهدي فراشري: (Mehdi Frasheri)[١]، والمفكر الشيخ الحافظ عصمت دِبْرا: (Hafiz Ismet Dibra) ..[٢]، والعالم الألباني المجدد الحاج وهبي دِبْرا [٣]، (Haxhi Vehbi Dibra)، والأستاذ الشيخ قدري Hoxhe Kadriu))[٤]، والشيخ المفكر الحافظ[٥] علي كرايا، (Hafiz Ali Kraja)، والشيخ المفكر الحافظ علي

(١) انظر: تطور الثقافة الإسلامية عند الألبان في القرن العشرين باللغة الألبانية:

Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures islame te shqiptaret gjate shekullit XX**, ٣١٢-٣١٤.

(٢) انظر للتوسع النقاش الذي جرى بينهما:

Basha, Ali.M, **Islami ne Shqiperi gjate shekujve**, ١٤٠-١٤١.

للمزيد انظر:

Xhelili, Qazim, **Vehbi Dibra – personalitet dhe veprimtar i shquar ilevizjes kombetare**, Albin, Tirane, ١٩٩٨, ٤-٢٠; Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX**, ٢٨٨-٢٩١.

(٤)..للتفاصيل انظر:

Skendi, Eqber, **Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina**, Rilindja, Prishtine, ١٩٩٢, ٨-٢٠, ٢١٧-٢١٩; Morina, Qemajl, **Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam**, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, ٢٠٠٠آ٧-٩٧.

(٥) للمزيد انظر:

=

كورتشا Hafiz Ali Korca، و غيرهم كثير، رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

وبناء على هذه المناقشات العلمية الحادة بين المحافظين والإصلاحيين الألبان، فإن التيار الإصلاحي بدأ يتقوى ويؤثر في الرأي العام بشكل ملحوظ وكبير للغاية، مما أدى بالمشيخة الإسلامية العليا وهي أكبر مؤسسة دينية إسلامية في ألبانيا إلى الإعلان والتصريح في قرارها رقم: ٢، سنة ٠١-٠٣-١٩٣٧ بإلغاء الحجاب، والسماح بكشف الوجه واليدين وجواز ممارسة نشاطها في الحياة الإنسانية العامة. و تشير المصادر التاريخية إلى أن اتجاه التفسير الإصلاحي والاجتماعي السياسي للقرآن كان ظاهرة حاضرة في كتابات وكلام وخطب علماء الألبان في ذلك العصر.

بجانب هذا التيار الاجتماعي في التفسير، وجد أيضاً اتجاه صوفي [1] في بعض تفاسير علماء الألبان.

ومن الاتجاهات التفسيرية التي ظهرت في العصر الحديث لدى علماء الألبان كان الاتجاه العلمي الفلسفي المتمثل في فكر الشيخ الفيلسوف

= Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures islame nder shqiptaret**..٣٢٨-٣٢٩

(١) المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥، و انظر للتوسع في القضايا الصوفية الكبيرة كتاب: **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، د.عرفان عبد الحميد فتاح، ص ١٧٥-٢٤٩، ونحن بإذن الله تبارك وتعالى سنقوم بدراسة هذا الاتجاه والاتجاه الآخر الاستشراقي عما قريب إن شاء الله تعالى.

حسن تحسين أفندي (Hoxha Hasan Tahsin Efendiu)، كما ظهر أيضاً في كتابات ودراسات علماء الألبان في العصر الحديث الاتجاه العلمي التجريبي في التفسير المتمثل في فكر الدكتور الطبيب الاستشاري علي فخري إلياسي Prim.Dr.Sci.Med. Ali Fahri Iljazi . والساحة العلمية والفكرية في الأراضي الألبانيةكانت مليئة بالأفكار الإصلاحية والتجديدية[1].

في ظل هذه الظروف والأجواء الاجتماعية الدينية المتوترة بدأت تظهر ترجمات مجزأة[2] لنصوص القرآن الكريم. فوجد في المجتمع الألباني من

---

(١) انظر للتوسع حول هذه الموضوعات:

Morina, **Qemajl**, **Hoxhe Kadri Prishtina – Mendimtar Islam**, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, ٢٠٠٠, ٢٥-٣٥, ٣٧-٤٨, ٦٣-٦٧.

وحول بعض القضايا الفكرية و المذهبية الأخرى و المتشابهة بتلك التي ذكرنا، انظر:

بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، الذي عقد في استنبول سنة ١٩٩٢م، ترجمة أرخان محمد علي، ، . ٥٥-٨٣ط١، ، Yeni Bosna, Nesil Basim-Yayin ١٩٩٧Istanbul,

(٢) حول جواز ومنع ومشاكل وضوابط الترجمة للقرآن الكريم انظر أبحاث الأساتذة الكرام: د/ سعاد يلدريم، و د/ عبد القهار العاني، و د/ حبيب الرحمن إبرمسا في المؤتمر العالمي حول ترجمة القرآن الكريم المنعقد في كوالا لمبور بماليزيا:

٧th International Conference on Translation –The Translation of Religious Texts, ٦-٨ December, ١٩٩٩,

=

فسر ثلث القرآن الكريم تفسيرًا علميًا منهجيًا، مثل تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو رحمه الله: (Hafiz Ibrahim Dalliu). (**خلاصة أو صفوة معاني القرآن الكريم**)، كما أنه وجدت هناك تفاسير مطولة لبعض الآيات والسور لبعض العلماء الآخرين، مثل التفسير المطول لسورة الفاتحة من الشيخ المفكر: (Haxhi Vehbi Dibra Agolli)، الحاج وهبي دبرا آغولي، والتفسير الوجيز من الشيخ الحافظ علي كورتشا: (Hafiz Ali Korca)، وترجمة معاني القرآن والتفسير المختصر الذي نحن بصدد دراسته للشيخ الحاج شريف أحمدي: (Haxhi Sherif Ahmeti) رحمه الله تعالى، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم[1].

= Kuala Lumpur, Malaysia, ١٠١-١٠٦, ٢٩٣-٣١٥, ٣١٩-٣٥٥.

(١) و تشير بعض المصادر التاريخية الأخرى إلى أن أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الألبانية كانت من اللغة الإنكليزية (ترجمة (George Sale على يد مستشرق مسيحي ألباني اسمه: Ilo Mitko Qafzezi في المهجر في رومانيا، فظهر المجلد الأول عام ١٩٢١م، ثم بعد ست سنوات ظهر المجلد الثاني عام ١٩٢٧م.

وحول الخلفية التاريخية لترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية، كاملة و مجزأة..انظر دراسة الأستاذ الدكتور فتحي مهديو بعنوان:

Mehdiu, Feti; **Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe**, Logos-A,Shkup, ١٩٩٩،، و بحث الأستاذ المؤرخ الألباني غازمند شبوزا حول الترجمات الكاملة و المجزأة للقرآن الكريم عند الألبان بعنوان:

Shpuza, Gazmend, **Kur'an ne gjuhen shqipe**, ١٩.٠٦.٢٠٠٥ , Instituti i Historise.

هـذه مقدمـة هامـة عـن اتجاهـات التفـسير في أوربـا وبالـذات في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية أحببنا من خلالها أن نمهـد لهـذه الدراسـة التـي بين أيديكم حتى تكون حلقاتها متـصلة مـع بعـضها وصـلى الله عـلى سـيدنا ونبينا محمد وعلى آله و أصحابه.

الفصل الأول:

التعريف بهذا التفسير المختصر

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالشيخ المفسر رحمه الله.

المبحث الثاني: التعريف بهذه الترجمة و هذا التفسير.

المبحث الثالث: معالم منهج المفسر – مقدمات هامة عن القرآن الكريم

المبحث الأول: التعريف بالشيخ المفسر رحمه الله

مولده، تعلمه، أعماله و وفاته:

ولد الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي في قرية غمناسيلا Gumnaselle محافظة لِبْيان Lipjan في كوسوفا الحالية عام ١٩٢٠م. تخرج من المدرسة الابتدائية في قرية أخرى تسمى بانول Banulle . أنهى الثانوية الشرعية(**علاء الدين**) في بريشتنا Prishtina – عاصمة كوسوفا عام ١٩٤٤ . و في عام ١٩٦٥م انضم إلى سلك التدريس في نفس الثانوية الشرعية التي تخرج منها. وفي عام ١٩٧٠ عُيّن مديراً لها إلى عام ١٩٨٤م. و في سنة ١٩٨٥م عُيّن مفتياً عاماً في كوسوفا. ظل على منصب الإفتاء إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة ١٩٩٠م، و بمناسبة افتتاح أول كلية للدراسات الإسلامية في عاصمة كوسوفا- برشتنا، انتدب الشيخ شريف أحمدي إليها للتدريس.

اشتهر رحمه الله باهتمامه الكبير في حضور حلقات ومجالس العلم للعلماء، فقد حضر دروس الشيخ أحمد ماردوكي Ahmet Mardoki في المدرسة الدينية بيريناز: Pirinaz في بريشتينا، و لازمه لمدة عشر سنوات، وحصل على الإجازة العالية منه. ومن الثابت واللافت للنظر أن الشيخ رحمه الله لم يتتلمذ بين يدي الأساتذة والمدرسين العرب ولم يدرس في الدول العربية قط، ولم يتخرج من الجامعات العربية والإسلامية، وهو مع ذلك استطاع أن يمسك بزمام اللغة العربية من خلال الحلقات العلمية التي كان

يحضرها للمشايخ و العلماء الألبان، فوفقه الله عز وجل وفتح عليه في العلوم الدينية والشرعية والعربية، مما أهله ذلك إل القيام بمشروع تفسير القرآن الكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم.

أعماله:

في سنة ١٩٦٨م ترجم من اللغة البوسنية إلى اللغة الألبانية الكتاب الإسلامي المشهور بعنوان: (**علم الحال**: Ilmihali)[1]. عُيِّنَ مديراً لتحرير المجلة الإسلامية المشهورة بعنوان: Edukata Islame – **التربية الإسلامية**)، وكانت له مقالات وبحوث متسلسلة في هذه المجلة. ظل مديراً لها إلى عام ١٩٨٣م. ثم ترجم وفسر سورة يس إلى اللغة الألبانية، وفي عام ١٩٨٧م سلم إلى المطبعة ترجمة القرآن الكريم مع تفسيره المختصر. طُبع من هذا المصحف المفسر في ليبيا: ٥٠،٠٠٠(خمسون ألف نسخة)، وفي القاهرة: ٣٠،٠٠٠(ثلاثون ألف نسخة)، و أخيرًا في المدينة المنورة: ١،٠٠٠،٠٠٠ (مليون نسخة).

وفاة الشيخ و ثناء الآخرين له:

انتقل الشيخ المفسر الحاج شريف أحمدي إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٩٨م، واجتمع العلماء وطلبة العلم الشرعي لشييع جنازته والصلاة عليه من كافة مدن كوسوفا وحضر حشد كبير من الناس للصلاة عليه

(١) هذا الكتاب كتاب منهجي ديني إسلامي، فيه المبادئ الإسلامية العامة. بهذا الكتاب بدأ الجيل الجديد من الصبيان رحلته إلى الإسلام، فهو كتاب مهم و مشهور و معروف لدى الألبان و البوسنيين والأتراك.

وتشييع جنازة هذا العالم والأستاذ الكبير، وصُلِّي عليه في المسجد الكبير في العاصمة بريشتنا. حضر جنازته وفود رفيعة المستوى من مقدونيا وسنجق ومدراء المدارس الحكومية وغيرهم، وكانت لهم كلمات خالدة بهذه المناسبة، حيث أثنوا على الشيخ وذكروا مناقبه وجهوده العلمية التي امتاز بها المرحوم. لقد امتاز الشيخ المرحوم بمواقفه القومية والدينية ضد النظام الشيوعي الصربي اليوغوسلافي. كما كان له دور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية الألبانية والهوية القومية الألبانية من الانصهار والذوبان أمام المخططات والمؤامرات الشيوعية الصربية، وذكر بعض الحاضرين بمواقف الشيخ الشجاعة والباسلة في عدم جواز هجرة المسلمين الألبان إلى تركيا حتى لا تخلوَ الأرض للصرب الحاقدين والعنصريين..[1]. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) هذه الترجمة لحياة الشيخ نقلتها من آخر كتاب صدر من بعض تلاميذ الشيخ الحاج شريف أحمدي، حيث قام هؤلاء بجمع مقالات وآرائ وأعمال أستاذهم ولكنهم لم يوفقوا لجمع كافة الأعمال، والشيخ رحمه الله كان يتمنى أن تجمع و أن تنشر كل أعماله في هذا الكتاب، و لعل تلامذته المخلصون يدركون تقصيرهم، ويوفون بعهدهم و ينفذون وصية شيخهم وأستاذهم و يستدركون القراء بإصدار كتاب آخر قد جمعوا فيه كل أعمال الشيخ رحمه الله تعالى، لأن المسلمين الألبان بحاجة ماسة إلى تلك الأعمال والبحوث العلمية والدينية. طبع هذا الكتاب سنة ١٩٩٥م بعنوان: **Komente dhe Mendime Islame** (**تعليقات ووجهات نظر إسلامية**). وانظر أيضاً المجلة الإسلامية الألبانية: **Dituria Islame** (**العلم الإسلامي**)، و المجلة: **Perpjekja Jone**(**محاولتنا**)، ص: ١٩٩- ٢٠٤

المبحث الثاني: التعريف بهذه الترجمة و هذا التفسير

تقع هذه الترجمة للقرآن الكريم مع تفسيرها المختصر في ٧٦٧ صفحة، من الحجم الوسط: ٢١.٥ x١٣.٥. استهل هذا التفسير بمقدمة من قبل رابطة العالم الإسلامي باللغة العربية بتعاون مع المجمع لطباعة المصحف الشريف، جاء فيها بعد البسملة قوله تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾، [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ [النساء: ٨٢)، وقول النبي ﷺ **" خيركم من تعلم القرآن و علمه"** [(١)].

جاء فيها أيضًا الثناء العطر للجهود الجبارة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين واهتمامه البالغ بطباعة وترجمة المصحف الشريف ونشره إلى كافة أنحاء العالم. لقد أثبتت الرابطة ضرورة ترجمة القرآن الكريم وتفسيره ونشره إلى كافة اللغات العالمية، ومنها اللغة الألبانية. وبما أن الكمال المطلق لله تعالى، فإن تفسير وترجمة هذا المصحف الشريف جاء في حدود الطاقة

(١) **صحيح الإمام البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه و أيامه**، تحقيق: محمد نزار تميم & هيثم نزار تميم، شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الحديث رقم: ٥٠٢٧، ص: ١١٠٨

العلمية لهذا العالم الجليل الشيخ المفكر شريف أحمدي، وبناء عليه فإنه قد يصيب وقد يخطئ، ذلك، لأن الترجمات القرآنية مهما بلغت ذروتها في الدقة والتعبير فإنها لا يمكن أن تصل إلى المقاصد العليا لنص القرآن الكريم.

المبحث الثالث: معالم منهج المفسر - مقدمات هامة عن القرآن الكريم

لقد ذكر المفسر الشيخ شريف أحمدي رحمه الله في مقدمته موقفه تجاه بعض القضايا القرآنية المهمة. هذه المسائل المهمة وموقف الشيخ منها تعتبر من معالم منهجه واتجاهه في التفسير، فكان لزاماً علينا أن نتطرق إليها ونذكر منهج المفسر من بعض القضايا العلمية المتعلقة بعلوم القرآن، ونكون بذلك قد سلطنا مزيداً من الضوء على فكر ومنهج الشيخ رحمه الله تعالى. لقد استهلت هذه المقدمة من قبل الشيخ بعنوان: Veshtrim Rreth Kur'anit (**نظرة عامة حول القرآن الكريم**)، فمن المسائل التي ناقشها:

١- الوحي: المفهوم و المصطلح

بين فيها المفسر أن القرآن الكريم كلام رب العالمين بلا نزاع، أوحي إلى خاتم الأنبياء والرسل بواسطة جبريل، [(١)] - عليه السلام -، المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبتدأ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس. ثم عقب بذكر بعض خصائص القرآن الكريم، ومنها: أن القرآن الكريم ليس من صنع وإنتاج عقل البشر، وأنه كلام الله عز وجل، منطوق وبلغة عربية، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) من الملحوظات الدينية على فضيلة المفسر الشيخ الحاج شريف أحمدي رحمه الله، هي أنه كلما ذكر اسم نبينا محمد ﷺ و اسم جبريل عليه السلام فهو لم يعقب بالصلاة والسلام عليهما. وقد حثنا الرسول صلى الله عليه و سلم على الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه.

نَزَلَ ﴿١٩٢﴾ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ ﴿١٩٣﴾ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾، [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾، [النمل: ٦]

ثم إنه -رحمه الله- فنّد مزاعم بعض المستشرقين ومن نهج نهجهم، القائلين إن جبريل عليه السلام بلّغ النبي ﷺ معنى القرآن الكريم فقط، وليس الألفاظ، وأن محمداً ﷺ هو الذي عبر عن ذلك المعنى بألفاظ من عنده ؟! فعقب الشيخ قائلاً بأن هذه الشبهات باطلة ولا أساس لها، لكونها تتعارض مع صريح القرآن والسنة النبوية والإجماع، وأنه ما كان لإعجاز القرآن البياني واللغوي أن يتحقق لوكانت ألفاظه من عند النبي ﷺ أو من عند جبريل عليه السلام، والله يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾، [التوبة: ٦] . فالشيخ رحمه الله- أثبت فيها أن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله عز وجل.

ثم تطرق الشيخ شريف أحمدي إلى موضوع الوحي وتعريفاته وأنواعه وكيفية نزوله مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الشورى: ٥١]، وذكر معاناة الرسول ﷺ أثناء تلقيه الوحي والطريقة التي كان يأتيه بها الوحي.

ثم تطرق إلى المصدر التشريعي الثاني، السنة النبوية المطهرة. حيث أثبت حجيتها وأطلق عليها: الوحي بالنفخ في الروع. فالسنة هي وحي من الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾، [النجم: ٣-٤].

٢- موضوعات القرآن الكريم ومحتوياته

ذكر- رحمه الله- عند حديثه عن محتويات القرآن الكريم وموضوعاته أن القرآن الكريم كتاب دين وتربية دائمة، وكتاب هداية ورحمة للفرد والمجتمع الإنساني كله. هذا الكتاب ينمي روح السلام بين الناس و يحثهم على الارتقاء الحضاري والسمو الروحي، ويمتاز بالشمولية في الأحكام والمبادئ، كما أنه يهدف إلى الإصلاح الاجتماعي. فمن الناحية الدينية اشتمل القرآن الكريم على عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح بالله الواحد الأحد جل جلاله، والإيمان بالملائكة، والكتب واليوم الآخر. ومن الناحية العلمية اشتمل على دعوة للبحث والتدبر للمخلوقات والكائنات التي خلقها الله عز وجل في هذا الكون، بغية التوصل إلى أسرارها الناطقة بعظمة الله تعالى والدالة على قدرة الله عز وجل. أما من الناحية التاريخية فقد قصّ علينا قصص الأمم السابقة وأخبارهم لغرض الاعتبار والاتعاظ والاهتداء. و أما عن سرّ كون تلك الكتب والشرائع السابقة مؤقتة، فإنها كانت تهدف إلى تهيئة وإعداد تلك الأمم والشعوب على معرفة الله عز وجل والإيمان به، ولقبول آخر كتاب منزل شامل ودائم [١]، صالح لكل زمان

(١) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١٣-١٤

ومكان.

٣ - إعجاز القرآن الكريم

أكد الشيخ المفسر فيها عن كون القرآن الكريم معجزة دائمة وباقية، لأنه كلام الله، والكلام صفة من صفات الله عز وجل، ومن شأن تلك الصفة الديمومة...فكل نبي أو رسول كانت له معجزته الخاصة به، والكتاب المنزل عليه كان يمثل منهجه العملي. وأما معجزة نبينا محمد ﷺ (القرآن) فهو في آن واحد منهج ومعجزة... و لكي يتحقق إعجازه فإن نصه يجب أن يحفظ بدقة وأمانة، فلذلك تكفل الله عز وجل بالحفظ من التحريف والتغيير والتبديل.

وفي هذا الصدد ناقش الشيخ المفسر مسألتين مهمتين للغاية، هما: مسألة التطبيق العملي للقرآن، ومسألة الحفظ له من التبديل والتحريف. ومن لطائف ما ذكر أنه مع مرور الزمن يضعف دافع التطبيق، بخلاف دافع الحفظ، فإنه يزداد ويقوى. ولو أنا طبقنا القرآن الكريم تمام التطبيق في حياتنا لكان طبيعيًا ومنطقيًا بأن يُحفظ هذا القرآن، ولكن غفلتنا وابتعادنا عن توجيهات القرآن الكريم وتعليماته، تجعلنا ألا نسير بخط متوازٍ مع شدة حفظ الله سبحانه وتعالى له. وأكبر برهان على أن الله عز وجل حافظٌ كتابه أنك تجد بعض المسلمين قد عزم أن ينسخ القرآن الكريم و أن يكتبه كاملاً وفي صفحة واحدة وبحروف دقيقة للغاية وبخط جميل. وترى الآخر يتنافس مع الآخر في إصدار أجمل وأحسن طبعة للقرآن الكريم. و في هذا دليل على أن الله عز وجل هو الذي يحفظ كتابه وليس هم الذين يطبقونه في

حياتهم [١].

٤ – مجالات إعجاز القرآن الكريم

ذكر الشيخ – رحمه الله– أن هناك مجالات وجوانب تثبت إعجاز القرآن الكريم، ولكنه خشية الإطالة ذكر ثلاثة جوانب فقط: الجانب اللغوي، والجانب العلمي والجانب النفسي.

أ– معجزة القرآن اللغوية

ذكر أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب الذين بلغوا في الفصاحة والبلاغة شأوًا بعيدًا. والقرآن الكريم قد تحداهم في هذا الجانب الذي نبغوا فيه، ولكنهم عجزوا عن تقليده والإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك ما كان منهم إلا أن يقولوا بأن هذا القرآن ضرب من السحر وأن الرسول ﷺ ساحر! والشيخ –رحمه الله– رد على هذا الافتراء معللاً بأنه لو كان صحيحاً فيما ذهبوا إليه، للزم من ذلك أن يُسحر هؤلاء، لأن من شأن الساحر أن يسحر المسحور و أن يسلب إرادته وحريته، ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك. فهؤلاء العرب الفصحاء المعارضون للرسول ﷺ ورغم اتهامهم إياه بـ: السحر، و لكنهم في حقيقة الأمر لم يؤمنوا به، فهذا دليل قطعي على كذبهم على أن محمداً ﷺ لم يكن ساحراً ولم يسحرهم، وإلا فكيف يمكن للمسحور أن يعارض إرادة الساحر وألا يتقيد بأوامره [٢] ؟!

(١) انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمدي، ص: ١٤

(٢) انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمدي، ص: ١٥

ب- معجزة القرآن العلمية

بعد أن ذكر الشيخ المفسر ديمومة إعجاز القرآن الكريم لكونه نزل من لدن إلهٍ حيٍّ قيوم، ذكر بأن سر دوام إعجازه يكمن في كون القرآن الكريم معجزة علمية أيضًا، بخلاف المعجزات الأخرى، والسبب في كونه معجزة علمية يعود إلى اكتشافات بعض الناس لبعض أسرار القرآن الكريم العلمية في الآونة الأخيرة. فالقرآن الكريم في المراحل الأولى من نزوله قد أشار إشارة عابرة إلى هذه القضايا العلمية الحديثة المكتشفة، ولكن الناس في ذلك الوقت كانوا غير قادرين على فهم دقائق القرآن الكريم و أسراره العلمية.

إن القرآن الكريم أشار أيضًا إلى أسرار أخرى و اعتبرها حقائق، سواء أدركها العقل البشري ذلك أم لم يدركها، فهو بإشارته إلى تلك الحقائق كأنه يريد أن يقول لنا بلسان حاله: إذا قلت لكم شيئًا أو أخبرتكم عن شيء فلا تبحثوا عن الدليل، فأنا الدليل. وإذا وجد من بينكم من لا يصدق بهذا الكلام ويريد أن يعتمد على حواسه الشخصية، فإنني سأمكن لهم ذلك وسأريهم آياتي في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم بأن الذي قلته هو حق، يقول الله عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾، [فصلت: ٥٣].

فالقرآن الكريم مزق حجاب الزمان والمكان وفيه أبعاد زمنية

ومكانية، وقارئ القرآن سوف يلاحظ هذه الحقيقة أثناء قراءته للقرآن. إن أسرار معاني القرآن الكريم تتجدد في كل عصر ومع كل جيل، ومع توسعه في نطاق الدلالات والمعاني، فإن القرآن الكريم يسير متوازيًا مع عجلة الحياة والعصر الذي نعيش فيه، فحُقّ له أن يكون معجزة علمية أيضًا،[(١)].

جـ - معجزة القرآن النفسية

يتلخص كلام الشيخ المفسر حول هذا الموضوع في أن الله عز وجل قد أنزل هذا القرآن ليكون رحمة ونورًا للناس. فالنفوس التي أشربت في قلبها ودمها عبادة الأصنام فإن نزول القرآن الكريم في حقهم كان يمثل ضربة قاسية. فقد دعاهم القرآن إلى ترك ونبذ تلك العبادة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ولكنهم أبوا. هذه الدعوة القرآنية الجديدة شكلت لهم تحديًا كبيرًا للغاية، ومع ذلك فقد كانوا ينقادون ويساقون إلى القرآن شيئاً فشيئاً. إن معجزة القرآن الروحية والنفسية أخذت تؤثر في نفوسهم وقلوبهم شيئًا فشيئًا، مما جعلهم معترفين بحقيقته، ولكنهم دون وعي منهم قالوا له: سحر !! و الشاهد على ذلك قصة أحد صناديد وفصحاء قريش، الوليد بن المغيرة.

---

(١) انظر تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١٤ - ١٦، و حول معجزة القرآن اللغوية و الموضوعية للشيخ المفسر الحاج شريف أحمدي له بحثان قيمان في كتاب له بعنوان: **Komente dhe Mendime Islame**، (**آراء و اجتهادات إسلامية**)، الكتاب من مطبوعات المشيخة الإسلامية في عاصمة كوسوفا –بريشتنا، عام ١٩٩٦، ط١، فراجع البحثين فإن فيهما فوائد جليلة، ص: ٣٠٠-٣٠٠٦، و ٣٠٧-٣١٧

٥ - من خصائص القرآن

أولاً - جمعه في الصدور

أما عن جمع القرآن وحفظه في الصدور والسطور، فذكر الشيخ أن القرآن الكريم نزل على قوم أميين من العرب الذين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾، [الجمعة: ٢]. فهم تميزوا عن بقية الشعوب بقوة الذاكرة والحفظ، حيث كانوا يحفظون مئات نصوص الشعر والخطب مع أسماء القائلين وأنسابهم. ولما نزل عليهم القرآن ودخلوا في الإسلام تخلوا عن حفظ الأشعار واتجهوا إلى حفظ القرآن، لأنهم قد وجدوا بغيتهم الفكرية وضالتهم اللغوية فيه، ثم انتشروا في الآفاق والأمصار لتعليم الآخرين. وحفظ القرآن عن ظهر قلب من خصائص هذه الأمة المحمدية، و هي هدية مهداة من الله عز وجل، لأنه تعالى يسر عليهم حفظه قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾، [القمر: ١٧]

ثانياً: جمعه في السطور

هذه خاصية ثانية من خصائص الأمة المحمدية. فقد كان لدى رسول الله ﷺ كتاب للوحي يكتبون ما يوحى إليه، وأدوات الكتابة لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، ولم يكن عندهم الورق، إلا ما كان يصنع عند الفرس

والروم، بل وحتى عندهم لم يكن يصنع بكثرة، فكتبوا القرآن على الأحجار الملساء و جلود الإبل وجريد النخيل وغيرها من الأدوات والوسائل المتيسرة في ذلك الوقت [١].

ثم ذكر الشيخ المفسر أنه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأداء الأمانة، وبسبب مقتل القراء في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، فقد أشار عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكر الصديق بجمع القرآن في الصحف أو في مصحف واحد خشية ضياع القرآن بموت الحفاظ. في بادئ الأمر تردد أبو بكر الصديق ثم وافق عمر بن الخطاب على ذلك.

أما جمع القرآن الكريم في عهد عثمان عفان رضي الله، ففي خلافته اتسعت رقعة الإسلام إلى ما وراء جزيرة العرب، حتى فتحت أرمينيا و أذربيجان، وقد لاحظ الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافًا في قراءة القرآن من العرب وغيرهم بالأحرف والقراءات الأخرى وبطرق مختلفة، فسارع إلى عثمان بن عفان قائلاً له: أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف إلى كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى. فما كان من عثمان رضي الله عنه إلا أن جمع الصحابة وشاورهم، وبعد اتفاقهم أمر أن تنسخ عدة نسخ وأن توزع على الأمصار. ويتضح من هذا أن الفرق بين جمع أبي بكر الصديق و جمع عثمان بن عفان رضي الله عنهما، هو أن أبا بكر أمر بجمعه

(١) راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمدي، ص: ١٩-٢٠

خشية ضياع القرآن بموت الحفاظ، بينما خشي عثمان –رضي الله عنه – الاختلاف في القراءة..[1].

٦ – مسألة تفسير وترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى

وفي آخر مقدماته تناول الشيخ المفسر أهمية تفسير القرآن الكريم، حيث قال: " إن توضيح وتفسير كلام الله عز وجل على النحو الذي يريده الله عز وجل من عباده يكون أولاً بأن نفسر كلامه بكلامه، أي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسيره بكلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وأما التفاسير المتأخرة التي لم تستند إلى المصادر الأولى السابقة، هي تفاسير عقلية بحتة – تفاسير بالرأي الجائز –.

إن ترجمة معاني القرآن هي مسألة ضرورية ومطلوبة، لأنه من خلالها يتعرف الناس إلى مبادئ القرآن الكريم وإرشاداته وآدابه القيمة، مع التأكيد أن الترجمة النصية أو الحرفية للقرآن الكريم إلى لغة أخرى هو أمر غير جائز لتعذر ذلك ولاستحالة بقاء الأسلوب البياني والبلاغي الأصلي للقرآن الكريم، لأن في الترجمة تضيع الأصالة وروح العربية للنص، كما أن فصاحة القرآن وبلاغته تفتقدان من خلالها. والله يغفر و يتجاوز عن الأخطاء غير المقصودة.." [2].

(١) المصدر السابق، ٢١-٢٢ بتصرف

(٢) راجع تفسير الشيخ المفسر شريف أحمدي، ص: ٢٢

٧- قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور

كان من فضل الله عز وجل على الإنسان أن يسر له كتابين للقراءة والاستفادة منهما، حتى يهتدي إليه سبحانه. الكتاب الأول هو الكتاب المنظور، أي هذا الكون الفسيح الذي من حولنا خلقه تعالى ليتدبره الإنسان من خلال البحث والتأمل والدراسة لظواهرها الطبيعية. هذا الكتاب المنظور غير ناطق ولا لسان له، وإنما لسان حاله: المخلوقات والنباتات والمعادن والكائنات المختلفة الحية. فالباحثون والدارسون لهذا الكتاب هم الذين يخشون من الله حق الخشية،قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾،[فاطر: ٢٨].

وأما الكتاب الثاني الناطق، هو هذا الكتاب المسطور، أي القرآن الكريم الذي بين أيدينا، فقد أكد الشيخ المفسر على ضرورة القراءة للكتابين والتوفيق بينهما، لأن القرآن الكريم لا يزال معيناً لا ينضب للمعاني الجديدة للأجيال القادمة، و هذه هي معجزة القرآن العلمية والموضوعية.

٨- التفسير الذي أراده الشيخ تقديمه للقراء

ثم بين الشيخ المفسر رحمه الله منهجه في التفسير باختصار، قاصداً أن يصبغ على التفسير والترجمة صبغة الإيمان والأخلاق وروح الشريعة و المقاصد الإسلامية..[١]

---

(١) انظر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمدي، ٧٤٣-٧٥٠

الفصل الثاني:

دراسة و تحليل تفسير الشيخ المفكر شريف أحمدي رحمه الله.

المبحث الأول: مصادر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمدي وتحقيق القول فيه

المبحث الثاني: منهج الشيخ شريف أحمدي وطريقته في تفسيره

المبحث الثالث: نماذج من تفسيره رحمه الله، فيها البعد المقاصدي والاجتماعي.

المبحث الرابع: بعض الملحوظات المنهجية على تفسيره، الاقتراحات، الشكر والخاتمة.

المبحث الأول: مصادر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمدي وتحقيق القول فيه.

لقد ذكر الشيخ شريف أحمدي المصادر التي اعتمد عليها في معرفة موضوعات السور، تفسير ومعاني الآيات القرآنية:

١- كتاب: (**صفوة التفاسير**)، للأستاذ الشيخ المفسر محمد علي الصابوني.

٢- كتاب: (**فتح البيان في مقاصد القرآن**)، للشيخ صديق حسن خان.

٣- كتاب: (**المصحف المفسر**)، للكاتب الموسوعي فريد وجدي.

٤- كتاب: (**قاموس قرآني**)، للشيخ حسن محمد موسى، وأحياناً كان يرجع إلى التفسير الكبير (**مفاتيح الغيب**) للإمام الفخر الرازي، و(**تفسير القرآن العظيم**)، للإمام ابن كثير، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى التي لم يذكرها الشيخ شريف أحمدي رحمه الله تعالى [1].

هذه هي مصادر الشيخ رحمه الله في تفسيره و التي ذكرها بنفسه. ويرجع سبب اختيار الشيخ لهذه المصادر التفسيرية والاقتصار عليها دون غيرها، هو أن أصحاب تلك التفاسير هم من المعاصرين الذين ركزوا في تفاسيرهم لكتاب الله تعالى على إبراز المعاني والجوانب والدروس والعبر الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ومعالجة المشاكل العصرية الراهنة في ضوء القرآن والسنة، وعلى هذا المنهج سار الشيخ شريف أحمدي في تفسيره، وبناء على ذلك اعتبرناه أحد رواد الاتجاه الاجتماعي عند الألبان، والله أعلم.

---

(١) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ٧٥٠

المبحث الثاني: منهج الشيخ شريف أحمدي وطريقته في تفسيره

من خلال دراستي و قراءتي لهذا التفسير المختصر رأيت أنه رحمه الله سلك في منهجه لتفسير القرآن هذه الطريقة وهذا الأسلوب:

- يذكر المكي والمدني لسور القرآن، وعدد آياتها.
- يذكر الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مع ذكر أسماء السور، كما فعل في تفسيره لسورة الفاتحة..(١).
- يذكر المعنى الإجمالي للآيات عامة، دون الوقوف عند كل آية بالتفسير، وإنما يكتفي بالترجمة في أعلى الصفحة فقط..(٢) .
- يذكر أحياناً فضائل السورة، مستدلاً من كتب السنة والصحيحين.. (٣).
- يفرد لكل سورة مقدمة تناسبها ويعرض فيها باختصار المواضيع التي تطرقت السورة لمعالجتها، إلا أنه رحمه الله أثناء عرضه لتلك الموضوعات لا يذكر موضوعات السورة مرتبة كما عرضتها السورة..(٤).
- يعلل ويشرح بعض الكلمات القرآنية التي لها أكثر من معنى، و يبين

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٦

(٢) المصدر السابق، ص: ١٠، ٤٠

(٣) المصدر السابق، ص: ٢٦

(٤) راجع تفسيره، ص: ٢٩

الفرق بينها وبين الكلمات المتشابهة، مثل كلمة: **الحمد، المدح، الشكر**، فيذكر معنى الكلمة لغة واصطلاحاً، و يحدد المعنى المراد و الراجح من الآية..[1].

- يذكر معاني الكلمات مفصلة مع ذكر مصادر تلك الكلمات النحوية، كما أنه يذكر أحيانًا المعاني المشابهة لها محيلاً إلى الآيات المماثلة الواردة في السور الأخرى، مشيراً إليها بالأرقام فقط دون ذكر الآيات، و يثبت تنوع دلالات الكلمات..[2].
- يذكر المسائل النحوية والصرفية المتعلقة بالآية باختصار شديد..[3].
- يتعرض أحياناً إلى ذكر المسائل العقدية، ويختار الآراء الراجحة والقريبة إلى رأي أهل السنة و الجماعة..[4].
- أحياناً يفسر القرآن بالقرآن، مع عدم ذكر لتلك الآيات، مكتفياً بالإشارة إلى أرقامها..[5]، ولم يسر على هذا المنهج دائماً كما بين في مقدماته.
- ينقل آراء المفسرين جملة حول موضوع واحد، كما ذكر موقف كل من

(١) راجع تفسيره، ص: ٢٧، ٣١

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٧، ٢٨

(٣) راجع تفسيره، ص: ٥٤٩، ٢٦٥

(٤) راجع تفسيره، ص: ٢٨، ٢٧٢

(٥) المصر السابق، ص: ٢٨، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٦٢

الزمخشري وابن تيمية وابن كثير حول معاني الحروف الهجائية المقطعة في بدايات السور القرآنية..[١]، ولكنه لا يحيل القارئ إليها، ولا يذكر أرقام الصفحات والأجزاء لتلك المصادر.

- يوضح معاني بعض الاصطلاحات الدينية التي قد تكون غامضة على القراء، مثل كلمة: **سجدة، إبليس، الجنة، بني إسرائيل، البدعة**..[٢].
- يذكر الإسرائيليات في تفسيره، ولكن باختصار شديد، كما ذكر قصة فرعون عندما رأى رؤية أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد وسيكون هلاكه على يد ذلك المولود، وكما ذكر أسماء أولاد سيدنا نوح واسم زوجته عندما غرقوا [٣].
- أثناء تفسيره للآيات، يجري أحيانًا مقارنة بين شريعتنا وشريعة من قبلنا، مبيناً نقاط الاتفاق والاختلاف التي بين الشريعتين، وذلك في قصة القتيل في بني إسرائيل عندما أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة و يضربوا ببعضها القتيل، فذكر أن القاتل يحرم من الميراث، وهذا الحكم موجود في شريعتنا وشريعة موسى عليه السلام ..[٤].
- يذكر أسباب النزول، تارة على لسان المفسرين، وتارة على لسانه هو،

(١) المصدر السابق، ص: ٣١، ٥٩

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٨، ٢٦٥، ٤٨

(٣) راجع تفسيره، ص: ٣٨، ٢٦٥، ٣٧٨

(٤) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ٤١، ٤٣

لكن دون الإحالة أو الإسناد..[1].

- يتطرق أحياناً إلى ذكر الناسخ والمنسوخ باختصار..[2].
- يستشهد بالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية من صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم وكتب السنة الأخرى..[3]، ولكنه لم يلتزم طريقة واحدة في تخريجه للأحاديث، تارة يسندها إلى مصادرها وتارة أخرى لا يسندها إلى مصادرها..[4]
- يناقش آراء الدهريين والطبيعيين ومواقفهم من البعث والنشور باختصار..[5].
- يرد على اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، ويبين أنه كان من الواجب عليهم اتباع هذا الدين، وأن هذا الإسلام هو الذي صبغ الله به عباده، وليس الماء والزيت الذي يصبغ بهما اليهود والنصارى أنفسهم للتبرك..[6].
- يصحح بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض الناس و يبين وجه الصواب

---

(١) المصدر السابق، ص: ٤٥، ٧٩

(٢) المصدر السابق، ص: ٤٧

(٣) المصدر السابق، ص: ٤٨، ٤٤٠

(٤) المصدر السابق، ص: ٥٤، ٧٩، ١٠٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢

(٥) المصدر السابق، ص: ٤٨

(٦) راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمدي، ص: ٥١

فيهـا، مثـل تناولـه لحقيقـة الجنـة وأوصـافها ونعيمهـا، وأن حقيقتهـا لا يعلمها أحد إلا الله تعالى، وكتناوله لمفهوم وحقيقة حياة الشهيد، فذكر بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، دون الخوض في كيفية وحقيقة حياتهم، وذكر أنه من الخطأ الاعتقاد بأن أجسامهم لا تبلى و لا تتلاشى، لأن الله تعالى يقول: (**أحياء عند ربهم**) وليس عندكم أو في مفهومكم أنتم أيها الناس..[١].

- يركز في تفسيره على استنباط الدروس والعبر والقواعد الفقهية العامة، مبيناً الأبعاد الاجتماعية والدينية للآية، كما يظهر ذلك في تفسيره لآية القصاص[٢]، حيث قال رحمه الله: " يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري والاقتصادي في نمو وازدياد. – و الحكومات التي لا تنفذ الحدود – تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب الجريمة بالسجن مما جعلت السجون ملأى بالسارقين والغاصبين وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة تعالج وتشفي مدينة بأكملها.." [٣].
- لا يذكر الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية، وإنما يكتفي بالإحالة إلى

---

(١) المصدر السابق، ص: ٥٣، ٢٩٥

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢

(٣) المصدر السابق، ص: ١٤٨

مظانها، كأنه يريد أن يقول، إن مجال الأحكام الفقهية ليس في علم التفسير، وإنما مجالها الفقه، كما يظهر ذلك في آيات الحج و العمرة..[1].

- يطبق القواعد الأصولية في تفسيره و يسير على ضوئها في دلالات الآيات..[2].
- يذكر الخصائص العامة للإسلام، ويذكر جماله وعظمته في عدم حمله الناس على الإيمان به والانقياد لأوامره وهم مُكرَهون، مبيناً أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ..[3].
- لا يتعرض إلى ذكر القراءات القرآنية في تفسيره أبداً[4] .

(١) المصدر السابق، ص: ٥٩، ٦٠، ٦١، ٨١

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٣

(٣) المصدر السابق، ص: ٦٣، ٦٤

(٤) و يرجع سبب ذلك والله أعلم في عدم اهتمام علماء الألبان بهذا الفن قديماً وحديثاً لعدم وجود شخصيات علمية متخصصة في هذا المجال. ولقد شاءت حكمة البارئ عز وجل أن يظهر هذا الفن العلمي القرآني إلى الساحة العلمية الألبانية في العصر الحديث من جديد ولأول مرة، وذلك عندما تخرج طالبان ألبانيان من كوسوفا من كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٩٤م و ١٩٩٥م، وهما: ١- العبد الضعيف الفقير إلى عفو مولاه كاتب هذه السطور والمجاز في القراءة والحاصل على السند المتصل إلى رسول الله ﷺ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ٢- والأخ الأستاذ الشيخ الحافظ صفوت خوجة حفظه الله، مدرس مادة تلاوة القرآن الكريم في الكلية الإسلامية في بريشتنا عاصمة كوسوفا وفي الثانوية الشرعية (**علاء الدين**) في مدينة بريزرن، والحمد لله أولاً و آخراً.
=

- يركز على بيان أمراض المجتمع مبينًا طريقة القرآن الكريم في معالجتها، ويبين اهتمام القرآن في بناء المجتمع السليم، وذلك من خلال العلاقة الشرعية بين الزوجين، وسِرُّ دوام هذه العلاقة إذا كان للزوجين دين واحد، وأما إذا اختلف دينهما فهذا الاختلاف يجعل العلاقة بينهما قصيرة العمر وغير مستديمة..[1].
- يذكر مقاصد الأحكام الشرعية، مثل ما ذكر أن المقصد من الزواج هو الإحصان من الزنا والحفاظ على النوع الإنساني..[2].
- يرجح بين الآراء ويكتفي بذكر الرأي الراجح فقط، مثل ما ذكر قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام، مكتفياً بما ورد في القرآن بأن الناس أصلهم من آدم وأن حواء خلقت من نفس الأصل..[3].
- لا يرد على الفرق المبتدعة بعينها، ولا يتوسع في ذكر المسائل العقدية..[4].
- أحياناً يقول بالمجاز، كما يظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ

=

(١) المصدر السابق، ص: ٦٦، ٧٠، ٧٣

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٦

(٣) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١٠٩

(٤) المصدر السابق، ص:

ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾، [آل عمران: ١٢]، يقول رحمه الله ما نصه: " اعتبر مكانهم في جهنم مثل المهد، والمراد إخبار الأعداء المستكبرين بأنهم سيكونون عاجزين وضعفاء مثل الطفل العاجز في مهده، لا يملك شيئاً، يتصرف فيه غيره " [١] .

- في نهاية ترجمته وتفسيره للسورة، يعيد خلاصة كلامه في نصف صفحة ويبين الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مشيراً إلى مقاصد القرآن في هذه السورة، ومن تلك المقاصد القرآنية جذب قلوب العباد إلى معرفة الخالق، من خلال نظرتهم إلى الخلق أو المخلوقات..والقرآن يقول بلسان حاله للناس اقرؤوا القرآن المكتوب في السطور ثم بعد ذلك اقرؤوا وتدبروا هذا الكتاب المنظور، وهو الكون، فستجدون بينهما توافقًا وانسجامًا كبيرًا..[٢].
- يتطرق إلى معالجة القضايا الاجتماعية الراهنة باختصار شديد، مستنبطاً من الآيات العبر والعظات، كما تناول مسألة كشف العورة، سواء للرجال أو النساء، حيث ذكر أن ذلك من تلبيس إبليس وأن ذلك لا يعد حضارة ولا تقدماً..[٣].
- لا يتبنى آراء شاذة، ولا يخرج عن قول جمهور العلماء، ويتقيد بما هو

---

(١) المصدر السابق، ص: ٨٢

(٢) المصدر السابق، ص: ١٠٧

(٣) المصدر السابق، ص: ١٨٩

الراجح فقط، وهذه الميزة يُشكر عليها صاحبه رحمه الله تعالى..[١].

- أحياناً يوفق بين دلالات الآيات والتي ظاهرها التعارض ويجمع بينهما لإزالة اللبس والتعارض..[٢].
- يهتم جداً في إبراز العبر والعظات من القصص القرآني[٣].
- يربط أحياناً سرّ الآيات بالاكتشافات الحديثة ليلفت عقل الإنسان إلى عظمة قدرة الله تبارك وتعالى. يظهر ذلك جلياً في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، [النحل: ٨]، فذكر لذلك الجيل المخاطب وقت النزول أن في هذه الآيات إشارة إلى أن الله عز وجل قادر على أن يخلق وسائل مواصلات من نوع آخر، غير التي كانوا يستخدمونها من خيل أو بغال أو حمير..[٤].
- يبرز أسرار الآيات القرآنية في ورودها بعبارات وصيغ مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿**يتفكرون**﴾، وقوله: ﴿ **يعقلون** ﴾، وقوله: ﴿ **يتذكرون** ﴾.." والسر في ذلك أنه بلا تفكر عميق للظواهر الطبيعية لا يحصل التعقل

(١) المصدر السابق، ص: ٢١١

(٢) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ٢٢١، ٢٢٢

(٣) المصدر السابق، ص: ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٩

(٤) المصدر السابق، ص: ٣١٢

المطلوب.." [1].

- لا يفسر الآيات تفسيرًا علميًا، وإذا ورد شيء من ذلك فإنه يحيل إلى أهل الاختصاص، مثل القضايا المتعلقة بالجبال والبحار، ويرد على الذين يفسرون الآيات القرآنية حسب أهوائهم وشهواتهم دون أن يستندوا إلى علم صحيح محقق.. [2].
- يضرب أمثلة عقلية وعلمية لإثبات البعث والنشور من خلال تفسيره للآيات التي تناولت موضوع الكائنات من نبات و حيوان و إنسان.. [3].
- يرد على الذين ينكرون حجية السنة والإجماع والقياس، و يظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾، [الحشر: ٧]، حيث استدل بها على حجية السنة، كما استدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥ ﴾، [النساء: ١١٥]، على حجية الإجماع، وبقوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى

(١) المصدر السابق، ص: ٣١٣

(٢) المصدر السابق، ص: ٦١٨-٦١٩

(٣) المصدر السابق، ص: ٣١٩

ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾، [الحشر: ٢]، على حجية القياس..[١].

- فيما يخص الحروف المقطعة ذكر رحمه الله أنها من المتشابهات، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء مع وجود آراء أخرى حول هذه المسألة..[٢] .
- أما طريقته رحمه الله في تفسير آيات الأسماء والصفات، ففيها تفصيل. فهو رحمه الله تارة يثبت وتارة يؤول، وتارة ليس له موقف واضح من التأويل أو الإثبات. ومن خلال استعراضنا لهذه النماذج سيتضح لنا منهجه في هذه المسألة المهمة، والمجال هنا مجال استشهاد لا مجال استقصاء، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: أمثلة على مواضع الإثبات

- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴿٦٤﴾ ..﴾، [المائدة: ٦٤]، نجده رحمه الله أنه في هذا الموضع في ترجمته أثبت صفة اليدين لله تعالى كما ورد في الآية دون تحريف[٣] أو تبديل أو تغيير.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٢٢

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٦١

(٣) راجع تفسيره، ص: ١٥١، و انظر **تفسير الطبري**، ج٤، ص: ٦٣٩، فقد ذكر رحمه الله عدة آراء و أقوال حول تفسير هذه الآية. فمنهم من أثبت صفة اليد أو اليدين لله تعالى، و منهم من أول صفة اليد بمعنى الملك والنعمة والعطاء..و الله أعلم.

- و في ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾، [الفتح: ١٠]، أثبت الشيخ في الترجمة والتفسير باللغة الألبانية صفة: **اليد** – Dora، فهنا أيضاً الشيخ رحمه الله أثبت ولم يؤول..[١].
- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[الذريات: ٤٧] قال في ترجمتها: ".. ونحن **بقوتنا** رفعنا السماء "[٢].
- وفي تفسيره لآيات رؤية الله عز وجل يوم القيامة، ذكر رحمه الله: " أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة إلى عدة أقوال، والراجح منها قول من قال بأن المؤمنين سيرون الله تعالى...و أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.."[٣].

---

(١) انظر المصدر السابق، ص: ٥٨٩

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٠٣– ٦٠٤، و قال **ابن كثير** في تفسيره لهذه الآية: "﴿**بأيد**﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد"، راجع تفسيره ج٤، ص: ٣٠٣، و قال **الطبري**: " وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس قوله ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾ يقول: بقوة... وعن مجاهد قوله ﴿ **بأيدٍ**﴾ قال: بقوة... وحد ثنا سعيد عن قتادة ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾ أي بقوة...راجع تفسيره: ج: ١١، ص: ٤٧٢

وقال الإمام **البغوي** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾ بقوة وقدرة..انظر: ج١، ص: ٣٧٩

(٣) المصدر السابق، ص: ١٧٨، ٢٠٤، ٦٨٤

- وفي تفسيره و تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾، [طه: ٣٩]، قال في ترجمته لهذه الآية: ".. **ولتربى تحت رعايتي..**"[(١)].
- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾، (القلم: ٤٢)، نجد الشيخ أنه فسر معنى (**الساق**)، بـ: **هول و شدة ذلك اليوم..**[(٢)] .
- و في ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾، [طه: ٤١]،ذكر في الترجمة: " ..أي اخترتك **لحمل رسالتي** .." [(٣)].

---

(١) انظر المصدر السابق، ص: ٣٦٢. قال الإمام محمد بن علي الشوكاني، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ولصنع على عيني**﴾: " أي ولتربى وتغذى بمرأى مني.."، راجع تفسيره: جـ ٣، ص: ٥٢١؛ و قال ابن كثير: " ﴿**ولتصنع على عيني** ﴾ قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله، وقال قتادة: تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى ﴿ **ولتصنع على عيني**﴾ بحيث أرى.."، راجع تفسير ابن كثير: ج٣، ص: ١٩٩

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٦٣-٦٦٥، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " ﴿ **يوم يكشف عن ساق**﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام ...وعن عكرمة عن ابن عباس: ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير...وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ قال: شدة الأمر، وقال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة. وقال ابن جرير عن مجاهد ﴿**يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال: شدة الأمر وجده، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [﴿**يوم يكشف عن ساق** ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة. ...والله أعلم.."، راجع تفسير ابن كثير: جـ ٤، ص: ٥٢٥

(٣) المصدر السابق، ص: ٣٦٢، و قال ابن كثر: جـ٣، ص: ٢٠٧: " وقوله: ﴿ **واصطنعتك**
=

- و في تفسيره وترجمته لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾، [القصص: ٨٨]، ذكر الشيخ الحاج شريف أحمدي رحمه الله: "... أن كل شيء سيهلك وسيزول **إلا الله سبحانه و تعالى**، فإنه باق ودائم.."[١].
- أما منهجه في تفسير الاستواء، فهو تارة أثبت وتارة أوّل. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، [لأعراف: ٥٤]، فهنا أثبت الاستواء دون أي تحريف أو تبديل أو تغيير..[٢]. قال في بيان ذلك:

"Qendrimin e Zotit mbi Arshin duhet besuar bindshem e pa kurfare komentimi."

أي: " إن استواء الله على العرش مسألة يجب الإيمان والتصديق بها دون أدنى شك، ودون أي تفسير لمعنى وكيفية الاستواء.." [٣].

= **لنفسي**﴾ أي اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء". و قال البغوي: " قوله عز وجل: ﴿ **واصطنعتك لنفسي**﴾ أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي يعني لتنصرف على إرادتي ومحبتي.." جـ ١، ص: ٢٧٤

(١) المصدر السابق، ص: ٤٥٢

(٢) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١٩٢

(٣) المصدر السابق، ص: ١٩٣

فأنت ترى أن الشيخ رحمه الله تعالى في هذه الآية كان واضحًا للغاية في موقفه من مسألة الاستواء. فهولم يؤول ولم يحرف، بل أَمَرَّها كما جاءت [١].

وفي تفسيره لآية الاستواء في سورة يونس﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، [يونس: ٣] قال فيها:

"Ai nuk pati as nuk ka nevoje per vend, por pasi krijoi gjithsine qendroi mbi Arshin. Para krijimit te gjithsise nuk pati nevoje per vend, nuk pati nevoje as pas krijimit; po perse atehere tha: qendron mbi Arsh? Kjo eshte pune e Tij, e askujt tjeter !"

أي: " إن الله عز وجل لم يكن بحاجة إلى مكان، لا قبل خلق الكون ولا بعد خلقه، ولكنه تعالى بعد أن خلق الكون أخبر أنه استوى على العرش. ما السرُّ والحكمة فيها ولمَ كان ذلك ؟ هذه القضية تخصه هو سبحانه وتعالى وليس لأحد أن يعترض على ذلك.." [٢].

ثانيًا: أمثلة على مواضع التأويل والغموض

- وأما في تفسيره للاستواء في سورة الرعد، ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ

---

٩١ انظر: سالم، إبراهيم بن حسن.. **قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين.** بيروت: دار قتيبة، ط١، ١٩٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٤٥-٢٤٦

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾،[الرعد: ٢]، فإنه رحمه الله ترجم الاستواء بـ: " Ai mbizoteroi Arshin.. " بمعنى: أنه تعالى استولى على العرش. كما أنه رحمه الله أسقط تفسير الاستواء في تفسيره لهذه الآية، و لم يتعرض لها أبدًا..[1].

- كما أنه رحمه الله أسقط ترجمة و تفسير معنى الاستواء كليًا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، [طه: ٥]، فقال في ترجمته للآية ما نصه:

"(E Ai eshte) Meshiruesi qe krijoi token dhe qiejt e larte…"

أي" **هو الرحمن** الذي خلق الأرض والسماوات العلى.."، هذا نص كلامه في الترجمة، فأنت ترى أن ذكر الاستواء لم يرد على لسانه قط..و أما في تفسيره لهذه الآية فقد ذكر ما نصه.."

"qe krijoi gjithcka dhe prej fronit te vet udheheq me gjithcka.." ، أي: أن الله الذي خلق كل شيء ومن العرش يدير الله عز وجل الأمور.."[2].

فأنت ترى ما في هذا الكلام من الغموض و عدم الوضوح فيما يخص مسألة استواء الله تعالى على العرش و موقف المفسر منها، و الله أعلم.

(١) المصدر السابق، ص: ٢٨٩ – ٢٩٠

(٢) انظر تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ٣٥٩، و ٣٦١

- وأيضًا في ترجمته لكلمة الاستواء في سورة الفرقان،﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾، [الفرقان: ٥٩]، وجدناه رحمه الله أنه قد أول الاستواء بـ:

"e pastaj mbizoteroi Arshin" أي أنه تعالى استولى على العرش. ولم يتعرض الشيخ شريف أحمدي لتفسير الآية مطلقًا..[(١)].

- ونجده رحمه الله أيضًا أنه قد أول معنى الاستواء في سورة السجدة، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[السجدة: ٤]، بمثل الذي قلنا سابقًا بمعنى الاستيلاء: "e pastaj mbizoteroi arshin"، وأعاد نفس هذا المعنى في تفسيره، فذكر أنه تعالى استولى على الكون، قال في بيان ذلك: " qe mbizoteroi gjithsine "[(٢)].

- و نجده رحمه الله أيضًا قد أول معنى الاستواء في ترجمته في سورة الحديد﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الحديد:

---

(١) المصدر السابق، ص: ٤١٧ -٤١٨

(٢) المصدر السابق، ص: ٤٧٥ -٤٧٦

٤]، بمثل الذي ذكرنا سابقًا.." pastaj mbisundoi Arshin... "،
أي أنه بعد خلق السموات و الأرض استولى على العرش. و أما في تفسيره فلم يتعرض لتفسير الاستواء أبدًا..."[1].

هذه المسألة العلمية العقدية الشائكة أشغلت بال كثير من العلماء قديماً وحديثاً، وعند التحقيق والتأصيل لهذه المسألة العلمية الغيبية، نجد أن القلب يطمئن ويميل ويرجح رأي مذهب السلف الصالح في عدم تأويل تلك الآيات وتفسيرها بتفسيرات بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح، و أن الصحيح والواجب هو إمرارها كما جاءت لسلامة مذهبهم وقوة أدلتهم في هذه المسألة، والله أعلم[2].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٦٢٥

(٢) ولقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي للدكتوراه بإسهاب فليرجع إليها لمن يريد المزيد، في ص: ٢٦٨ -٢٩٣، وللمزيد حول هذه المسائل العقدية المهمة و مسألة الأسماء والصفات.. انظر: أبو حنيفة، النعمان بن الثابت بن زطي الخزاز الكوفي: **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة** – القسم الثاني: **رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة**، تح: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، (عجمان: مكتبة الفرقان، ط١، ١٩٩٩م)، ص ١٥٩

(٢) الغالي، بلقاسم: **أبو منصور الماتريدي – حياته و آراؤه العقدية**، ص ١٧٩، نقلاً عن: الشيخ زادة: **نظم الفرائد وجمع الفوائد**، فريدة: ١٤ ص ٢٢-٢٣. ؛ الماتريدي، أبو منصور: **التوحيد**، ص ٧٤؛ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج٤، ص١-٢

المبحث الثالث: نماذج من تفسيره رحمه الله، فيها البعد المقاصدي والاجتماعي

- **قال في بيان موقفه من الحكمة في استبدال جلود أهل جهنم:**

قال رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾، [النساء: ٥٦]، قال ما نصه:

" جلود أهل جهنم ستبدل كلما احترقت ونضجت. و إبدال الجلد وتجديده يجعلنا نفهم أن ذلك يكون في مقدور الله عز وجل فقط، و هو الذي يملك أن يعذب الجاني على كل جرم ارتكبه بتبديل جلده. وليس في مقدور الناس فعل ذلك. إنهم يعذبون الجاني الذي ارتكب مائة جريمة بتعذيب أو قتل واحد مرة واحدة فقط. و السر في إحراق الجلد و التركيز عليه هو أن الجلد من أشد المواضع إحساساً بالألم مقارنة ببقية الأعضاء.."[1].

- **قال في بيان موقفه من الحكمة في مشروعية الجهاد:**

"..كلما ذكر القتال أو الجهاد في القرآن، ذكر معه (**في سبيل الله**)، للإشعار بأن الهدف من الجهاد ليس احتلال أرض العدو، ولا الغنيمة من

(١) انظر التفسير المختصر للشيخ شريف أحمدي، ص: ١٢٠

الحرب أو غير ذلك، و إنما الهدف منه الحرية التامة لقبول الاعتقاد الصحيح وتنفيذ حدود الله، والناس أحرار، والجهاد في سبيل الله ليس خسارة لأن المقتول في ساحة القتال يكون شهيداً، وأن الذي لم يكن له نصيب الشهادة، فله نصيب الجهاد لنشر العدل، و بناء عليه، فإن أجره سيكون عظيماً.."[1].

- **قال في بيان موقفه من تنفيذ الحدود:**

" يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق، هو عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري الاقتصادي في نمو وازدياد – والحكومات التي لا تنفذ الحدود – تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب الجريمة بالسجن مما جعلت السجون مليئة بالسارقين والغاصبين وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة تعالج و تشفي مدينة بأكملها.." [2].

- **قال في بيان موقفه من الزواج ونكاح المتعة:**

"..و كذلك يحرم الزواج المؤقت لمصلحة مادية، لأنه ليس من مقاصد الزواج إشباع الشهوات فقط، وإنما الزواج له مقصد إنساني سامٍ، هذا الجانب الإنساني يجب أن يكون منبعًا ودافعًا لتربية الأجيال القادمة.."[3]...والزواج له مقاصد، منها إنجاب الذرية الصالحة والعفة و

(١) المصدر السابق، ص: ٦٠، و انظر أيضاً، ص: ١٢٣

(٢) المصدر السابق، ص: ١٤٨

(٣) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١١٥

الحب المتبادل بين الطرفين، وليس فقط إشباع الغرائز، كما أن نكاح المتعة لأجل معلوم حرام..[١].

- **قال في بيان موقفه من الربا:**

"... يحرم التعامل مع الربا في الشريعة الإسلامية، لأن واجب الأغنياء مساعدة الفقراء والمحتاجين في تحسين أوضاعهم الاقتصادية وليس أن يثقلوا عليهم الأعباء والمشقات بمطالبة المزيد منهم.." [٢]،"... ويحرم استغلال المال أو الحصول عليه بلا كد وتعب، مثل السرقة، والغش، والربا والغصب.." [٣].

- **المعاصي من منظور الشيخ المفسر:**

"...لا ينظر إلى المعصية من حيث صغرها وكبرها، وإنما العبرة بالنتائج المولدة عنها..[٤]"، "... وأن الله لا يحب العصاة المستكبرين، لكونهم لا يحترمون أي مبدأ إنساني أو رباني، مثل عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين والأقارب والأيتام، كما أنه تعالى لا يقبل الأعمال التي كان صاحبها يرائي فيها.." [٥]،"...والظالمون مآلهم الهلاك والزوال، إما عاجلاً أو آجلاً، وكل ظالم سيهلك وسيزال من الوجود، مثل ظالمو مكة و غيرهم.."[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص: ١١٥

(٢) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ٧٨، ٩٨

(٣) المصدر السابق، ص: ١١٦

(٤) راجع تفسير الشيخ شريف أحمدي، ص: ١١٦

(٥) المصدر السابق، ص: ١١٧

(٦) المصدر السابق، ص: ١٦٧

- **بيان موقفه من التفسير العلمي:**

موقفه من التفسير العلمي ظهر لي من خلال قراءتي لبحوثه ومقالاته في المصادر الأخرى، في المجلات الإسلامية باللغة الألبانية التي كانت تصدر في المشيخة الإسلامية في كوسوفا [1]. خلاصة كلامه في هذه المسألة.."..أنه يجب التريث والتأني فيها، لأن العلم كل يوم في شأن، كما أنه لا يجوز أن نحمّل القرآن أو أن نكلف العلماء بتصديق الاكتشافات العلمية بالآيات القرآنية. فعلينا التأكد أولاً من أن تلك الاكتشافات هي حقائق وليست فرضيات، وثانياً أن القرآن الكريم ليس كتاب جغرافيا أو كيمياء أو

وقد ذكر أهل العلم بعض الضوابط والشروط التي ينبغي مراعاتها عند القيام بهذا النوع من التفسير، نذكر منها ما يلي: ١- أن لا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، ٢-أنه لا حرج على المفسر أن يستدل بالاكتشافات والحقائق العلمية ما يغني و يثري المعنى الوارد في النص القرآني وما يتوافق مع روح النص ومقاصد الشريعة الإسلامية، ٣- وأن يؤتى بذكر تلك الاكتشافات على سبيل الاستئناس وإلقاء مزيد من الضوء على عظمة الآية الكريمة. ٤- أن لا نصاب بالهزيمة النفسية حتى نثبت أمام الناس أنه كلما ظهر شيء جديد نقول إن ذلك من إعجاز القرآن حتى يؤمنوا بالقرآن، ٥-أن القرآن نزل ليحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة. و قد ناقشت هذه المسألة بإسهاب في رسالتي للدكتوراه، فمن أراد المزيد والتوسع فليرجع إليها في ص: ٢٢١ – ٢٣٦، (**مبحث عرض المنهج العلمي في الميزان**)، وللمزيد انظر: أبو الخير، محمد عادل. ١٩٨٨ . **اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم**، القاهرة: مركز الدلتا للطباعة، اسبورتنج، ط١ ،)؛ أبو حجر، أحمد عمر. ١٩٩١ . **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**. (بيروت: دار قتيبة للطباعة و النشر، ط١).

الطب...إنما هو كتاب هداية وعقيدة، وإنما فيه إشارات ومفاتيح إلى تلك العلوم العصرية.." [١].

- **موقفه من السحر**

قال ما نص كلامه: " السحر ليس له أي جدوى، و يجب عدم الإيمان بتأثيره إلا بإذن الله تعالى، كما أنه ليس له حقيقة، مطلقاً. ما هو إلا ضرب من الخداع.." [٢].

- **موقفه من النسخ**

قال ما نص كلامه: "..جمهور العلماء على أن النسخ وقع في القرآن في

---

(١) راجع المجلة: **التربية الإسلامية**: **Edukata Islame**، تصدرها اللجنة التنفيذية باللغة الألبانية جماعة من العلماء في بريشتنا –كوسوفا، العدد: ٤٦-٤٧، ص: ٣-٨، سنة الطبع: ١٩٨٦. و للشيخ المفسر شريف أحمدي عموده الخاص لتفسير القرآن الكريم على شكل الحلقات في المجلة المذكورة في هذه الأعداد:

٣٣- ٣٤، سنة الطبع: ١٩٨٢، ص: ٣- ٨، ٣٠-٣٢، بعنوان: (**مصادر الإيمان والإسلام والعلاقات الإنسانية**)

٣٧- ٣٨، سنة الطبع: ١٩٨٣، ص: ٧٣-٧٨، الآيات: ٢٦-٧٠ من **سورة البقرة**

٣٩، سنة الطبع: ١٩٨٤، ص: ٣-٨، ٣٧- ٤٤، قوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾

٤١-٤٢: سنة الطبع: ١٩٨٥، ص: ٦٠-٦٨، الآيات: ٢٠١- ٢٨٦ **من سورة البقرة**، و ص: ٣-١١ **سورة الزلزلة**.

٤٨-٤٩، سنة الطبع: ١٩٨٧، ص: ١٣-٢٢، الآيات: ١٥٦ -٢٠٠ **من سورة آل عمران**

(٢) المصدر السابق، ص: ٤٦

الأحكام و الآيات، ومن العلماء من يرى أن النسخ لم يقع في القرآن، و إنما وقع النسخ في الشرائع السابقة.." [1].

- **موقفه من البدعة**

قال ما نص كلامه: " كل بدعة في الدين أو العبادة و التي ليس لها أصل في الشرع، فهي ملعونة و مذمومة، و إن كان لها أصل في الشرع فهي مقبولة و محمودة.." [2].

- **موقفه من تكفير المسلمين**

قال ما نص كلامه: " ..هناك قبلة واحدة لجميع المسلمين أين ما كانوا، و ما داموا مستقبلين إلى قبلة واحدة، فإنه يحرم تحريماً قطعياً تكفير أحد المستقبلين إلى القبلة.." [3].

- **موقفه من التقليد الأعمى**

قال ما نص كلامه: "..تقليد الآباء و الأجداد مع العلم بأن تلك العادات والتقاليد ضارة، فذلك خطأ فادح و إثم كبير، لأن ذلك من أعمال المشركين...و أما العادات والتقاليد النافعة فمطلوب حفاظها واحترامها..[4].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٤٧، و أفضل ما رأيته من الباحثين المعاصرين من فصل القول في هذه المسألة، هو الأستاذ الدكتور: جمال الحسيني أبو فرحة، في كتابه: **النبي الخاتم- هل وجد؟ و من يكون ؟**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٣، ص: ٩١ - ١٠٠

(٢) المصدر السابق، ص: ٤٧

(٣) المصدر السابق، ص: ٥٣

(٤) المصدر السابق، ص: ٥٦

- **موقفه من اتباع الأنبياء**

قال ما نص كلامه: " حقيقة المحبة لله تعالى لا تنال إلا بطاعة واتباع أنبيائه ورسله، لأن الله اختارهم واصطفاهم.." [١].

- **قال في بيان موقفه من تعلم المرأة:**

فقد أشار الشيخ المفسر رحمه الله في مقال له خاص في مصدر آخر بعنوان: (**الإسلام وتعلم المرأة**)،" ...بأن الإسلام لا يمنع من تعلم المرأة وتثقيفها، بالعكس فإن في تعلمها إحياء لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه الكرام، لأن بالتثقف والتعلم يحارب الجهل وتُمحى الأمية لكونهما ألدّ أعداء الإسلام. الإسلام طلب من المسلمين أن يحتلوا جميع ميادين العلوم، الدينية والكونية دون استثناء، واعتبر في ذلك الرجال و النساء على حد سواء، ولأجل ذلك علم الله نبيه محمدًا أن يسأل مزيدًا من العلم، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طه: ١١٤]، وأنه لا فصل بين الدين والدنيا، كما فعل النصارى في عصور الانحطاط المظلمة في أوربا. فكل علم يخدم الدين أو الدنيا، دنيوياً كان أو أخروياً ويدفع بالأمة إلى الحرية والتقدم وإلى الخروج من قبضة المستعمر؛ فهو مطلوب من منظور القرآن، والعلم لا جنسية له ولا عنصرية، كما أنه ليس لفئة أو طائفة معينة من الناس دون الآخرين، فهو ملك للجميع، للرجال و النساء على حد سواء." [٢].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٨٦

(٢) للمزيد راجع كتاب الشيخ المفسر: **Komente dhe Mendime Islame**
=

- **بيان موقفه من خطورة اليهود:**

أدرك الشيخ المفسر خطورة اليهود على مدى التاريخ البشري، أي منذ عهد موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، و هذا يظهر بوضوح و جلاء في تفسيره. فقد عرف هؤلاء القوم بالخبث والخيانة والغدر والقتل والحيل..كل هذه الصفات المذمومة لليهود استطاع الشيخ شريف أحمدي أن يضعها بين يدي القارئ الألباني..[1]

= (آراء و اجتهادات إسلامية)، ٣٥١-٣٥٤

(١) راجع تفسيره مثلاً في ص: ٨٤، ١٤٩، ١٤٢، ١٥١

المبحث الرابع: بعض الملحوظات المنهجية على تفسيره، الاقتراحات، الشكر والخاتمة

إن الموضوعية والأمانة العلمية تقتضيان أن نبين أيضاً بعض المآخذ والملحوظات التي استطعنا أن نقف عليها أثناء دراستنا وقراءتنا لهذا التفسير المختصر القيم، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: الملحوظات المنهجية:

١- إن القارئ لا يمكنه التركيز ولا التطابق بين المعاني المترجمة للآيات وبين التفسير الإجمالي أو المختصر للآيات في أسفل الصفحة. هناك فصل وانقطاع بين معاني الآيات المترجمة و بين المعاني التفسيرية لها في الصفحات. فتجد في أعلى الصفحة الآيات المترجمة، بينما لا تجد في أسفل الصفحة ذاتها معاني أو تفسير لتلك الآيات. بعد مضي صفحة ونصف صفحة تجد التفسير لتلك الآيات السابقة. وهذا العمل يبدو لي أنه خلل فني ومطبعي، و لا يلام المفسر على ذلك، والله أعلم.

٢- هناك سقط لمعاني بعض الآيات وقلب لمعناها في الترجمة تماماً. راجع على سبيل المثال تفسير الآية وترجمتها لقوله تعالى ﴿ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ﴾،[النساء: ٢٥]، حيث تجده أنه أسقط معنى الآية و أثبت مكانها معنى خلاف ذلك المعنى، حيث قال في معنى الخِدن: "زانيات في السر والعلن "[١] ؟؟!!

(١) انظر تفسيره، ص: ١١٤

٣- بينما تجده في سورة المائدة، أثبت في ترجمته معنى: الخدن – الذي هو الصاحب أو الصاحبة، في قوله تعالى: ﴿ و لا متخذي أخدان ﴾،[المائدة: ٥][١].

٤- الشيخ رحمه الله كان يشعر القارئ في تفسيره بأنه قد رجع إلى مصادر أخرى غير تلك التي ذكرها في مقدمته. ولكن عند التحقيق تبين لنا أن تلك المصادر الأخرى والتي لم يذكرها في مقدمته، كانت في حقيقة الأمر مصادر ومراجع لهؤلاء المفسرين الذين نقل منهم، بينما في حقيقة الأمر هو لم يرجع إليها ولم ينقل منها، فكان من الأولى في حقه رحمه الله تمشّيًا مع الأمانة والمنهجية العلمية أن يكتفي بذكر تلك المصادر التي نقل منها مباشرة ورجع إليها هو شخصياً، والله أعلم.

٥- ومن هذه المصادر التي لم يذكرها في مقدمته ويظن القارئ بأنه قد رجع إليها، وهو في حقيقة الأمر لم يرجع إليها، نذكر منها: **تفسير الزمخشري، وتفسير القرطبي، وتفسير أبي السعود، وتفسير البحر المحيط، وتفسير الطبري، وتفسير سيد قطب**..[٢]، **والأحاديث النبوية الصحيحة، وكتب السنة الستة ومسند الإمام أحمد**.. [٣]، وكتب علوم القرآن والناسخ والمنسوخ، وكتب قصص الأنبياء والتاريخ، وكتب السيرة النبوية،

(١) انظر تفسيره، ص: ١٤٠

(٢) راجع تفسيره في هذه الصفحات: ١٥٣، ١٧٢، ٢٢٢، ٢٥٧، ٣٨٥، ٤٠٨، ٤١٩، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٨٤

(٣) راجع تفسيره، ص: ٤٤٠

وكتب أصول الفقه..[١]، والكتب العلمية العصرية المختلفة، وآثار الصحابة وكلامهم رضي الله عنهم..[٢]، وآثار والأئمة الكبار مثل الإمام الشافعي..[٣]. وغيرهم، والله أعلم.

ثانيًا: الخاتمة والتوصيات وعرفان بالجميل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين وأزواجه الطاهرات، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله الذي وفقنا لدراسة هذا التفسير المختصر وعرض وبيان منهج صاحبه رحمه الله. و لقد امتاز هذا التفسير بالأسلوب المشوق والجذاب والعبارات السلسة والسهلة. وكان صاحبه رحمه الله واضحًا في تفسيره وفي عرض دروسه المستفادة وبيان معاني الآيات وإبراز مقاصد القرآن، وقد ساعده على ذلك خبرته في التدريس باللغة الألبانية فترة من الزمن غير قصيرة وتمكنه من ناصية اللغة الألبانية والعربية. لقد كان بليغًا فصيحًا غير متكلف، كل من يقرأ تفسيره يندفع إليه ولا يستطيع المفارقة لحلاوة أسلوبه وطلاوة تعبيره.

كان رحمه الله تعالى قمة في الأخلاق والأدب في تعامله مع الآراء

(١) راجع تفسيره، ص: ١١٥

(٢) راجع تفسيره، ص: ١٨٤، ٢١٢

(٣) راجع تفسيره، ص: ٥٥٩

المخالفة، بعيداً عن التطرف والتعصب والهوى، متبعاً للحق والدليل الصحيح..[1].

ولقد أفدت كثيرًا من خلال معايشتي لهذا التفسير، وتعرفت على فكر الشيخ المفسر عن قرب، حيث كان ملتزمًا بمذهب أهل السنة و الجماعة عمومًا ولم يشذ عنهم إلا في بعض المسائل العقدية مثل موقفه من السحر ومسألة تأويل " استواء الله على العرش " في بعض المواضع الأخرى. و لا شك أن هذا التقصير من صفات البشر وأن الكمال المطلق لله عز وجل. وللشيخ المفسر رحمه الله مقالات تفسيرية أخرى في بعض المجلات المتسلسلة باللغة الألبانية والتي كانت تصدر من قبل المشيخة الإسلامية في دولة كوسوفا المسلمة..[2].

نسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جنته وأن يجزيه عما قدم للإسلام و المسلمين خير الجزاء إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه. ولا يسعني في هذا المجال بعد شكر الله عز وجل و توفيقه إياي لإتمام هذا

---

(١) راجع تفسيره من أوله إلى آخره، فستقف على هذه الحقيقة.

(٢) انظر المجلة السنوية بعنوان: **Takvim–Kalendar**، من مطبوعات المشيخة الإسلامية في بريشتنا –كوسوفا، سنة الطبع ١٩٨٤، ص: ٣٦–٤٧، ص: ١٠٣ –١١١، و انظر أيضاً المجلة المذكورة، سنة ١٩٨٦، ص: ٥٥–٦٧، و انظر أيضاً المجلة المذكورة، سنة ١٩٨٧، ص: ٥٠–٦٠. و للمزيد من آراء و اجتهادات الشيخ المفسر رحمه الله راجع كتابه المرجع بعنوان: H.Sherif Ahmeti-**Komente dhe Mendime Islame** (**اجتهادات و آراء إسلامية**)، ط١، ١٩٩٥، بريشتنا • كوسوفا، ص: ٣٥١ – ٣٥٤، ص: ٣٤٠–٣٤٤، ص: ٨٢ – ٩٠

البحث، وأنه لم يكن لهذا البحث أن يظهر على هذه الصورة لو لا الاقتراحات والملحوظات اللغوية والموضوعية القيمة لأصحاب الفضيلة العلماء والأساتذة الزملاء وأخص بالذكر، الأستاذ الدكتور حكمت بشير يسين، أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة سابقًا، والأستاذ الدكتور محمد باجعمان، أستاذ الحديث والعقيدة المساعد بكلية التربية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، والأستاذ الدكتور محمد عبد القادر هنادي، أستاذ اللغة العربية بكلية التربية بجامعة طيبة، والأستاذ الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة، أستاذ العقائد والأديان المساعد بكلية المجتمع جامعة طيبة، والأستاذ الدكتور أيمن سيد الصياد، الأستاذ المساعد للغة العربية وآدابها بكلية المجتمع بجامعة طيبة، فأنا لهم جميعًا شاكر ومقدر على كل ما بذلوه من جهد طيب ومشكور.

وأما عن توصياتي و اقتراحاتي في هذا الصدد:

أولاً: فإنني أناشد الجهات العلمية العليا والمعنية بهذا الشأن في الدول العربية والإسلامية بأن تخصص فريقاً علميًا ألبانيًا متمكنًا من العلوم الدينية والشرعية واللغة العربية والألبانية وعلومهما، حتى يراجعوا هذا التفسير المختصر ويستدركوا على الشيخ المفسر رحمه الله في تصحيح بعض المسائل التي ذكرناها آنفًا، ومن ثم يعيدوا طباعة هذا التفسير من جديد، مراعين عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات وغيرها من القضايا الأخرى.

ثانيًا: أدعو إخواني العلماء والباحثين من الألبان رجال الفكر والمعرفة،

أصحاب الفكر السليم، فرسان أهل السنة والجماعة، راغبين وجه الله عز وجل ورضوانه، قاصدين نشر رسالة القرآن إلى الناس أجمعين، واعين ومدركين لواقع حال الألبان الديني والاجتماعي والسياسي في الأراضي الألبانية وخارج أراضيها، أدعوهم إلى مشروع علمي خالد، إلى كتابة تفسير آخر باللغة الألبانية أكثر شمولية وعمقًا من هذا الذي بين أيدينا. و هذا لا يتم إلا بالاجتهاد والعمل الجماعي لأن الجماعة لا تجتمع على الضلالة، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد و على آله و سلم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

سلطنة بروناي ٢٠١١

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر و المراجع الألبانية:

- Ahmeti, Sherif; ١٩٩٥, *Komente dhe Mendime Islame*, Lidhja, Prishtine.
- Ahmeti,Sherif,١٩٩٣,*Kur-ani–Perkthim me Komentim*, Medine, Arabia Saudite
- Basha, Ali. ٢٠٠٠, *Islami ne Shqiperi gjate shekujve, , Tirane.*
- Frasheri, Sami. ١٩٩٩. *Shqiperia C-ka qene, C'eshte, e C'do behete*. Prishtine: Dija
- Dela Roka, Roberto Moroco.١٩٩٤. *Kombesia dhe feja ne Shqiperi* ١٩٢٠-١٩٤٤, (Transl.) Luan Omari , Tirane: Elena Gjika.
- Qafzezi, Ilo Mitko; *Kur-ani (Kendimi)*, Perkthyer prej I.M.Q.,Me dy piktura-shtypet nde kater fashikulla, kjo eshte e I-ra, Edicja e I-re, Shtypur nde Rumani-١٩٢١.
- Morina, ٢٠٠٠, Qemajl; *Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam*, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine
- Mehdiu, Feti; ١٩٩٦. *Perkthimet e Kur-anit ne gjuhen shqipe*, Logos-A, Shkup

- Pirraku, Muhamed.١٩٨٩.*Kultura Kombetare Shqiptare deri ne Lidhjen e Prizrenit*. Prishtine: Instituti Albanologjik i Prishtines.
- P.Alpan Kaci, , ١٩٩٧,Nesim; *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, Albin,Tirane
- Rizaj, Skender; ١٩٨٢ *Kosova gjate shekujve XV-XVI-XVII, administarta, ekonomia, shoqeria dhe levizja popullore,Rilindja, Prishtine.*
- Skendi, Eqber; ١٩٩٢, *Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina*, Rilindja, Prishtine.
- Shpuza,Gazmend,*Kuvendime per historinekombetare*,٢٠٠٠,Dituria, Tirane.
- Zekaj, Ramiz. ١٩٩٧. *Zhvillimi i Kultures Shqiptare te Shqipatert gjate shek. XX.* Tirane: Instituti Shqiptar i mendimit dhe qyteterimit ilamik.
- Xhelili, Qazim;١٩٩٨,*Vehbi Dibra - personalitet dhe veprimtar i shquar ilevizjes kombetare*, Albin, Tirane.

ثانيًا: المجلات و الدوريات الألبانية:

- المجلة الإسلامية الألبانية: (Kultura Islame)، **الثقافة الإسلامية**، تصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في ألبانيا، العدد: ٣-٤، نوفمبر و ديسمبر، ١٩٤١

- المجلة الإسلامية الألبانية: (Edukata Islame)، **التربية الإسلامية**،

تصدرها اللجنة التنفيذية باللغة الألبانية جماعة من العلماء في بريشتنا – كوسوفا، هذه الأعداد:

٣٣- ٣٤، سنة ١٩٨٢، ٣٧- ٣٨، سنة ١٩٨٣، ٣٩، سنة ١٩٨٤، ٤١- ٤٢: سنة ١٩٨٥، ٤٦-٤٧، سنة: ١٩٨٦، ٤٨-٤٩، سنة ١٩٨٧ .

- المجلة الإسلامية الألبانية السنوية بعنوان: (Takvim-Kalendar)، **التقويم الإسلامي**، من مطبوعات المشيخة الإسلامية في بريشتنا –كوسوفا، أعداد هذه الأعوام: عدد سنة: ١٩٨٤، عدد سنة: ١٩٨٦، عدد سنة: ١٩٨٧.

- المجلة الإسلامية الألبانية: (Zani i Nalte)، الصوت السامي، تصدرها المشيخة الإسلامية في ألبانيا، هذه الأعداد: ٨ شهر مايو: ١٩٢٤، ٩ شهر يونيو: ١٩٢٤، ٣ شهر مارس: ١٩٢٩

المصادر و المراجع الإنكليزية والبوسنية:

- Karcic, Fikret; *Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma - Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka*, Sarajevo, ١٩٩٠.
- Crecelius, Daniel Neil; *The Ulema and the state in modern Egypt*, Princeton, N.J, Princeton University Press, ١٩٦٧, Ph.D. thesis;
- J. J. G.Jansen. ١٩٨٠. *The Qoran Interpretation in Modern Egypt*. Leiden: E.J.Brill.

- Maududi, Abul A-la; A *short history of the Revivalist Movement in Islam,* transl.by Al-Ash-ari,The Other Press,Petaling Jaya, K.Lumpur,Malaysia, ١٩٩٩
- ٧th International Conference on Translation -The Translation of Religious Texts, ٦-٨ December, ١٩٩٩, Kuala Lumpur, Malaysia,

المصادر و المراجع العربية:

- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء. ١٣٥٦هـ. **تفسير القرآن العظيم**، (م.د، ط.د، مطبعة التجارية، مصطفى محمد).
- ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**. ١٣٩٨هـ جمع ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي. طبع بأمر صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم فهد بن عبد العزيز آل سعود، (المملكة العربية السعودية، ط١)
- أبو حجر، أحمد عمر. ١٩٩١. **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**. (بيروت: دار قتيبة للطباعة و النشر، ط١).
- أبو حنيفة، النعمان بن الثابت بن زطي الخزاز الكوفي: **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط و الأكبر المنسوبين لأبي حنيفة** - القسم الثاني: **رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة**، تحقيق: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، (عجمان: مكتبة الفرقان، ط١، ١٩٩٩م)
- أبو الخير، محمد عادل. ١٩٨٨. **اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم**(القاهرة: مركز الدلتا للطباعة، اسبورتنج، ط١،).

- الأرنؤوط،محمد موفاكو. ١٩٩٣. **الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو**. (عمان: دار البشير، ط.د).
- البخاري، **صحيح الإمام: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ و سننه و أيامه**، تحقيق: محمد نزار تميم & هيثم نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء. ١٩٨٧ . **معالم التنزيل**. تح: خالد العك-مروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط٢).
- الذهبي،محمد حسين: **التفسير والمفسرون**. (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٩).
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن.. **منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير**،(الرياض، ١٩٩٤: ط١).
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن: ١٩٨٦ . **ا تجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**. (إدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط١).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**،: (دار قتيبة، د.م، ط١، تحقيق: د. بديع السيد اللحام.
- زغلول، الشحات السيد. ١٩٧٧ . **الاتجاهات الفكرية في التفسير**.(الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢).
- سالم، إبراهيم بن حسن. ١٩٩٣ . **قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين**.(بيروت: دار قتيبة، ط١).
- الشاطبي، أبو إسحاق. ١٩٩٩ . **الموافقات في أصول الشريعة**

الإسلامية. تح. الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز،(بيروت: دار المعرفة، ط٤).

- الشوكاني، محمد بن علي، (**فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير**)، دار البشائر، ط٢، ١٩٨٩ بيروت، لبنان،
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٩٩٧. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** هذبه و قربه و خدمه صلاح عبد الفتاح الخالدي، خرج أحاديثه إبراهيم محمد العلي، (دمشق: دار القلم، ط١).
- الفتاح، عرفان عبد الحميد، ١٩٩٣. **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**.(بيرت: دار الجيل، ط١،).
- القرضاوي، يوسف: **المرجعية العليا في الإسلام للقرآن و السنة – ضوابط و محاذير في الفهم والتفسير**.(القاهرة: مكتبة وهبة، ط.د).
- القرضاوي، يوسف: ١٩٩٥. **شمول الإسلام في ضوء شرح مفصل للأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا**. (القاهرة: مكتبة وهبة،، ط٢).
- الماتريدي، أبي منصور: **التوحيد،** تحقيق: فتح الله خليف، (الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، ط.د، ت.د).
- **بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي،** الذي عقد في استانبول سنة ١٩٩٢م، ترجمة أرخان محمد علي، ط١، Yeni Bosna, Istanbul ١٩٩٧ Nesil Basim–Yayin

تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة
في تفسير غريب القرآن
جمعاً ودراسة

د. عليوي بن عبدالله الشمراني

د. عليوي بن عبدالله الشمراني

- عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية والآداب – جامعة تبوك.
- حصل على درجة الماجستير من قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود ، بأطروحة:(منهج ملا علي القاري في تفسيره أنوار القرآن وأسرار الفرقان).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود – بأطروحة: (قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب في تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير) .

ملخص البحث

(تعقبات ابنِ قتيبة على أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن) .

اسم الباحث:

د. عليوي بن عبدالله الشمراني – جامعة تبوك – كلية التربية والآداب – قسم الدراسات الإسلامية .

الملخص:

عرض الباحث إلى ترجمة مختصرة لأبي عُبيدة، وأشار إلى أشهر شيوخه وتلاميذه، وبعض أقوال العلماء فيه . وذكر أبرز مؤلفاته .ثم عرّف بكتابه مجاز القرآن .

أعقب ذلك بترجمة لابن قتيبة، وأشار إلى شيوخه وتلاميذه ، وثناء العلماء عليه، ثم عرّف بكتابه تفسير غريب القرآن .

قصد الباحث إلى صلب موضوع البحث، فذكر المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة ، فوجد أن ابن قتيبة تعقب أبا عبيدة في تسعة مواضع .

قام الباحث بدراسة تلك المواضع التسعة، وقارنها بأقوال المفسرين، وذكر أشهر أدلتهم، ومن ثم رجح بين تلك الأقوال .

بعد الدراسة والمقارنة وجد الباحث أن الصواب كان مع ابن قتيبة في سبعة مواضع من تلك المواضع التسعة .

تبين أن ابن قتيبة وإن بنى كتابه على الاختصار إلا أن ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى كلام أبي عبيدة، ومن ثم نقده والرد عليه بالأدلة دون إسهاب .

جاءت خاتمة البحث بذكر النتائج التي ظهرت أثناء الدراسة .

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد ...

فإن لسان العرب أوسع الألسنة، والقرآن نزل بلسانها، وجاء وفق بيانها، فمن رام معرفة تفسيره، وتطلّع لفهم معانيه وأحكامه، كان لزاماً عليه أن يعرف لغة العرب، ويتضلع بطرائقها في كلامها، وسننها في خطابها.

وقد صنف أئمة الإسلام مصنفات تعددت فنونها، وتنوعت أفنانها، واتحدت في غايتها ؛ لبيان معاني القرآن وفهم أحكامه .

ومن أولئك الأعلام من صنّف في غريب القرآن وبيان معانيه، كالإمام ابن قتيبة في كتابه الموسوم بـ" تفسير غريب القرآن "، وقد حوى ذاك الكتاب فوائد وفرائد بثها ابن قتيبة في ثنايا هذا الكتاب، فـ: "كل الصيد في جوف الفَرَا" .

وقد أفاد ابن قتيبة من كتاب أبي عبيدة ذائع الصيت المعروف بـ" مجاز القرآن " ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل، بل كان ناقداً في مواطن عدة، فنجده يتعقب أبا عبيدة في اختياره، ويرد عليه قوله .

ولما كان الأمر على ما وصفتُ لك، والشأن ما ذكرتُ لك، فقد جمعتُ تلك التعقبات في هذا البحث، وسميته:

(تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن) جمعاً ودراسة

وإليك ثلاثة أمور في هذه المقدمة:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١ – منزلة هذين الكتابين إذْ هما من أوائل المصنفات في غريب القرآن .

٢ – محاولة الكشف عن منهج ابن قتيبة في تعقباته لأبي عبيدة .

٣ – معرفة منزلة تلك التعقبات التي أشار إليها ابن قتيبة .

٤ – الوقوف على بعض قواعد الترجيح التي أومأ إليها ابن قتيبة واعتمد عليها في نقده .

ثانياً: خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس .

فالمقدمة: ما تطالعه الآن .

المبحث الأول

ترجمة لأبي عبيدة، وابن قتيبة، وتعريف بكتابيهما

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة لأبي عبيدة .

المطلب الثاني: تعريف بكتاب أبي عبيدة: " مجاز القرآن " .

المطلب الثالث: ترجمة لابن قتيبة .

المطلب الرابع: تعريف بكتاب ابن قتيبة: " تفسير غريب القرآن " .

المبحث الثاني

تعقبات ابنِ قتيبة على أبي عبيدة

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الضِّعْفين .

المطلب الثاني: معنى فارغاً.

المطلب الثالث: معنى مسحوراً.

المطلب الرابع: معنى لواقح .

المطلب الخامس: دلالة ردّ الأيدي إلى الأفواه.

المطلب السادس : معنى يأتمرون .

المطلب السابع: معنى الصُّوْر .

المطلب الثامن: معنى السَّكَر .

المطلب التاسع: معنى المقوين .

الخاتمة .

الفهارس .

ثالثاً: منهج البحث:

١ - قمت بقراءة كتاب ابن قتيبة، واستخلصت تلك المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة .

٢- قراءة كتاب أبي عبيدة، واستحضرت مواضع النقد التي وجهها إليه ابن قتيبة .

٣- اقتصر البحث على المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة، فأذكر عنواناً يدل على المسألة موضع الدراسة، وأشير إلى القاعدة التي اعتمد عليها ابن قتيبة في ترجيحه وتعقبه مقتبساً تلك القاعدة من كلامه، وأورد كلام ابن قتيبة، ثم أذكر أشهر أقوال المفسرين، وأجتهد في ذكر أدلة الأقوال، وأختم ذلك بالترجيح والنتيجة التي ظهرت من خلال الدراسة

والموازنة .

٤ – لم أنقل من كلام المفسرين إلا ما دعت إليه الضرورة ؛ لئلا أثقل البحث بتلك النقول – حاشا أبا عبيدة فأذكر كلامه ؛ ليتضح مراده، ويظهر اختياره– .

٥ – عزوت الآيات القرآنية، وخرّجت الأحاديث النبوية، وأومأت إلى درجتها، و عزوت الشواهد الشعرية، وشرحت غريبها إن لم يرد بيانه في كلام من أوردها . ولم أترجم للأعلام إلا ما ذكرته من شيوخ وتلاميذ أبي عبيدة وابن قتيبة حين التعريف بهما .

هذا وقد كففت القلم عن الإسهاب والإطناب في أحايين كثيرة ؛ خشية الإطالة والخروج عن الغاية، و " حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق " .

وأعتذر إليك إن ضعف البيان، أو قصر البنان، أو وقع الخطأ والنسيان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد سيد ولد عدنان .

المبحث الأول
ترجمة لأبي عبيدة، وابن قتيبة، وتعريف بكتابيهما
المطلب الأول
ترجمة أبي عبيدة [1]

اسمه ونسبه:

الإمام، العلامة، البحر، أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنى، التيمي مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف .

مولده:

اختلف في مولده، والأقرب أنه ولد سنة: (١١٠هـ) .

شيوخه[2]:

١ - أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة [3] .

---

(١) انظر: المعارف، لابن قتيبة: (ص: ٥٤٣)، وطبقات النحويين واللغويين، للزُّبيدي: (ص: ١٧٥)، والفهرست، لابن النديم: (ص: ٥٨)، وتاريخ الخطيب، للبغدادي: (١٥/ ٣٣٨)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٥)، وبغية الوعاة، للسيوطي: (٢/ ٢٩٤)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية، رسالة ماجستير، للباحث إيهاب فوزي الحجي : (ص: ٩- ١٤٥) .

(٢) لأبي عبيدة أكثر من سبعين شيخاً . انظر رسالة الماجستير الموسومة بـ " أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية "، للباحث إيهاب فوزي الحجي: (ص: ٥٦)

(٣) هو: زبّان، وقيل: العريان، أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري . شيخ القراء والعربية . وكان من أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر . مات في =

٢- يونس بن حبيب البصري، النحوي[١] .

٣-هشام بن عروة بن الزبير الإمام الكبير[٢] .

تلاميذه:

١- علي بن المديني الإمام المحدِّث [٣].

٢- أبو عُبيد القاسم بن سلام الإمام ذو الفنون [٤].

= حدود سنة: ١٥٧هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٤٠٧)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (١/ ٩١٤) .

(١)هو يونس بن حبيب أبو عبدالرحمن الضبي مولاهم، البصري، إمام النحو، كانت له حلقة ينتابها الطلبة والأدباء وفصحاء العرب. من مؤلفاته: معاني القرآن، واللغات، والنوادر . مات سنة: ١٨٣هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٨/ ١٩١)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٣/ ٢٩٨٢) .

(٢)هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر القرشي، الإمام الثقة، شيخ الإسلام . مات سنة: ١٤٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٤٦) .

(٣) علي بن عبدالله بن جعفر البصري، أبو الحسن، المعروف بابن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، العالم بالأسانيد وعللها . مات سنة: ٢٣٤هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١١/ ٤١) .

(٤)القاسم بن سلاَّم بن عبدالله، أبو عُبيد الهروي، البغدادي، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، كان إماماً في القراءات، حافظاً للحديث، رأساً في اللغة وعلومها .من مؤلفاته: غريب الحديث، وكتاب القراءات، والغريب المصنف في علم اللسان . مات سنة: ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٠/ ٤٩٠)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٨٣٨) .

٣- أبو حاتم السجستاني النحوي اللغوي[١] .

عقيدة أبي عبيدة:

نُسِب أبو عبيدة إلى رأي الخوارج، وقد أشار إلى ذلك بعض تلاميذه، ومعاصريه، ومن ألّف في الفِرق، وإليك أشهر من اتهمه بذلك:

الجاحظ إذْ يقول عنه: " وممن كان يرى رأي الخوارج أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى تيم مرة، ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه "[٢]

ويقول أبو حاتم السجستاني عنه: " كان يكرمني بناءً على أنني من خوارج سجستان "[٣] .

وقال عنه ابن قتيبة: " كَانَ الغريب وأيام العرب أغلب عليه، وكان لا يقيم البيت إذا أنشده، ويخطئ إذ قرأ القرآن نظراً، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج "[٤] .

ويقول أبو الحسن الأشعري: " ومن العلماء باللغة – وهو من

(١)سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ثم البصري، أبو حاتم، المقرئ، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف ومنها: إعراب القرآن، واختلاف المصاحف، وما يلحن فيه العامة. مات سنة: ٢٥٥هـ انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢/ ٢٦٨)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٠١٨) .

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ: (١/ ٢٨٠) .

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٧) .

(٤)المعارف، لابن قتيبة: (ص: ٥٤٣) .

الخوارج – أبو عُبيدة معمر بن المثنى، وكان صُفرياً[(١)]"[(٢)].

والذي يظهر أن أبا عُبيدة إن صحت نسبته إلى الخوارج فإنه لم يكن رأساً في هذا المذهب ولا من أركانه، يقول الدكتور محمد الشيخ عليو: " وفي تقديري أن أبا عبيدة كان يرى أصول الخوارج العامة، لكنه لم يكن يأبه بما كانت تختلف فيه فرقهم من المسائل والأحكام، بدليل عدم وجود كلام له يحدد فرقته في مصنفاته ..." [(٣)] .

أقوال العلماء فيه:

اختلف كلام العلماء في أبي عُبيدة بين المدح والقدح، - وقد سبق شيء من ذلك- وإليك بعض ما قيل:

فقد أثنى عليه المبرِّد بقوله: " كان أبو زيد الأنصاري أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو، وكانا بعده يتقاربان، وكان أبو عبيدة أكمل القوم " [(٤)] .

وأثنى عليه علي بن المديني، وقال: " كان لا يحكي عن العرب إلا

---

(١) اختلف في نسبة الصفرية، ولعل أقرب الأقوال أن هذه الفرقة تنسب إلى عبدالله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية أمره، ثم انفصل عنه عندما وقع الخلاف بين قادة الخوارج . انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، للدكتور أحمد محمد جلي: (ص: ٧٢) .

(٢)مقالات الإسلاميين: (١/ ١٨٤) .

(٣)مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري: (ص: ٨١٥) .

(٤) وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٧) .

الشيء الصحيح "[1] .

وبيّن الذهبي منزلته فقال : " قد كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد، بلى، وكان معافى من معرفة حكمة الأوائل، والمنطق وأقسام الفلسفة، وله نظر في المعقول "[2] .

وقال عنه الأزهري: " ... وله كتبٌ كثيرة في أيام العرب ووقائعها، وكان الغالب عليه الشعر، والغريب وأخبار العرب، وكان مُخلاً بالنحو كثير الخطأ، وكان مع ذلك مغرًى بنشر مثالب العرب، جامعاً لكل غثٍّ وسمين، وهو مذمومٌ من هذه الجهة، وموثوق به فيما يروي عن العرب من الغريب "[3] .

وانتقده السيوطي فقال: " وَكَانَ شعوبياً [4] "[5] .

قلت: الرجل كان عالماً بلسان العرب وأشعارها وأساليب كلامها، وأما اتهامه بالشعوبية فما زال اتهاماً حتى يقوم الدليل القاطع على صحته،

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٥/ ٣٣٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٧) .

(٣) تهذيب اللغة: (١/ ١٣) .

(٤) يقول الزَّبيدي في تاج العروس: (٣/ ١٤٤): "الشعُوبِيَّةُ: وهم فِرقَة لا تُفَضِّل العَرَبَ عَلَى العَجَم، ولا تَرَى لَهُم فَضْلاً عَلَى غَيْرِهِم".

(٥) بغية الوعاة: (٢/ ٢٩٥) .

والأصل البراءة [1].

مصنفاته:

أبو عبيدة ممن أكثر من التصانيف[2]، ومنها: مجاز القرآن، وكتاب تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب النقائض، وكتاب الخيل .

وفاته:

توفي أبو عبيدة سنة: (١٠٩هـ). وقيل سنة: (١١٠ هـ) [3].

(١) قلت: تحدث الدكتور محمد الشيخ عليو بكلام رصين حول اتهام أبي عبيدة بالشعوبية . انظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري: (ص: ٨١٥-٨١٨) .

(٢) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان: (٥/ ٢٣٨) أن تصانيف أبي عبيدة تقارب مائتي مصنف . وذكر ابن النديم في الفهرست: (ص: ٥٨) مائة وتسعة كتب . وأشار الباحث إيهاب فوزي الحجي في رسالته " أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية " إلى مائة وستة وثمانين كتاباً لأبي عبيدة (ص: ٣٦- ٥٣) .

(٣) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٤٣) .

المطلب الثاني

التعريف بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة

١ – لم يسم أبو عبيدة كتابه بـ(مجاز القرآن)[1]، وإنما سُمي بذلك لكثرة

(١) قلت: جاء في بعض المصادر التاريخية تصريح أبي عبيدة باسم كتابه وبيان السبب الذي دعاه إلى تأليفه، يقول أبو عبيدة: " أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه، فقدمت عليه، وكنت أُخبر عن تجبره، فأذن لي، فدخلت، وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي وهو جالس عليها، فسلمت بالوزارة، فرد وضحك إليّ واستدناني حتى جلست معه على فراشه، ثم سألني وألطفني وبسطني، وقال: أنشدني، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية، فقال لي: قد عرفت أكثر هذه، وأريد من ملح الشعر، فأنشدته، فطرب وضحك وزاد نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة، فأجلسه إلى جانبي، وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبُو عبيدة، علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، وقال لي: إن كنتُ إليك لمشتاقاً، وقد سُئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ قلت: هات، قال: قال الله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات: ٦٥) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله، وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أصنع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز، وسألت عن الرجل، فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، يقال له: إبراهيم بن إِسْمَاعِيل بن داود الكاتب " انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٥/ ٣٤١)، =

ورود هذا اللفظ في كتابه، فقد ذكر كلمة المجاز نحو (٨٧٠) مرة .

٢- أبو عبيدة حين يطلق كلمة المجاز فإنما أراد الإشارة إلى بيان معنى غريب، أو أسلوب من أساليب العرب في كلامها، ولم يرد بالمجاز حصره في المجاز قسيم الحقيقة الذي يذكره أهل البلاغة .

٣- يعد كتاب مجاز القرآن من أوائل الكتب المصنفة في غريب القرآن، بل صرح بعضهم أنه أول كتاب يصنّف في الغريب [1].

٤- قصد أبو عبيدة من كتابه المجاز بيان أن من تضلع بمعرفة لسان العرب وسننها فقد تهيأ لفهم القرآن ومعانيه [2]. وأبان أبو عبيدة أنّ القرآن عربي لا معرب فيه، وما جاء فيه مما يظن أنه معرب فذاك على اتفاق الألفاظ وتقاربها[3] .

٥- اعتمد أبو عبيدة في كتابه على معرفته الواسعة بلغة العرب، وإلمامه بمعاني كلامها، وأساليب بيانها، ويدل لذلك قول أبي عمر الجرمي: " أتيت أبا عبيدة بشيء منه (أي كتابه مجاز القرآن) فقلت له: عمّن أخذت هذا يا أبا عبيدة؟ فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء؟

فقال لي: هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم، فإن شئت فخذه، وإن شئت فذره"[4] .

= والمنتظم، لابن الجوزي: (١٠/ ٢٠٧)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٦) .

(١) انظر: فهرسة، ابن خير الإشبيلي: (ص: ٥٤) .

(٢) انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨) .

(٣) انظر: مجاز القرآن: (١/ ١٧) .

(٤) طبقات النحويين واللغويين، للزُّبيدي: (ص: ١٧٦) .

٦- يعد مجاز القرآن لأبي عبيدة ديواناً للشواهد الشعرية، التي يوردها إما بياناً لمعنى غريب، أو دلالة على أسلوب من أساليب العرب التي نزل عليها القرآن، وقد بلغت تلك الشواهد الشعرية (٩٥٢) شاهداً[١].

٧- عرض أبو عبيدة في المجاز إلى نحو (١٠٠) مسألة من مسائل النحو[٢]، ولا يمثل مجاز القرآن نصرة لمدرسة نحوية، فلم يكن أبو عبيدة يتقيد برأي البصريين أو الكوفيين ، فقد كان معاصراً لأوائلهم، وللرجل رأيه واختياره.

٨- مجاز القرآن لا يمثل نصرة لمذهب اعتقادي .

٩- لم يذكر أبو عبيدة أقوال السلف في كتابه ؛ وذاك يتفق مع المنهج الذي ارتسمه لكتابه ؛ إذْ كان يرى أن تفسير السلف يقوم على علمهم بلغة العرب، وسننها في كلامها [٣]، وكأن أبا عبيدة أراد أن يشير إلى المعين الذي كان السلف ينهلون منه .

١٠- منهج أبي عبيدة في مجاز القرآن يتلخص فيما يلي:

أ- قدم بمقدمة مختصرة لكتابه ذكر بعض المصطلحات مثل: (القرآن،

---

(١) ذكر أرقام تلك الشواهد الدكتور فؤاد سزكين. انظر: مجاز القرآن: (٢/ ٣١٧) .

(٢)انظر: المسائل النحوية في مجاز القرآن لأبي عبيدة ورأيه فيها، للباحث: سلام عبدالله محمود عاشور: (١٠٦-١١٠) .

(٣)انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨) . قلت: وإغفال أبي عبيدة لما جاء عن السلف، أو عدم نظره للسياق جعل كتابه عرضة للنقد في بعض المواطن .انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للدكتور مساعد الطيار: (ص: ٣٤٧-٣٥٧) .

والسورة، والآية) [١] .

ب- ذكر عَقِب ذلك جملة من الأساليب العربية الواردة في القرآن، فأشار إلى نحو عشرين أسلوباً [٢].

ج- رتب كتابه على تريب سور المصحف .

د- يذكر اسم السورة .

هـ- لم يعرض لآيات السورة كلها، وإنما يفسر جملة من آياتها .

و- عُني بالألفاظ الغريبة، والأساليب العربية في الآيات .

ز- تفسيره وبيانه يقوم على ذكر الشواهد من كلام العرب وأشعارها، لبيان غريب، أو توضيح أسلوب .

ح- إيراده للقراءات والآثار قليل جداً [٣].

---

(١) انظر: مجاز القرآن: (١/ ١-٧) .

(٢) انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨-١٩) .

(٣) أشار إلى بعض القراءات في نحو (١٧) موضعاً، وذكر نحو (٦) أحاديث . قلت: لم يذكر أبو عبيدة أقوال السلف في التفسير .

المطلب الثالث

ترجمة ابن قتيبة[1]

اسمه:

العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ[2]، صاحب التصانيف[3] .

مولده:

ولد ابن قتيبة سنة: (٢١٣هـ).

شيوخه:

١- إسحاق بن راهويه[4] .

---

(١) انظر: الفهرست، لابن النديم: (ص: ١٠٥)، وتاريخ الخطيب، للبغدادي: (١١/ ٤١١)، والمنتظم، لابن الجوزي: (١٢/ ٢٧٦)، و وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٣/ ٤٢)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/ ٢٩٦)،، والبداية والنهاية، لابن كثير: (١١/ ٥٦)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٤١٤) .

(٢) مدينة من أعمال الجبل، قرب همذان، وينسب إلى الدِّينْوَر جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث . انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/ ٥٤٥) . قلت: وتقع دينور في غربي إيران في منطقة إقليم كردستان .

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/ ٢٩٦) .

(٤)إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي، أبو يعقوب بن راهويه، الإمام الكبير، إمام المشرق، سيد الحفاظ، أحد الأعلام، وعلماء الإسلام، والمجتهدين من الأنام . من تصانيفه: كتاب السنن، والمسند، والتفسير . مات سنة: ٢٣٨هـ . انظر: سير أعلام =

٢- محمد بن سلام الجمحي[١] .

٣- أبو حاتم السجستاني النحوي اللغوي[٢] .

تلاميذه:

١-ابنه أبو جعفر، أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة[٣].

٢- ابن دُرُستويه [٤].

٣- قاسم بن أصبغ [٥].

= النبلاء، للذهبي: (١١/ ٣٥٨)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (١/ ٤٦٢) .

(١)محمد بن سلام بن عبيدالله الجُمحي بالولاء، أبو عبدالله .كان عالماً، أخبارياً، أديباً، بارعاً . من تصانيفه: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، وغريب القرآن . مات سنة: ٢٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي : (١٠/ ٦٥١)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٣/ ٢١٠٢) .

(٢) سبقت ترجمته: (ص: ٥) .

(٣) كان يحفظ كتب أبيه، وحدّث بها كلها حفظاً بمصر، وتولى القضاء بمصر . مات سنة: ٣٢٢هـ . انظر: معجم الأدباء، للحموي: (١/ ٢٩٣) .

(٤) عبد الله بن جعفر بن دُرُستويه الفارسي النحوي، أبو محمد، أحد من اشتهر وعلا قدره، وكثر علمه، صَحِبَ المُبَرِّد، وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة، ومن مصنّفاته: شرح فصيح ثعلب، وأسرار النحو، ومعاني الشعر، وغير ذلك. مات سنة: ٣٤٧هـ . انظر: كتاب البلغة، للفيروزآبادي: (ص: ٩٨)، وبغية الوعاة، للسيوطي(٢/ ٣٦) .

(٥)قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، الإمام، الحافظ، محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، من تصانيفه: مسند مالك، المنتقى في الآثار، كتاب الأنساب . مات سنة: =

عقيدة ابن قتيبة:

ابن قتيبة من أهل السنة والجماعة، وقد صرّح بذلك إذْ يقول: " ولو أردنا -رحمك الله - أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام،ونرغب فيهم، لخرجنا من اجتماع إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف ؛ لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، وعلى أنه خالق الخير والشر، وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، وعلى تقديم الشيخين، وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول، ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه، وبدعوه وهجروه ..." [(١)] .

ويقول ابن تيمية عنه : " ابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد، وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة ... ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة "[(٢)] .

= ٣٤٠هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٥/ ٤٧٢)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٨٣٣) .

(١)تأويل مختلف الحديث: (ص: ٦٤) .

(٢)مجموع الفتاوى: (١٧/ ٣٩١) . قلت: اتهم ابن قتيبة بتهم في عقيدته وعلمه وخلُقه . وتلك التهم لا تثبت، بل هي مجازفات لا أساس لها. وقد عرض الدكتور علي بن نفيع العلياني تلك التهم ودحضها في كتابه: عقيدة الإمام ابن قتيبة: (ص: ١٠٨-١٢٥) .

ثناء العلماء عليه:

يقول عنه ابن النديم "وكان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه، كثير التصنيف والتأليف " [١] .

و قال الخطيب البغدادي عنه: " كان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة "[٢] .

ويقول ابن الجوزي عنه: " كان عالماً، ثقةً، ديناً، فاضلاً، وله التصانيف المشهورة "[٣] .

ويقول ابن خلكان: " وتصانيفه كلها مفيدة " [٤].

وقال عنه الذهبي: " وكان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس "[٥] .

ويقول عنه ابن كثير: " النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة "[٦] .

مصنفاته:

ابن قتيبة كثير التصنيف في مختلف الفنون [٧]، ومن أشهر مصنفاته:

(١)الفهرست: (ص: ١٠٥) .

(٢)تاريخ بغداد: (١١/ ٤١١) .

(٣)المنتظم: (١٢/ ٢٧٦) .

(٤)وفيات الأعيان: (٣/ ٤٢) .

(٥)سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٢٩٨) .

(٦)البداية والنهاية: (١١/ ٥٦) .

(٧)انظر: الفهرست، لابن النديم: (ص: ١٠٥-١٠٦) .

تفسير غريب القرآن، وغريب الحديث،وتأويل مشكل القرآن،وتأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار، والشعر والشعراء، وأدب الكاتب .

وفاته:

توفي ابن قتيبة سنة: (٢٧٦هـ) [١] .

(١)انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١١/ ٤١١) .

المطلب الرابع
التعريف بكتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة

أبان ابن قتيبة عن منهجه في كتابه، وكشف عن طريقته السائر عليها، فقال في مقدمة كتابه: " نَفَتتِحُ كتابَنا هذا بذكْر أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا ؛ فنُخبِرُ بتأويلهما واشتقاقهما؛ ونُتْبِعُ ذلك ألفاظاً كثر تَرْدادُها في الكتاب، لم نر بعض السُّور أولى بها من بعض؛ ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله ؛ إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا، بحمد الله.

وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ؛ وأن لا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدِّلالةَ على الحرف المستعمل؛ وأن لا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد. فإنَّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث؛لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف – رحمة الله عليهم – بعينه؛ ولو آتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلَّفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه ؛ لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب، وقطعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِينَاه وكُفِيناه. وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين. لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ

معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة، وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية، ونَبَذْنَا مُنكَرَ التأويل، ومَنحولَ التفسير "[1] .

ويمكن أن نعرض كتاب ابن قتيبة في عدة نقاط:

١- لم يسم ابن قتيبة كتابه صراحة، ولكنه أشار في مقدمته السابقة إلى موضوع الكتاب بقوله: " ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن " .

٢- ذكر ابن قتيبة ترتيب كتابه، فجاء على النحو التالي:

أ- عقد باباً بعنوان: " اشتقاق أسماء الله وصفاته، وإظهار معانيه"[2].

ب- أتبع ذلك بذكر: باب تأويل حروف كثرت في الكتاب "[3] .

ج – شرع بعد في تفسير غريب القرآن، مرتباً كتابه وفق ترتيب المصحف، يذكر اسم السورة، ثم الغريب من ألفاظها مع بيان معناها .

٣- بنى ابن قتيبة كتابه على الإيجاز والاختصار .

٤- المعنى الذي يذكره ابن قتيبة في تأويل الآية هو المختار عنده، والراجح لديه، كما أفصح عن ذلك .

٥- اعتنى ابن قتيبة في كتابه بذكر الشواهد الشعرية لبيان معنى غريب، أو للدلالة على أسلوب، وقد بلغ عدد تلك الشواهد نحو (٢٢٠) شاهداً

---

(١)تفسير غريب القرآن: (ص: ٣-٤) .

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن: (ص: ٦-٢٠). فذكر في هذا الباب (٢٦) لفظاً وبين معانيها.

(٣) انظر: المصدر السابق : (ص: ٢١-٣٧) . ذكر تحت هذا الباب (٤٠) كلمة تكررت في بعض سور القرآن، وبين معناها .

شعرياً .

٦-أورد ابن قتيبة نحو (٣٠)حديثاً نبوياً[١] .

٧- إذا ترتب على الاختلاف في القراءات اختلاف المعنى ذكر ذلك ابن قتيبة، وقد ذكر نحو(٤٧) موضعاً .

٨- اهتم ابن قتيبة ببيان اشتقاق الكلمة .

٩- كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أسبق من كتابه تفسير غريب القرآن، ولذا كثرت الإحالة عليه .

١٠- انتفع ابن قتيبة من كتابي أبي عبيدة والفراء .

١١- أقوال السلف قليلة جداً في كتاب ابن قتيبة، وقد أوضح سبب ذلك في مقدمته .

---

(١)كما في ترقيم السيد أحمد صقر: تفسير غريب القرآن: (ص: ٥٥٥) .

المبحث الثاني
تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة

المطلب الأول: معنى الضِّعْفين

قاعدة: القول الذي يؤيده سياق الآيات أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، وتعددت أقوالهم، نظرنا في سياق الآيات فأولى الأقوال وأرجحها حينئذ ما اتفق وسياق الآيات ؛ لأن انتظام الكلام أولى من تفريقه وتشتيته.

وقد رجّح ابن قتيبة بهذه القاعدة، وتعقب أبا عبيدة مستنداً إلى دلالة السياق، فعند قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[1].

يقول: "﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ قال أبو عبيدة: يُجعل الواحدُ ثلاثةً لا اثنين. هذا معنى قول أبي عبيدةَ.

ولا أراه كذاك؛ لأنه يقول بعدُ: ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي: يُطعهْما. ﴿ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ ﴾[2] ؛ فهذا يدلُّ على أن (الضِّعفين) ثَمَّ أيضًا: مِثْلان.

وكأنه أراد: يضَاعف لها العذابُ، فيجعل ضِعفَيْن، أي مِثليْن، كلُّ

(١) سورة الأحزاب: (٣٠) .

(٢) سورة الأحزاب: (٣١) .

واحد منهما ضعفُ الآخر. وضعفُ الشيء: مِثلُه. ولذلك قرأ أبو عَمْرٍو: (يُضَعَّفْ) [١] لأنه رأى أن (يُضعَّف) للمِثْل و(يُضاعف) لما فوق ذلك.

وهذا كما يقول الرجل: إن أعطيتَني درهمًا كافأتك بضِعفَيْن -أي بدرهمين- فإن أعطيتَني فردًا أعطيتُك زوجَيْنِ؛ يريد اثنين. ومثلُه: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ أي مِثْلَين"[٢] .

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون في معنى هذه الآية قولين:

القول الأول: أن المراد بالضعفين: المِثْلان، فيكون العذاب مرتين، وهذا اختيار ابن قتيبة، وهو قول جماهير أهل التفسير، و منهم:

الطبري[٣]، والزجاج[٤]، والنحاس[٥]، والسمرقندي [٦]، ومكي بن

---

(١)يقول ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر: (٢/ ٣٤٨): " وَاخْتَلَفُوا فِي: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِالنُّونِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَهَا، وَنَصْبِ الْعَذَابَ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ بِالْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَهَا وَرَفْعِ الْعَذَابُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ بِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ وَأَلِفٍ قَبْلَهَا ".

(٢) تفسير غريب القرآن: (ص: ٣٥٠) .

(٣) انظر: جامع البيان: (٢٠/ ٢٥٥) .

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ٢٢٦) .

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ٣٤٣) .

(٦) انظر: بحر العلوم: (٣/ ٥٥) .

أبي طالب[1] ، وابن الجوزي[2]، والقرطبي [3]، والبيضاوي [4]، والنسفي[5]، والخازن [6]، وأبو حيان[7]، والإيجي[8]، وأبو السعود[9]، والشوكاني[10]، والآلوسي[11]، وابن عاشور[12] .

دليل هذا القول: سياق الآية دل على أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يؤتين الأجر على الطاعة مرتين - فإذا كان ذلك كذلك – تبين أنّ المراد بالضعفين من العذاب أن يكون مرتين كذلك .

القول الثاني: أن المراد بالضعفين من العذاب أن يُجعل العذاب ثلاثة أعْذبة ، وهذا قول أبي عبيدة إذْ يقول: " ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ أي يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة ؛ لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٩/ ٥٨٢٧) .

(٢) انظر: زاد المسير: (٤/ ٣٧٢) .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ١٧٤) .

(٤) انظر: أنوار التنزيل: (٥/ ١١) .

(٥) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ٤٤٠) .

(٦) انظر: لباب التأويل: (٥/ ٢٥٧) .

(٧) انظر: البحر المحيط: (٧/ ٢٢٠) .

(٨) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٣٥٠) .

(٩) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ١٠١) .

(١٠) انظر: فتح القدير: (٤/ ٢٧٦) .

(١١) انظر: روح المعاني: (٢١/ ١٨٤) .

(١٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢١/ ٣١٩) .

مثلا الشيء، ومجاز: (يُضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة، فأما قوله: و(يُضَعَّف) أي: يجعل الشيء شيئين "[١].

دليل هذا القول: القراءة المتواترة في الآية: (يُضاعف) ومعنى ذلك أن يضاف إلى الشيء مثلاه، حتى يكون ثلاثة أمثاله، وعلى هذا فيحمل الضعفين من العذاب على أنه ثلاثة أعْذِبة .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح اختيار ابن قتيبة وجماهير أهل التفسير أن المراد بالضعفين من العذاب في الآية أن يكون العذاب مرتين، وذلك لما يلي:

١- سياق الآية شاهد على ذلك، و دلالة السياق مقدمة عند التنازع، إلا إذا وجدت قرينة صارفة عن ذلك، ولا قرينة هنا.

٢- الغالب في كلام العرب أنها تطلق الضِّعف وتريد به المثلين - وإن كان لا ينكر في كلامها إطلاق الضعف على ما زاد على المثلين[٢] - ولكن الأولى حمل القرآن على دلالة الغالب، خاصة وقد شهد السياق بذلك .

وأما قول أبي عبيدة في تفريقه بين دلالة: (يُضاعف) و: (يُضَعَّف) فقد أجاب عن ذلك أبو جعفر النحاس، فذكر أن التفريق بين دلالتها لا يعرفه أحد من أهل اللغة، والمعنى في (يُضاعف) و(يُضَعَّف)، واحد أي:

---

(١) مجاز القرآن: (٢/ ١٣٦) .

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٩/ ٢٠٣)،

يجعل ضعفين، أي: مثلين، كما تقول: إن دفعت إليّ درهماً دفعت إليك ضعفيه، أي: مثليه، يعني: درهمين[1] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٥/ ٣٤٤)، وجامع البيان، للطبري: (٢٠/ ٢٥٥).

المطلب الثاني: معنى فارغاً

ورجح ابن قتيبة بقاعدة السياق التي سبقت الإشارة إليها في المثال السابق، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

يقول: " ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ ﴾ قال أبو عبيدة: فارغًا من الحزن لعلمها أنه لم يُقتل؛ أو قال: لم يَغْرَق .

وهذا من أعجب التفسير . كيف يكون فؤادُها من الحزن فارغًا في وقتها ذاك، واللهُ سبحانه يقول: چۂ ۀ ہہ ۂ چ ؟! وهل يُربَطُ إلا على قلب الجازع والمحزون؟! والعربُ تقول للخائف والجبان: فؤاده هواء. لأنه لا يَعِي عزمًا ولا صبرًا. قال الله: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[2] .

وقد خالفه المفسرون إلى الصواب، فقالوا أصبح فارغًا من كل شيء إلا من أمر موسى؛ كأنها لم تهتمَّ بشيء -مما يهتم به الحيُّ- إلا أمْرَ ولدها[3].

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فذكروا عدة معان مرجعها إلى قولين:

القول الأول: أصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء إلا من ذِكْر موسى

---

(١) سورة القصص: (١٠) .

(٢) سورة إبراهيم: (٤٥) .

(٣) تفسير غريب القرآن: (ص: ٣٢٨) .

والحزن عليه . وذهب إلى هذا المعنى:

الفراء[1]،والطبري[2]،والزجاج[3]،والنحاس[4]، والسمرقندي [5]، والواحدي[6]، والبغوي[7]،والزمخشري[8]، والقرطبي[9]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]، والخازن [12]،وأبوحيان[13]، وابن كثير[14]، والإيجي[15]، وأبو السعود[16]، والشوكاني [17]، والآلوسي[18] .

---

(١) انظر: معاني القرآن: (٢/ ٣٠٣) .

(٢) انظر: جامع البيان: (١٩/ ٥٢٨) .

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ١٣٤) .

(٤) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ١٥٩) .

(٥) انظر: بحر العلوم: (٣/ ٣٠٨) .

(٦) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٣) .

(٧) انظر: معالم التنزيل: (٣/ ٥٢٥) .

(٨) انظر: الكشاف: (٣/ ٣٩٥) .

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٢٥٤) .

(١٠) انظر: أنوار التنزيل: (٤/ ٢٨٤) .

(١١) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ٣٣٠) .

(١٢) انظر: لباب التأويل: (٥/ ١٦٥) .

(١٣) انظر: البحر المحيط: (٧/ ١٠١) .

(١٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٢٣٣) .

(١٥) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٢٣٨) .

(١٦) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ٢٢٦) .

(١٧) انظر: فتح القدير: (٣/ ١١٥) .

(١٨) انظر: روح المعاني: (٢٠/ ٤٨) .

دليل هذا القول: التعقيب بقوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾، يدل على أن قلبها فرغ من كل شيء إلا من الحزن على موسى عليه السلام، ولذا ربط الله على قلبها، والقول الذي يؤيده السياق أولى من غيره .

القول الثاني: أن المعنى أصبح فؤاد أم موسى فارغاً من الحزن عليه لعلمها أنه لم يغرق . وهذا قول أبي عبيدة إذ يقول: " ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ مجازه: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، منه قولهم: دم فرغٌ، أي: لا قود فيه، ولا دية فيه"[١].

وقال بهذا المعنى: الأخفش [٢]، والعكبري[٣]، وابن عاشور[٤] .

دليل هذا القول: قالوا: إنّ أم موسى عليه السلام أيقنت بوعد الله تعالى بحفظ ابنها، وحينئذ فرغ قلبها من الحزن على موسى عليه السلام .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن وافقه من المفسرين، وأن معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ أن قلب أم موسى أصبح فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى والحزن عليه، وذلك لما يلي:

١ – أن هذا القول هو القول الأنسب للسياق، والمعنى الذي يؤيده السياق

(١) مجاز القرآن: (٢/ ٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٥٣) .

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠١٧) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: (٢٠/ ٨٠) .

أولى من غيره .

٢- هذا المعنى يتفق وما عُلم من شفقة الأم وشدة وجْدها على أولادها بما أودع في نفسها، فكيف إذا ألمّ بهم كرب، أو خشية عليهم مكروهاً ؟!

٣- ذهب إلى هذا القول جماهير المفسرين، وقول الجماعة أولى من غيره ما لم تقم حجة على خلافه .

ويجاب عن قول أبي عبيدة ومن وافقه:

بأن قولهم مخالف لسياق الكلام، وللظاهر المتبادر من الخطاب .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

المطلب الثالث: معنى مسحوراً

قاعدة: تحمل معاني القرآن على أحسن الوجوه وأوضحها، ولا حاجة لمعنى مستكره:

القرآن نزل بأحسن الألفاظ وأجملها، ومعاني القرآن هي كذلك في الحسن والبيان – فإذا كان الأمر كذلك – فلا حاجة إلى أن تفسر معاني القرآن على وجه مستكره، وفي المعاني الواضحة الجلية غُنية عن ذلك .

وقد رأينا ابن قتيبة يتعقب أبا عبيدة ويحكم على المعنى الذي ذهب إليه بأنه معنى مستكره، لا ينبغي القول به، وفي أقوال السلف غُنية عن ذاك المعنى، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴾[1] .

يقول ابن قتيبة: " ﴿ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ ﴾ أي: مُتَنَاجون: يُسَارُّ بعضهم بعضا.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴾ قال أبو عبيدة: يريدون بشراً ذا سَحْرٍ، أي ذا رِئَةٍ . ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير المستكره ؟ .

وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه. قال مُجَاهد في قوله: ﴿ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴾ أي: مَخْدُوعًا؛ لأن السِحر حيلة وخديعة. وقالوا في قوله: ﴿ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾[2] أي: من أين تخدَعون ؟ و﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ

(١) سورة الإسراء: (٤٧) .

(٢) سورة المؤمنون: (٨٩) .

﴿ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾[1] أي من المُعَلَّلِينَ . وقال امرؤ القيس:

ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشرابِ [2]

أي نُعَلَّل، فكأنا نخدع. وقال لَبِيد:

فإن تسألينا: فيمَ نحن؟ فإنَّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ [3]

أي المُعَلَّل. والناس يقولون: سحرْتني بكلامك. يريدون خدعتني.

وقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[4] يدل على هذا التأويل؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه. ولكنهم لما أرادوا رجلاً مَخْدُوعًا - كأنه بالخديعة سُحِر - كان مثلاً ضربوه، وتشبيهاً شبّهوه. وكأن المشركين ذهبوا إلى أن قومًا يعلِّمونه ويخدعونه. وقال الله في موضع آخر حكاية عنهم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[5]

وقول فرعون: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[6] لا يجوز أن يكون أراد به: إني لأظنك إنسانًا ذا رِئَةٍ؛ وإنما أراد: إني لأَظنك مَخْدُوعًا "[7] .

---

(١) سورة الشعراء: (١٥٣) .

(٢) ديوان امرئ القيس: (ص: ٧٨) . وصدر البيت: أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيْبٍ .

(٣) ديوان لبيد: (٤٧).

(٤) سورة الإسراء: (٤٨) .

(٥) سورة النحل: (١٠٣) .

(٦) سورة الإسراء: (١٠١) .

(٧) تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٥٥-٢٥٧) .

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بالمسحور في هذه الآية، وإليك أشهر أقوالهم:

القول الأول: أن المراد بالمسحور: المخدوع، وهذا اختيار ابن قتيبة، وممن ذهب إليه من المفسرين:

مجاهد(١)،والنحاس(٢)، والواحدي(٣)، والخازن(٤)، والخطيب الشربيني(٥) .

أدلة هذا القول:

١- معاني القرآن تحمل على أحسن الوجوه وأوضحها، ولا ينبغي حمل معانيه على معنى مستكره، وهذا التأويل واضح الدلالة لا استكراه فيه .

٢- سياق الآيات يؤيد هذا المعنى ؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ يأكل ويشرب، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه له .

٣- نظائر هذه الآية تدل على هذا التأويل .

القول الثاني: أن المراد بالمسحور: المجنون الذي سُحِر فاختلط عقله، وذهب

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٤/ ١٦١)، وبحر العلوم، للسمرقندي: (٢/ ٣١٤) . ولم أهتد إليه في تفسير مجاهد المطبوع .

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ١٦١) .

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٦٣٦) .

(٤) انظر: لباب التأويل: (٤/ ١٦٣) .

(٥) انظر: السراج المنير: (٣/ ٣٤٦) .

إلى هذا المعنى جماهير أهل التفسير، ومنهم:
مقاتل[1]، وابن عطية[2]، وابن الجوزي[3]، والرازي[4]، والنسفي[5]، وأبو حيان[6]، وابن كثير[7]، والثعالبي[8]، والبقاعي[9]، والإيجي[10]، وابن عجيبة[11]، والآلوسي[12]، والسعدي[13]، وابن عاشور[14].

أدلة هذا القول:

هي أدلة القول الأول نفسها، ويزاد على ذلك بأن أشهر دلالة لكلمة (مسحور) هو ذاك المجنون الذي سُحِر فغُلِب على عقله.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز: (٣/ ٤٦١)

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر: (ص: ٣٥٥).

(٤) انظر: مفاتح الغيب: (٢٠/ ٣٥٢).

(٥) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٦٣).

(٦) انظر: البحر المحيط: (٦/ ٤٠).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٨٣).

(٨) انظر: الجواهر الحسان: (٣/ ١٣١).

(٩) انظر: نظم الدرر: (٤/ ٣٩١).

(١٠) انظر: تفسير الإيجي: (٢/ ٣٩٣)، و: (٣/ ١٤٦).

(١١) انظر: البحر المديد: (٣/ ٢٠٥).

(١٢) انظر: روح المعاني: (١٥/ ٨٩).

(١٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٥٩).

(١٤) انظر: التحرير والتنوير: (١٨/ ٣٢٩).

القول الثالث: المراد بالمسحور في هذه الآية : الذي له سَحْر، أي: رئة[١]، ولذا يأكل ويشرب فهو بشر مثلكم، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول:

"﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: ما تتبعون،كقولك: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي له سَحْر، وهو أيضاً مُسَحَّر، وكذلك كل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور ؛ لأن له سَحْراً، والسَّحْر الرِّئة، قال لبيد:

فإن تسألينا: فيمَ نحن؟ فإنَّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ

وقال[٢]: ونُسْحَرُ بالطَّعام وبالشرابِ

أي: نُغذي ؛ لأن أهل السماء لا يأكلون،فأرادوا أن يكون مَلَكاً "[٣].

وذهب إلى هذا المعنى مكي بن أبي طالب[٤] .

دليل هذا القول:

قالوا: السَّحْر الرِّئة، وعليه فإن المشركين أرادوا بقيلهم ذاك صد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فما هو إلا بشر مثلهم يأكل ويشرب .

القول الرابع: جوّز بعض المفسرين حمل الآية على معنيين، فالمسحور يراد به: المجنون، ويراد به: الذي له رِئة، فهو يأكل ويشرب، وذهب إلى هذا

---

(١) السَّحْر: يطلق على: الرئة، وعلى ما الْتَزَق بالحُلْقُوم والمَرِئ من أعْلَى البَطْنِ-من قَلْب وكَبِدٍ ورِئَةٍ- انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٤٨)، وتاج العروس، للزّبيدي: (١١/ ٥١٠) .

(٢) أي: امرىء القيس كما سبق: (ص: ٢٤)

(٣) مجاز القرآن: (١/ ٣٨١) .

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/ ٤٢١٨)، و: (٨/ ٥١٧٩) .

القول: الطبري[1]، وأبو السعود[2] .

دليل هذا القول:

يمكن أن يستدل لهذا القول بأنه إذا أمكن حمل القرآن على أكثر من معنى فهو أولى ؛ فذاك من خصائص الكلام البليغ .

الترجيح

الذي يظهر أن الراجح القول الثاني، وهو قول جماهير أهل التفسير، أن المراد بالمسحور: المجنون الذي سُحِر فاختلط عقله، وذاك لما يلي:

١ – قوة أدلتهم .

٢ – أن هذا المعنى هو المتبادر الشائع عند الإطلاق، ومعاني القرآن تحمل على المعروف المشهور في لسان العرب .

ويجاب عن الأقوال الأخرى:

١ – قول ابن قتيبة ومن وافقه بأن المراد بالمسحور: المخدوع – وإنْ كان له حظ من النظر ؛ لأن السحر حيلة وخديعة – إلا أن هذا المعنى ليس هو المتبادر عند الإطلاق .

٢ – قول أبي عبيدة بأن المراد بالمسحور: الذي يأكل ويشرب . قد أجاب عن هذا القول وتولى الرد عليه ابن قتيبة فأجاد وأحسن .

٣– القول بأن تحمل الآية على المعنيين، يجاب عن ذلك: بأن حمل الآية على

---

(١) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٤٦٠) .

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم: (٥/ ١٧٦) .

أكثر معنى إنما يحسن إذا كانت المعاني كلها سائغة، ولا قرينة مرجحة، أما إذا وجدت قرينة للترجيح، أو كان أحد تلك المعاني فيه نظر فلا يصار إلى القول بذلك .

ولذا تعقّب ابنُ كثير ابنَ جرير الطبري في تصويبه لقول أبي عبيدة: " وفيه نظر؛ لأنهم إنما أرادوا هاهنا أنه مسحور له رِئي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه "[1] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٨٣) .

المطلب الرابع: معنى لواقح

رجح ابن قتيبة بالقاعدة السابقة، فذكر أن تفسير القرآن يكون على أحسن المعاني دون معنى مستكره، وإليك كلامه عند قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1] .

إذْ يقول: "﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال أبو عبيدة: (لواقح) إنما هي ملاقحُ، جمع ملقحة . يريد أنها تلقح الشجر وتلقح السحاب. كأنها تنتجه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه. وهو يجد العرب تسمي الرياح لواقح، والريح لاقحًا. قال الطِّرِمَّاح وذكر بُرْدًا مدَّه على أصحابه في الشمس يستظلون به:

قَلِقٌ لأفْنَانِ الرِّيَا حِ لِلاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلْ[2]

فاللاقح: الجنوب . والحائل: الشمال. ويسمون الشمال أيضا: عقيماً. والعقيم التي لا تحمل. كما سموا الجنوب لاقحاً. قال كُثَيِّر:

وَمَرٌّ بِسِفْسَافِ التّرَابِ عَقِيمُهَا[3]

---

(١) سورة الحجر: (٢٢) .

(٢) ديوان الطِّرِمَّاح: (ص: ٢١١) . أفنان الرياح: ضروبها وأنواعها . وقلق: يصف البرد أنه يضطرب ويخفق لضرب الرياح .

(٣) ديوان كُثَيِّر عزة: (ص: ١٥٠) .وصدر البيت: إذا مستثابات الرياح تنسمت . ومستثابات الرياح: الرياح ذوات اليُمن والبركة التي يرجى خيرها .انظر: أساس =

يعني الشمال، وإنما جعلوا الريح لاقحاً – أي حاملاً – لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصَرِّفه، ثم تحمله فينزل. فهي على هذا الحاملُ. وقال أبو وَجْزَةَ يذكر حميرًا وَرَدَتْ ماء:

حَتَّى رَعَيْنَ الشَّوَى مِنْهُنّ فِي مَسَكٍ   مِنْ نَسْلِ جَوَّبَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ[١]

ويروى: (سلكن الشوى)؛ أي: أدخلن قوائمهن في الماء حتى صار الماء لها كالمَسَك. وهي الأسورة. ثم ذكر أن الماء من نَسْل ريح تَجُوب البلاد.

فجعل الماء للريح كالولد؛ لأنها حملته وهو سحاب وحلّته. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾[٢] أي: حملت "[٣].

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في توجيه وصف (الرياح) بـ(لواقح) إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنّ لواقِح: جمع لاقِح، أي حوامل، والمعنى أنّ الرياح تحمل الماء والسحاب وتقلّبه وتصرّفه ثم تَسْتَدِرّه، وهذا قول ابن قتيبة، وذهب

= البلاغة، للزمخشري: (١/ ١١٨) .

(١) يقول الأزهري في تهذيب اللغة: (٤/ ٣٦) شارحاً هذا البيت: " سلكْنَ يعنِي الأُتُن . أدخلن شَواهُنَّ أي: قوائمهن . في مَسَك: أي في ماء صار كالمَسَك لأيديها، ثم جعل ذلك الماء من نَسْلِ ريح تجوب البلاد، فجعل الماء للريح كالولد: لأنها حملته".

(٢) سورة الأعراف: (٥٧) .

(٣) تفسير غريب القرآن: (٢٣٧) .

إليه: النسفي[١]، وصديق حسن خان[٢]، والشنقيطي[٣] .

أدلة هذا القول:

١- جاء في لسان العرب وصف الرياح بـ (لواقح)، وتريد بذلك أنها حوامل للمطر.

٢- ورد في القرآن ما يؤيد هذا المعنى وذاك في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ أي حملت، فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب .

القول الثاني: : أنّ لواقِح: جمع لاقِح، على جهة النسبة، أي ذات لَقَاح – كقولهم: لابن، أي : ذو لبن: وتامر: ذو تمر – ومنه قول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[٤]

فقوله: (ناصب): أي: ذو نصب، على جهة النسب[٥] .

---

(١) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٢٦) .

(٢) انظر: فتح البيان: (٧/ ١٥٩) .

(٣) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٢٦٨) .

(٤) ديوان النابغة: (ص: ١٣) . يقول البغدادي في خزانة الأدب: (٢/ ٣٢١): "قوله: كليني: أمرٌ من وكلت الأمر إليه وكلاً من باب وعد، ووكولاً: إذا فوضته إليه واكتفيت به. و (أميمة) تصغير، ترخيم أمامة، وهي بنته. و (ناصب) بمعنى منصب: من النصب وهو التعب، فجاء به على طرح الزائد، وحمله سيبويه على النسب، أي: ذي نصب، كما يقال: طريق خائف أي: ذو خوف. و (أقاسيه): أكابده. يقول: دعيني لهذا الهم المتعب ومقاساة الليل البطيء الكواكب بالسهر؛ولا تزيديني لوماً وعذلاً؛ وجعل بطء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرب فينقضي الليل" .

(٥) انظر: خزانة الأدب، لعبدالقادر البغدادي: (٢/ ٣٢٢) .

ومعنى الآية: أن الرياح ذات لَقَاح، فتلقح السحاب والشجر .

وذهب إلى هذا: الثعالبي[١]، والراغب الأصفهاني[٢] ، وأبوحيان[٣] .

دليل هذا القول: ورود هذا المعنى في أحاديث العرب وأشعارها .

القول الثالث: أن معنى الرياح لواقح، أي: ملاقح، جمع مُلْقِحة، ومُلْقِح اسم فاعل فحذفت الميم تخفيفاً، ورُدِّت الكلمة إلى أصلها (لقحة) [٤]، فجمعها كما تجمع لاقحة، وعليه فالرياح مُلقِحة لغيرها، فهي تلقح السحاب والشجر، وهذا قول أبي عبيدة، ولذا يقول: " ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ مجازها: مجاز ملاقح ؛ لأن الريح مُلْقِحة للسحاب، والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم ؛ لأنها تعيده إلى أصل الكلام، كقول نَهْشَل بن حَرِيّ يرثي أخاه:

لِيبْكَ يزيدُ بائسٌ لِضراعةٍ وأشعثَ ممن طوَّحتْه الطَّوائحُ[٥]

فحذف الميم لأنها المَطاوِح .

---

(١) انظر: الجواهر الحسان: (٢/ ٢٩٢) .

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن: (ص: ٧٤٤) .

(٣) انظر: البحر المحيط: (٥/ ٤٣١) .

(٤) انظر: المقتضب، للمبرد: (٤/ ١٧٩) .

(٥)الطائح: المشرف على الهلاك . فالشاعر يصف يزيد بالنصر والكرم للذليل وطالب المعروف، فيقصده الضارع للخصومة، ويلتجئ إليه من أصابته شدة السنين فأشرف على الهلاك .انظر: خزانة الأدب، لعبدالقادر البغدادي: (١/ ٣٠٧)، ولسان العرب، لابن منظور: (٢/ ٥٣٦) .

وقال رؤبة:

يَخْرُجْن من أَجوازِ ليلِ غاضِ[1]

أي مُغضِي .

وقال العجَّاج:

تكشِف عن جَمَاتِهِ دلْوُ الدَّالْ [2] "[3] .

وذهب إلى هذا: الواحدي[4]، والخازن[5]، وابن كثير[6]، والسعدي[7].

(١) ديوان رؤبة: (ص: ٨٢).وعجز البيت: نَضْوَ قداحِ النَّابِلِ النَّواضِي .وليلة غاضية: شديدة الظلمة.انظر: لسان العرب، لابن منظور: (١٥/ ١٢٨) .

(٢) ديوان العجاج: (١/ ٢٤٤). وعجز البيت: عَباءةً غَثْراءَ من أَجْنٍ طالْ . يقول ابن قتيبة، في أدب الكاتب: (ص: ٦١٢): " الدَّالي: هو الجاذبُ للدَّلْو ليخرجها، يقال منه: دَلا يَدْلُو، و(المُدْلي): هو المُسْتَقي، يقال: أَدْلَى دَلْوَهُ : إذا ألقاها في الماء ليستقي، ولو قال العجاج المُدْلي لكان أشبه بما أراد، ولكنه أراد القافية، وعلم أن الدالي والمُدْلي يجوز أن يوصف بهما المستقي بالدلو، قال: فأراد يكشف عن الماء دلو المستقي " . ويقول الجواليقي في شرح أدب الكاتب: (ص: ٣٠١): " والجمّات: جمع جمة، وجمة البئر اجتماع مائها، والدالي الجاذب للدلو من البئر ليخرجها، ويقال الدالي معناه صاحب الدلو، كاللابن والتامر . والعباية: الكساء، والغثراء كالغبراء . ويعني بالعباية ما على الماء من الغلفق –أي: الطحلب-؛ لأنه لا يورد . والأجِن: المتغير . طال عليه طلاء وهو ما ألبسه".

(٣) مجاز القرآن: (١/ ٣٤٨) .

(٤) انظر: الوجيز: (١/ ٥٩٠) .

(٥) انظر: لباب التأويل: (٤/ ٦٣) .

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٥٣٠) .

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٣٠) .

أدلة هذا القول:

١- ورود هذا الأسلوب في كلام العرب، من إطلاق الفاعل بمعنى مفْعِل[١].

٢- سياق الآيات يؤيد هذا المعنى ؛ فإذا لقّحت الرياحُ السحاب نزل المطر- بإذن الله- ، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ .

القول الرابع: أن الرياح لواقح وملاقح، فالرياح لاقحة مُلقِّحَة،لاقحة لحملها الماء ، ومُلقِّحة لإلقاحها السحاب والشجر وذاك عملها فيه، وممن فسّر الآية على هذا: الفراء[٢]، الأخفش[٣]، والطبري[٤]، والزجاج[٥]، والسجستاني[٦]، والنحاس[٧]، وابن عطية[٨]، والرازي[٩]،

(١) انظر: الخصائص، لابن جني: (٢/ ٢٢) .

(٢) انظر: معاني القرآن: (٢/ ٨٧) .

(٣) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٠٨) .

(٤) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٨٦) .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ١٧٧) .

(٦) انظر: نزهة القلوب: (ص: ٤٠٢) .

(٧) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ٢٠) .قلت: النحاس يرى أنّ لاقحة ولاقح على الحقيقة بلا حذف يأتي على أحد معنيين: ١- يجوز أن يقال لها لاقح على جهة النسب أي ذات لقاح، كأنها تلقح السحاب والشجر .٢- ويجوز أن يقال لها لاقح أي حامل .

(٨) انظر: المحرر الوجيز: (٣/ ٣٥٦)

(٩) انظر: مفاتح الغيب: (١٩/ ١٤٠) .

والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]،وأبو السعود[3]، والشوكاني[4]،وابن عاشور[5].

دليل هذا القول: لفظ (لواقح) سائغ أن يحمل على كلا المعنيين، فالرياح لواقح فهي حاملة للمطر، وملقحة للسحاب[6]، وحمل ألفاظ القرآن على أوسع المعاني أولى، فذاك من خصائص الكلام البليغ، مالم تكن قرينة مانعة من ذلك .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح القول الرابع، وأن (لواقح) تدل على معنيين، فالرياح لاقحة، وملقحة، وذاك جار على أسلوب العرب في كلامها، ولا قرينة مانعة من حمل اللفظ على أوسع معانيه .

ويجاب عن الأقوال الأخرى: بأن اختيار أحد المعاني ليس بأولى من المعنى الآخر، مادام الاستعمال واللفظ والسياق سائغاً للقول بها جميعاً .

وأما وصف ابن قتيبة قولَ أبي عبيده -في حمله لواقح على معنى ملاقح – بأنّه قول فيه استكراه واضطرار، فيرد عليه بقول ابن جني إذْ يقول: "قال

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ١٥) .

(٢) انظر: أنوار التنزيل: (٣/ ٣٦٦) .

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم: (٥/ ٧٢) .

(٤) انظر: فتح القدير: (٣/ ١٢٧) .

(٥) انظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٣٧) .

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥/ ٢١٠) .

الله عز وجل: "﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ وقياسه : ملاقح ؛ لأن الريح تلقح السحاب فتستدره. وقد يجوز أن يكون على لَقِحت هي، فإذا لَقِحت فزَكَت ألقحت السحاب، فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب من المسبب "[1].

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة لم يكن في مكانه .

(١) الخصائص: (٢/ ٢٢) .

المطلب الخامس: دلالة ردّ الأيدي إلى الأفواه

قاعدة: القول الذي تؤيده آية أخرى أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون في معنى آية، وتعددت أقوالهم، فأولى تلك المعاني بالتقديم ما شهد له آية أخرى ؛ وذاك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ويدل بعضه على بعض .

وقد أومأ ابن قتيبة إلى هذه القاعدة ورجح بها، وتعقّب أبا عبيدة وضعّف قوله، ويدلك على ذاك حديثه عند قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[1] .

إذْ يقول: "﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ قال أبو عبيدة: تركوا ما أُمروا به، ولم يُسلِموا.

ولا أعلم أحدًا قال: ردَّ يدَه في فيه؛ إذا أمسك عن الشيء! والمعنى: رَدُّوا أيديهم في أفواههم، أي: عضُّوا عليها حنقًا وغيظا. كما قال الشاعر:

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشْر الحَسُودِ[2]

---

(١) سورة إبراهيم: (٩) .

(٢)انظر: كتاب المعاني الكبير، لابن قتيبة .: (ص: ٨٣٤)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (١٤/ ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٢/ ١١٣). وعجز هذا البيت: =

يعني: أنهم يَغيظُون الحسودَ حتى يعض على أصابعه العشر، ونحوه قول الهُذَلي:

قَدَ أفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ   فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا[1]

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأضحى يعضُّ عليَّ وظِيفَ الذراع، وهكذا فسر هذا الحرفَ ابنُ مسعود[2]، واعتبارُه قولُه عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾[3] "[4].

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون عدة معان في تفسير هذه الآية، ودونك أشهر تلك الأقوال:

القول الأول: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظاً وحنَقاً على الرسل، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، واختيار ابن قتيبة، وذهب إلى هذا القول من المفسرين:

= حتى يَعَضّ عليّ الأكُفّا .

(١)انظر: ديوان الهذليين: (٢/ ٧٣). قال ابن منظور في لسان العرب: (١٢/ ١٦): " الأزْم: شدة العض بالفم كله، وقيل بالأنياب، والأنياب هي الأوزام" . وقال أيضاً في اللسان: (٩/ ٣٥٨): " الوظيف: مُسْتدَقُّ الذِّراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع: الأَوْظِفة " .

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري: (١٦/ ٥٣١) .

(٣) سورة آل عمران: (١١٩) .

(٤) تفسير غريب القرآن: (٢٣٠-٢٣١) .

الطبري[1] ، والنحاس[2] ، والواحدي[3]، والقرطبي[4]، والنيسابوري[5]، وأبو حيان[6] .

أدلة هذا القول:

١-هذا الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من جملة: ردّ اليدِ إلى الفم .

٢- هذا القول تؤيده آية أخرى، والمعنى الذي يدل عليه القرآن أولى من غيره .

٣- سياق الآيات يشهد لهذا التأويل، ودلالة السياق من قرائن الترجيح .

القول الثاني : أن هذا مَثَل ضربه الله تعالى لبيان إعراضهم عن الحق، ولذا سكتوا فلم يجيبوا، وهذا قول أبي عبيدة إذْ يقول: " ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ مجازه: مجاز المثَل، وموضعه موضع كَفّوا عما أمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال: ردّ يده في فمه، أي: أمسك إذا لم يجب"[7].

(١) انظر: جامع البيان: (١٦/ ٥٣٤) .

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٣/ ٥٢٠) .

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٥٧٨) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٣٤٥) .

(٥) انظر: غرائب القرآن: (٧/ ٣٢١) .

(٦) انظر: البحر المحيط: (٥/ ٣٩٧) .

(٧) مجاز القرآن: (١/ ٣٣٦) .

وذهب إلى هذا المعنى: الأخفش[١]، وذكر الشوكاني[٢] أن هذا القول أقرب إن ثبت هذا الاستعمال في لغة العرب، وفسر السعدي الآية على هذا المعنى[٣] .

دليل هذا القول: قالوا: جاء في سنن العرب في كلامها، وطريقة خطابها قولها للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده في فيه، والقرآن نزل بلسان العرب، فهي طريق لبيان معانيه .

القول الثالث: أنهم كذّبوا الرسل، وردوا عليهم بأفواههم، فقالوا: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾، وهذا قول مجاهد[٤]، وقتادة، واختاره ابن كثير[٥] .

دليل هذا القول: قال ابن كثير في ترجيح هذا القول: " ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ فكأن هذا – والله أعلم– تفسير لمعنى رَدِّ أيديهم في أفواههم "[٦].

---

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٥/ ٣٠٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩/ ٣٤٦)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (٥/ ٣٩٨)، وفتح القدير، للشوكاني: (٣/ ٩٧)، ولم أهتد إليه في كتاب معاني القرآن، للأخفش .

(٢) انظر: فتح القدير: (٣/ ٩٧) .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٢٢) .

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ١٢٥) .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٤٨١) .

(٦) تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٤٨١) .

القول الرابع : أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق . ونبّه الزمخشري إلى قوة هذا المعنى[1]، ورجحه ابن المنير في حاشيته على الكشاف[2]، واختاره الآلوسي[3] .

دليل هذا القول: قال ابن المنير في ترجيح هذا القول – في حاشيته على الكشاف- : " وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة، وإنما كان كذلك ؛لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولاً وفعلاً بوضع اليد في الفم هو المناسب لحسدهم في الكفر"[4] .

القول الخامس: أن الأيدي المراد بها النعم، والمعنى: أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحوداً لها [5] .

القول السادس: أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم، وهذا قول الحسن[6]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل[7] .

---

(١) انظر: الكشاف: (٢/ ٥٤٢) .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر: روح المعاني: (١٣/ ١٥٢) .

(٤) انظر: الكشاف: (٢/ ٥٤٢) مع حاشية ابن المنير عليه، حاشية (١) .

(٥) انظر: معاني القرآن، للزجاج: (٣/ ١٥٦)، والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٥)، والكشاف، للزمخشري: (٢/ ٥٤٢) .

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية: (٣/ ٣٢٦) .

(٧) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ١٨٥) .

القول السابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاءً لشدة الضحك من كلام الرسل، وذاك على سبيل الاستهزاء بالرسل . وذهب إلى هذا القول: ابن عاشور[١] .

القول الثامن: أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم: إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت تكذيباً له ، ورداً لقوله، قاله أبو صالح[٢] .

دليل هذه الأقوال[٣]: يمكن أن يستدل لهذه الأقوال أن ألفاظ الآية صالحة لتحمل على كل معنى مما ذُكر .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن وافقه من المفسرين، وأن معنى رد الأيدي إلى الأفواه العض عليها من شدة الحنق والغيظ، وذلك لقوة أدلة هذا القول، وسلامتها من النقد .

ويجاب عن الأقوال الأخرى:

أولاً: قول أبي عبيدة ومن وافقه بأن المراد برد الأيدي إلى الأفواه: السكوت والامتناع عن الجواب، يرد عليه بما يلي:

١ – أنكر بعضهم أن يكون ورد في لسان العرب قولها للرجل إذا أمسك عن

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: (١٣/ ١٩٦) .

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير، لابن الجوزي: (٤/ ٣٤٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩/ ٣٤٥).

(٣) من القول الخامس إلى القول الثامن .

الجواب وسكت: قد رد يده في فيه[1] . وإن ثبت هذا في كلام العرب فإنْ تأويل الآية به خلاف الظاهر المتبادر من ألفاظ وسياقها، والقرآن إنما تحمل معانيه على الشائع المستعمل في لسان العرب،لا على النادر قليل الاستعمال.
٢- ضعّف الطبري هذا القول فقال عنه: "وهذا أيضًا قول لا وَجْه له، لأن الله عزَّ ذِكْره، قد أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم ﴾ ، فقد أجابوا بالتكذيب "[2]. فلم يسكتوا .
ثانياً: قول مجاهد، واختيار ابن كثير، والقول الذي أشار الزمخشري إلى قوته، بأن المراد برد الأيدي إلى الأفواه: الإشارة إلى ما نطقوا به من التكذيب للرسل، يجاب عنه: بأن الآية جاءت بأسلوب العطف ؛ والعطف يلزم منه المغايرة، ولذا تعقب الشنقيطي ابنَ كثير فقال: " الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير –رحمه الله تعالى – ؛ لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله، فيدل على أنّ المراد بقوله: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه "[3] .
ثالثاً: القول بأن المراد باليد: النعمة، وأن المعنى ردوا نِعَم الرسل بأفواههم .

---

(١) قلت: تعقب أبو حيان في البحر المحيط: (٥/ ٣٩٨) ابنَ قتيبة في إنكاره أن يكون هذا الأسلوب سُمع عن العرب، فقال: " ومن سمع حجة على من لم يسمع، هذا أبو عبيدة و الأخفش نقلا ذلك عن العرب " .

(٢) جامع البيان: (١٦/ ٥٣٦) . قلت: تعقب أبو حيان ما قاله الطبري، ولكنه تكلف القول في ذلك . انظر: البحر المحيط: (٥/ ٣٩٨) .

(٣) أضواء البيان: (٢/ ٢٤٣) .

يجاب عنه:

١ - حمل الأيدي على النعم قليل في الاستعمال، حتى أنكره بعض أهل اللغة، والمشهور المعروف أن اليد بمعنى النعمة تجمع على أياد[1] .

٢ - يلزم على هذا المعنى حمل الكلام على المجاز دون قرينة تؤيد ذلك أو تدل عليه .

رابعاً: القول بأن الكفار يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم . يجاب عنه: بأنه يلزم من ذلك تشتيت الضمائر ؛ إذ الضمائر في الآية عائدة إلى الكفار، وتفريق الضمائر خلاف الأصل مالم تكن قرينة، ولا قرينة على التفريق في هذه الآية .

خامساً: القول بأن رد الكفار أيديهم إلى أفواههم كان من باب إخفاء الضحك . يجاب عنه: بأنه يلزم من ذلك مخالفة سياق الكلام، وسياق الآيات يدل على أنّ رد الكفار أيديهم إلى أفواههم كان من باب الغيظ والحَنَق ، لا من باب إخفاء الضحك .

سادساً: القول بأنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم: إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت تكذيباً له . يجاب عنه: بأن يلزم من ذلك حمل الكلام على غير الظاهر المتبادر من دلالة الألفاظ والسياق،

---

(١) انظر: روح المعاني، للآلوسي: (١٣/ ١٩٣) . يقول ابن جني في الخصائص: (١/ ٢٧٩): " باب في الاستغناء بالشيء عن الشيء : ... اليد التي هي العضو، قالوا فيها أيد البتة. فأما أياد فتكسير أيد لا تكسير يد، وعلى أن (أياد) أكثر ما تستعمل في النعم لا في الأعضاء. وقد جاءت أيضاً فيها " .

والمعنى الذي يؤيده ظاهر الكلام أولى بالتقديم .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

المطلب السادس: معنى يأتمرون

الألفاظ قوالب المعاني ودلائل عليها، وسياق الكلام له أثر في بيان المعاني ووضوحها، فإذا اتسق اللفظ والمعنى وسياق الكلام فذاك، أما إنْ ضاد المعنى اللفظ وما يدل عليه فتلك أمارة على الخطأ، وأن اللفظ حُمِل على غير معناه، وقد تعقب ابن قتيبة أبا عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[1] .

فقال: " ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قال أبو عبيدة: يتشاورون فيك ليقتلوك. واحتَج بقول الشاعر:

أحارُ بنَ عمرٍو!كأنِّي خَمِرْ ويَعْدُو على المرءِ ما يَأْتَمِرْ[2]

---

(١) سورة القصص: (٢٠) .

(٢) ديوان امرىء القيس: (ص: ١٥٠) . واختلف في نسبة هذا البيت، ولذا يقول عبدالقادر البغدادي في خزانة الأدب (١/ ٣٧٤) : " وأثبت هذه القصيدة له (أي لامرئ القيس) أبو عمرو الشيباني والمفضل وغيرهما. وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط، يقال له: ربيعة بن جعشم ..." .
وإليك شرح مفردات هذا البيت: الهمزة للنداء، و(حار): مرخم حارث. (والخَمِر) الذي به بقية سُكْر، وقيل: هو الذي خامره داء أو حُب، أي: خالطه. وعدا عليه: جار. ومعنى: ويعدو على المرء ما يأتمر، أي: إذا ائْتَمَرَ أَمْراً غَيْرَ رَشَدٍ عَدَا عليه فأَهلكه . انظر: خزانة الأدب، للبغدادي: (١/ ٣٧٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٢٦) .

وهذا غلط بيّنٌ لمن تدبر، ومضادَّةٌ للمعنى .

كيف يعدو على المرء ما شاور فيه، والمشاورةُ بركة وخير؟! وإنما أراد: يعدو عليه ما همّ به للناس من الشر. ومثله: قولهم: (مَن حفر حفرة وقع فيها)[1].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ ﴾ أي يَهِمُّون بك. يَدُلُّك على ذلك قولُ النَّمِر بن تَوْلَب:

اعْلَمَنْ أنْ كلَّ مُؤْتَمَرٍ   مُخْطِئٌ في الرَّأي أحْيَانَا
فإِذَا لم يصِبْ رَشَدًا   كانَ بعضُ اللَّومِ ثُنْيَانَا[2]

يعني: أن كل من ركب هواهُ وفعل ما فعل بغير مشاورة فلا بد من أن يخطئَ أحيانًا. فإذا لم يُصبْ رُشْدًا لامَهُ الناسُ مرتَيْن: مرةً لركوبه الأمرَ بغير مشاورة، ومرةً لغلطه.

ومما يدلك على ذلك أيضاً قولُه عز وجل: ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[3] لم يُرِد تَشاوَرُوا، وإنما أراد: هُمُّوا به، واعتَزِموا عليه. وقالوا في تفسيره: هو أن لا تُضِرّ المرأةُ بزوجها، ولا الزوجُ بالمرأة.

ولو أراد المعنى الذي ذهب إليه أبو عُبيدةَ، لكان أَوْلَى به أن يقول: (إن الملأَ يَتَآمَرُون فيك) أي: يَسْتَأْمِرُ بعضُهم بعضًا "[4] .

---

(١) انظر: الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام: (ص: ٢٧٠) .

(٢) ديوان النمر بن تولب: (ص: ١٣٥) .

(٣) سورة الطلاق: (٦) .

(٤) تفسير غريب القرآن: (٣٣٠-٣٣١) .

أقوال المفسرين:

تنوعت أقوال المفسرين في المراد بقوله: (يأتمرون بك)، وإليك تلك الأقوال:

القول الأول: أن معنى (يأتمرون بك): يهمّون بك، وهذا قول ابن قتيبة، وتابعه النحاس[١] على هذا المعنى .

القول الثاني: أن معنى: (يأتمرون بك): يتشاورون في قتلك، وممن فسر الآية على هذا المعنى:

الزمخشري[٢]، والرازي[٣]، والقرطبي[٤]، والبيضاوي[٥]،وأبو حيان[٦]، وابن كثير[٧]، وابن عادل[٨]، وأبو السعود[٩]، والإيجي[١٠]، والآلوسي[١١]، وابن عاشور[١٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ١٧٠) .

(٢) انظر: الكشاف: (٣/ ٣٩٩) .

(٣) انظر: مفاتح الغيب: (٢٤/ ٥٨٨) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٢٦٦) .

(٥) انظر: أنوار التنزيل: (٤/ ٢٨٨) .

(٦) انظر: البحر المحيط: (٧/ ١٠٦) .

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٢٢٦) .

(٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٥/ ٢٣٣) .

(٩) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ٢٣٠) .

(١٠) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٢٤١) .

(١١) انظر: روح المعاني: (٢٠/ ٥٨) .

(١٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢٠/ ٩٥) .

القول الثالث: أن معنى: (يأتمرون بك): يأمر بعضهم بعضا بقتلك، وذهب إلى هذا المعنى: الزجاج[1] ، والسجستاني[2]، وابن أبي زمنين[3] .

القول الرابع: أن يفسر قوله: (يأتمرون بك) بما اشتمله اللفظ من معان تتفق وسياق الكلام، وبذلك فسر الآية أبو عبيدة، إذْ يقول: " ﴿ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ ﴾ مجازه: يهمون بك ويتوامرون فيك ويتشاورون فيك ويرتئون، قال النَّمِر بن تَوْلَب:

أَرَى النَّاسَ قد أحدثوا شِيمة   وفي كل حادثة يُؤتمَرْ[4]

وقال ربيعة بن جشم النمري:

أَحار بن عمرو كأني خَمِرْ   ويعدو على المرءِ ما يأتَمِرْ

ما يأتمر: ما يرى لنفسه فيرى أنه رشد، فربما كان هلاكه من ذلك "[5] .

وممن فسر الآية بما حواه اللفظ من معان: الطبري[6]، الثعلبي[7]، ومكي بن أبي طالب[8] ، والواحدي[9]، والعز بن عبدالسلام[10]،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ١٣٨) .

(٢) انظر: غريب القرآن: (ص: ٥١٨) .

(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز: (٣/ ٣٢١) .

(٤) ديوان النمر بن تولب: (ص: ٦٤) .

(٥) مجاز القرآن: (٢/ ١٠٠) .

(٦) انظر: جامع البيان: (١٩/ ٥٤٧) .

(٧) انظر: الكشف والبيان: (٧/ ٢٤٢) .

(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٨/ ٥٥٠٩) .

(٩) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٥) .

(١٠) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام: (٢/ ٤٨٤) .

والنسفي[١]، والشوكاني[٢] .

أدلة ما سبق: يمكن أن يستدل للأقوال السابقة كلها بأن لفظ الآية صالح لكل معنى مما ذُكر .

الترجيح:

الذي يظهر أن الأقرب أن معنى: (يأتمرون بك) أي يتشاورون في قتلك، ويأمر بعضهم بعضاً بذلك ، ويدل لذلك:

١ – أن المعاني التي تحتملها ألفاظ القرآن تعتبر مرادة، مالم يخالف ذلك سياق الكلام[٣] .

٢ – أصل هذه اللفظة عائد إلى هذه المعاني، يقول الأزهري: " ائتمر القومُ، وتآمروا، إذا أمر بعضُهم بعضاً .كما يقال: اقتتل القوم وتقاتلوا، واختصموا وتخاصموا ... وائتمر القومُ، إذا تشاوروا "[٤] .

يقول ابن عاشور: " وأصل الإِئتمار: قبول أمر الآمر فهو مطاوع أمره ... ثم شاع إطلاق الإِئتمار على التشاور ؛ لأن المتشَاوِرِين يأخذ بعضُهم أمر بعض فيأتمر به الجميع "[٥] .

---

(١) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ١٨٥) .

(٢) انظر: فتح القدير: (٤/ ١٦٥) .

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٥) .

(٤) تهذيب اللغة: (١٥/ ٢١١-٢١٢)، وانظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٢٦) .

(٥) التحرير والتنوير: (٢٠/ ٩٦) . وانظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي: (١/ ١٥٩) .

ويجاب عن قول ابن قتيبة في تفسير قوله: (يأتمرون بك) بمعنى: يهمون بك، بما يلي:

١ – أن هذا التأويل ليس هو الظاهر المتبادر من ألفاظ الآية، وإيحاء القصة، بل الملأ قد جاوزوا مرحلة الهمّ إلى مرحلة أمر بعضهم بعضاً بقتله، وتشاورهم في طريقة الخلاص منه .

٢ – قول ابن قتيبة أن الشورى بركة وخير ذاك أصلها الغالب، ولكن قد تنحرف عن ذلك إما لسوء المستشارين، أو لسوء الموضوع المستشار فيه .

٣ – قول ابن قتيبة أن قول الله تعالى: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[(١)] لم يُرِد تَشاوَرُوا، وإنما أراد: هُمُّوا به، واعتَزِموا عليه . لا يُسلَّم له هذا القول، بل الآية دالة على التشاور والأمر بالمعروف،

يقول الزمخشري عند هذه الآية: " الائتمار بمعنى التآمر، كالاشتوار بمعنى التشاور. يقال: ائتمر القوم وتآمروا، إذا أمر بعضهم بعضا. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضاً "[(٢)] .

ويقول الشوكاني: " ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات، أي: تشاوروا بينكم بما هو المعروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل، وأصل معناه: ليأمر بعضكم بعضاً بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم "[(٣)] .

---

(١) سورة الطلاق: (٦) .

(٢) الكشاف: (٤/ ٥٥٩) .

(٣) فتح القدير: (٥/ ٢٤٥) . وانظر: جامع البيان، للطبري: (٢٣/ ٤٦١)، والجامع لأحكام =

٤- قـول ابـن قتيبـة: "لـو أراد المعنـى الـذي ذهـب إليـه أبـو عُبيـدةَ- أي: التشاور- لكان أَوْلَى به أن يقول: (إن الملأ يَتَآمَرُون فيك) . فقد أجـاب عـن ذلك ابن عطية فقال: " و (يأتمرون) وزنـه يفتعلـون، ويفتعلـون يـأتي كثيراً بمعنى: يتفاعلون، ومنه ازدوج بمعنى: تزاوج .   وذهل ابن قتيبة إلى أنـه بمعنى يأمر بعضهم بعضاً، وقال لو كان ذلك لكان (يتأمرون).

قـال الفقيـه الإمـام القـاضي: وذهـب عنـه أن يفتعـل بمعنـى يتفاعـل، وفي القرآن: ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ "[1].

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة لم يكن في مكانه .

= القرآن، للقرطبي: (١٨/ ١٦٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٨/ ٣٢٩) .

(١) المحرر الوجيز: (٤٦/ ٢٨٢) .

المطلب السابع
معنى الصُّوْر

قاعدة: القول الذي يؤيده الحديث النبوي مقدّم على غيره .

إذا اختلف المفسرون في معنى آية، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد أحد تلك المعاني، فذاك القول المؤيد بالحديث النبوي هو القول المعتمد، والمعنى المرجَّح على غيره . وقد ركن ابن قتيبة إلى هذه القاعدة، وتعقب بها أبا عبيدة لمخالفته إياها، وإليك قوله إذْ يقول: "﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [(١)] قال أبو عبيدة: وهو جمع صُوْرَة. يقال: صُوْرَة وصُوَر وصَوَر.

قال: ومثله سُورَةُ البناء وسُورُه. وأنشد:

سُرْتُ إليه في أَعَالِي السُّورِ[(٢)]

قال: وسور المجد أعاليه. أي: ينفخ في صُوَرِ الناس.

وقال غيره: الصُّوْر: القَرْن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْناهمْ غَداةَ الجْمعَيْن   بالضَّابِحَاتِ في غُبارِ النَّقْعَين

نَطْحًا شدِيدًا لا كَنَطحِ الصُّورَين[(٣)]

---

(١) سورة النمل: (٨٧)

(٢) انظر الشاهد بتمامه: (ص: ٤٩) .

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٤٧١) . والضبح: صوت نَفَس الفرس إذا عدا . انظر: فقه اللغة، للثعالبي: (ص: ٢٤٧) .

وهذا أَعجب إليَّ من القول الأول ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : (كيف أَنْعَمُ وصاحب القرْن قد التَقَمه وحنَى جبْهَته، ينتظر متى يؤْمر فينفخ) [1] "[2] .

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في المراد بالصُّوْر إلى قولين:

القول الأول: أنّ المراد بالصُّوْر: القرن الذي يُنفخ فيه، وهذا اختيار ابن قتيبة، وفسر الآية على هذا المعنى جماهير المفسرين:

مقاتل[3]، والطبري[4]، والزجاج[5]، والنحاس[6]، والسمرقندي [7]، وابن أبي زمنين[8]، والثعلبي[9]، ومكي بن أبي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الأهوال: (٤/ ٦٠٣)، ح: (٨٦٧٨)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقاق، باب الأذكار، ذكر الأمر لمن انتظر الأمر في النفخ الصور، أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل: (٣/ ١٠٥)، ح: (٨٣٢) . والحديث مختلف فيه، فقد أشار الحاكم إلى ضعفه، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧١) بعد سياق هذا الحديث: " وقد روي هذا من غير وجه، وهو حديث جيد".

(٢) تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٥-٢٦) .

(٣) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٣٤١) .

(٤) انظر: جامع البيان: (١١/ ٤٦٣) .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٦٤) .

(٦) انظر: معاني القرآن الكريم: (٦/ ١٩٢) .

(٧) انظر: بحر العلوم: (١/ ٤٧٩) .

(٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: (٢/ ٧٨) .

(٩) انظر: الكشف والبيان: (٤/ ١٦٠) .

طالب[١]، والبغوي[٢]، وابن الجوزي[٣]، والرازي[٤]،والقرطبي[٥]، والنيسابوري[٦]وابن جزي[٧]، والخازن[٨]،، وأبو حيان[٩]، وابن كثير[١٠]، وابن عادل[١١]،، والإيجي[١٢]، وأبو السعود[١٣]، والشوكاني[١٤]، والآلوسي[١٥]، ومحمد رشيد رضا [١٦]، وابن عاشور[١٧] .

---

(١) انظر: الهداية في بلوغ النهاية: (٨/ ٥٤٧٤) .

(٢) انظر: معالم التنزيل: (٢/ ١٣٤) .

(٣) انظر: زاد المسير: (٣/ ٦٩) .

(٤) انظر: مفاتح الغيب: (١٣/ ٣٠) .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٧/ ٢٠) .

(٦) انظر: غرائب القرآن: (٣/ ١٠٠) .

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٤٧٥) .

(٨) انظر: لباب التأويل: (٢/ ١٤٧) .

(٩) انظر: البحر المحيط: (٧/ ٩٤) .

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٢٨١) .

(١١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: (٨ / ٢٢٦) .

(١٢) انظر: تفسير الإيجي (١/ ٥٥٠) .

(١٣) انظر: إرشاد العقل السليم: (٦/ ٣٠٣) .

(١٤) انظر: فتح القدير: (٢/ ١٣٠) .

(١٥) انظر: روح المعاني: (١٦/ ٤٤) .

(١٦) انظر: تفسير القرآن الحكيم: (٧/ ٤٤٣) .

(١٧) انظر: التحرير والتنوير: (٧/ ٣٠٨) .

أدلة هذا القول:

١- ثبت في السنة النبوية أن الصُّوْر قرن ينفخ فيه، فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصُّوْر، قال: " قرن ينفخ فيه "(١).

والتفسير النبوي مقدم على غيره.

٢- آيات القرآن تؤيد هذا المعنى، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٢) ولو كان المراد بالصُّوْر: الصُّوَر (جمع صُوْرَة) لقال: ثم نُفخ (فيها) أو (فيهن). وهذا يدل على أن المراد به الصُّوْر: القرن الذي ينفخ فيه(٣).

القول الثاني: أنّ الصُّور جمع صُوْرَة، وعلى هذا فالمعنى: النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح عند البعث، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر: (٢/ ٤٧٣)، ح: (٣٦٣١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن حبان في صحيحه: باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، ذكر الأخبار عن وصف الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة (١٦/ ٢٠٣)، ح: (٧٣١٢). وقال ابن كثير في تفسيره: (٥/ ٣١٥): " ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن الصُّور، فقال: "قَرنٌ يُنفَخ فيه".

(٢) سورة الزمر: (٦٨).

(٣) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي: (٣/ ٦٩).

" ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ يقال إنها جمع صُوْرَة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم: سور المدينة واحدتها سورة، وكذلك كل ما عَلا وارتفع، كقول النابغة:

أَلم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك سورةً   ترَى كلَّ مَلْكٍ دونَهَا يَتذَبذَبُ [(١)]

وقال العَجَّاج:

فَرُبَّ ذي سُرَادِقٍ محجورِ   سِرْتُ إليهِ فِي أعالي السُّورِ [(٢)]

ومنها: سَورة المجد: أعاليه؛ وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ   سورُ المدينة والجِبَالُ الْخُشَّعُ [(٣)] "[(٤)].

وارتضى البخاري هذا المعنى في صحيحه[(٥)].

أدلة هذا القول:

١- قالوا: إن صُوْر جمع صُوْرَة، فإذا كان ذلك كذلك فالمراد بالنفخ في الصُّوْر هنا نفخ الأرواح في الأجساد.

٢- قرأ الحسن ومعاذ القارئ وأبو مجلز وأبو المتوكل: (في الصُّوَر) بفتح الواو، وهذا يدل على أنه جمع صُوْرة [(٦)].

---

(١) ديوان النابغة: (ص: ١٩).

(٢) ديوان العجاج بن رؤبة: (١/ ٣٤١)، وصدر البيت: أشوس عن سفرة السفير. والأشوس: المتكبر. والسفارة: الصلح. والسفير: الذي يمشي بين القوم بالصلح.

(٣) ديوان جرير: (١/ ٩١٣).

(٤) مجاز القرآن: (١/ ١٩٦).

(٥) انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن الكريم، سورة الأنعام: (٦/ ٥٥).

(٦) انظر: القراءات الشاذة، لعبدالفتاح القاضي: (ص: ٤٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية: =

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة، وهو قول جماهير أهل التفسير، أنّ المراد بالصُّوْر القرن الذي ينفخ فيه، وذلك لقوة أدلتهم، ولسلامتها من المعارضة .

ويجاب عن قول أبي عبيدة أن المراد بالصُّوْر: جمع صُوْرَة، بما يلي:

١- القول بأنّ الصُوْر جمع صُوْرَة هذا ليس بمعروف في لغة العرب، والمستعمل في جمع صُوْرَة: صُوَر[١]،ولذا أجمع القراء على فتح الواو[٢] في قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٣] .

٢- قراءة (في الصُّوَر) بتحريك الواو – جمع صُوْرة- قراءة شاذة لم تثبت،

= (٢/ ٣٠٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (٤/ ١٢٨) .

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٦/ ١٩٢) . يقول الأزهري في تهذيب اللغة: (١٢/ ١٦٠): " قال الفراء: كلُّ جمعٍ على لفظ الواحد الذكَر سبق جمعُه واحدتَه، فواحدتُه بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوَبر والشعَر والقطْن والعشب، فكلّ واحد من هذه الأسماء اسمٌ لجميع جنسه، فإذا أُفْرِدتْ واحدتُه زيدتْ فيها هاء، لأن جميعَ هذا الباب سبق واحدتَه، ولو أن الصوفةَ كانت سابقةً للصوف لقالوا: صوفَةٌ وصُوَف، وبُسْرَةٌ وبُسَر، كما قالوا: غُرْفة وغُرَف، وزُلْفَة وزُلَف .

وأما الصُّوْرُ القَرْنُ فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدتُه صُوْرَة، وإنما تُجمع صورة الإنسان صُوَراً، لأن واحدتَه سبقتْ جَمْعَه " .

(٢) انظر: مفاتح الغيب، للرازي: (١٣/ ٢٩)، وتفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا: (٧/ ٤٤٣) .

(٣)سورة غافر: (٦٤) .

بل القراءة المتواترة (الصُّوْر) بواو ساكنة [1].

٣- يقول الرازي: " ... لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصُّوَر لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى نفسه ؛ لأن نفخ الأرواح في الصُّوَر يضيفه الله إلى نفسه، كما قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2]، وقال: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[3]﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وأما نفح الصُّوْر بمعنى النفخ في القرن، فإنه تعالى يضيفه لا إلى نفسه كما قال: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾[4] وقال: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[5] "[6] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

---

(٢) سورة الحجر: (٢٩) .

(٣) سورة الأنبياء: (٩١) .

(٤) سورة المدثر: (٨) .

(٥) سورة الزمر: (٦٨) .

(٦) انظر: مفاتح الغيب: (١٣/ ٣٠) .

المطلب الثامن
معنى السَّكَر

قاعدة: القول المعروف عند أهل التفسير أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون وكان أحد المعاني معروفاً عند أهل التفسير فذاك المعنى يقدم على غيره ؛ وقد رجّح ابن قتيبة بهذه القاعدة، وتعقب بها أبا عبيدة ، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [١] .

يقول: " ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا ﴾ أي: خمرًا. ونزل هذا قبل تحريم الخمر . ﴿ وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾ يعني: التمر والزبيب. وقال أبو عبيدة: السَّكَرُ: الطُّعم . ولست أعرف هذا في التفسير " [٢] .

أقوال المفسرين:

اختلفت أقوال المفسرين، وتنوعت عباراتهم في المر بـ" السَّكَر" إلى أقوال:

القول الأول: المراد بالسَّكَر: الخمر، قبل أن تحرّم، وهذا قول ابن قتيبة، وذهب إلى هذا المعنى: مقاتل[٣]، والفراء[٤]،

(١) سورة النحل: (٦٧) .

(٢) انظر: غريب القرآن: (ص: ٢٤٥) .

(٣) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٢٢٨) .

(٤) انظر: معاني القرآن: (٢/ ١٠٩) .

والزجاج[1]، والنحاس[2]، والواحدي[3]، وابن العربي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن الجوزي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، وابن جزي[10]، والخازن[11]، وابن كثير[12]، والإيجي[13]، وابن عجيبة[14]، والشوكاني[15]، والسعدي[16]، وابن عاشور[17]، والشنقيطي[18].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ٢٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ٨٢).

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٦١١).

(٤) انظر: أحكام القرآن: (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: معالم التنزيل: (٣/ ٨٦).

(٦) انظر: الكشاف: (٢/ ٦١٧).

(٧) انظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب: (ص: ١٩٦).

(٨) انظر: أنوار التنزيل: (٣/ ٤٠٨).

(٩) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٤٣).

(١٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٤٣٠).

(١١) انظر: لباب التأويل: (٤/ ١٠٠).

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٥٨١).

(١٣) انظر: تفسير الإيجي: (٢/ ٣٤٧).

(١٤) انظر: البحر المديد: (٣/ ١٤٢).

(١٥) انظر: فتح القدير: (٣/ ١٧٥).

(١٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٤٣).

(١٧) انظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٠٣).

(١٨) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٤٠٤).

دليل هذا القول: المعروف في لغة العرب إطلاق السَّكَر على الخمر ؛إذْ العرب تطلق اسم السَّكَر على ما يحصل به السُّكْر، وذلك من باب إطلاق المصدر وإرادة الاسم[(١)]، ومن إطلاق السَّكَرِ على الْخَمْرِ قول الشاعر:

بِئسَ الصحاةُ وبئسَ الشربُ شَرْبهمُ   إذا مَشَت فيهمُ المُزّاء والسْكَرُ [(٢)]

القول الثاني: المراد بالسَّكَر: الطَّعم مما حل شربه من ثمار النخيل والأعناب، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول: " ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ أي طُعْماً، ويقال: جعلوا لك هذا سَكَراً أي: طُعْماً، وهذا له سَكَرٌ أي: طُعْم، وقال جَنْدَل:

جعَلتَ عَيْبَ الأكْرمِينَ سَكَرا [(٣)] "[(٤)] .

وذهب إلى هذا التأويل: الطبري[(٥)]، وابن أبي زمنين[(٦)]، وابن عزيز

(١) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٤٠٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٧٢) .

(٢) ديوان الأخطل: (ص: ١٠٩) . والمُزّاء: اسم من أسماء الخمر، وقيل: والمُزَّاءُ: الخمر التي تلذع اللسان وليست بالحامضة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: (١٣/ ١٢٣)، ولسان العرب، لابن منظور: (٥/ ٣٠٧) .

(٣) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١٠/ ٣٥)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٧٢) . قلت: تعقب الزجاجُ أبا عبيدة في استدلاله بهذا الشاهد، وذكر أن حمل السَكَر في البيت على معنى الخمر أشبه منه بالطعام، والمعنى: أنك جعلت تتخمر بأغراض الكرام، فجعل شغفه بغيبة الناس وتمزيق أعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر . انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ٢٠٩) .

(٤) مجاز القرآن: (١/ ٣٦٣) .

(٥) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦) .

(٦) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: (٢/ ٤٠٩) .

السجستاني[1] .

دليل هذا القول: ورود هذا المعنى في كلام العرب .

القول الثالث: أن السَّكَر: النبيذ . روي هذا المعنى : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والشعبي، والسدي [2] .

القول الرابع: أن السّكَر: الخَلّ بلغة الحبشة، روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الضحاك: هو الخَلّ بلغة أهل اليمن [3] .

القول الخامس: أن السَّكَر: ما يَسدُّ الجوع، مَأْخُوذ مِنْ سَكَرْتُ النهر، إذَا سَدَدْته[4] .

الترجيح:

الذي يظهر أنّ الراجح قول ابن قتيبة وهو قول جماهير أهل التفسير أنّ السَكَر هو الخمر، لأن هذا المعنى هو المعروف المشهور، والقرآن يفسّر بالمعروف المشهور في لغة العرب .

ويجاب عن قول أبي عبيدة: بأنّ ذلك المعنى وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس بالمعنى الأظهر المشهور في لسان العرب . وليس كل ما ثبت في

---

(١) انظر: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٦٦) .

(٢) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦)، وأحكام القرآن، للجصاص: (٥/ ٤)، والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٩٨) .

(٣) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦) . والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٩٨)، و زاد المسير، لابن الجوزي: (٤/ ٤٦٤) .

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٣/ ١١٢) .

اللغة صح حمل آيات القرآن عليه، بل للقرائن أثرها في بيان المعنى[1] .

وأما بقية الأقوال: فضعفها ظاهر، وذاك أنّ القرآن نزل على أفصح اللغات، فلتحمل معانيه على أظهر المعاني .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسن الحربي: (٢/ ٣٦٣) .

المطلب التاسع

معنى المقوين

قاعدة: المعنى الذي يؤيده الفهم الصحيح أولى من غيره:

إذا وقع التنازع بين المفسرين في أولى المعاني بتفسير الآية، وكان أحد تلك المعاني يؤيده الفهم الصحيح بطريق الأولى، فذاك المعنى هو الذي ينبغي أن يصار إليه، وقد رأينا ابن قتيبة يتعقب أبا عبيدة بهذه القاعدة، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾[(1)].

يقول: " ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ يعني: المسافرين . سموا بذلك: لنزولهم القواء وهو: القَفْر.

وقال أبو عبيدةَ: المُقْوِي: الذي لا زاد معه ؛ يقال: أقوى الرجل؛ إذا نَفِد زاده .

ولا أرى التفسير إلا الأول؛ ولا أرى الذي لا زاد معهُ أولى بالنار ولا أحوجَ إليها من الذي معه الزادُ. بل صاحبُ الزاد أولى بها، وإليها أحوج"[(2)] .

---

(1) سورة الواقعة: (٧٣) .

(2) تفسير غريب القرآن: (ص: ٤٥١) .

أقوال المفسرين:

للمفسرين أقوال في معنى المقوين، وإليك بيانها:

القول الأول: المراد بالمقوين: المسافرون[١]، وهذا اختيار ابن قتيبة، وذهب إليه:

الفراء[٢]، والأخفش[٣]، والزجاج[٤]، والواحدي[٥]، وأبو حيان[٦]، وأبو السعود[٧]، وصديق حسن خان[٨]، والشوكاني[٩]، والسعدي[١٠]، والشنقيطي[١١].

أدلة هذا القول:

١ - القَوَاء هي الأرض القفر الخالية البعيدة من العمران، ولذا يقال: أقوت

(١) وقيده بعضهم بالمسافر الذي لا زاد معه ولا شيء، وهذا اختيار الطبري. انظر: جامع البيان: (٢٣/ ١٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن: (٣/ ١٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٥/ ٩٢).

(٥) انظر: الوجيز: (٢/ ١٣٨).

(٦) انظر: البحر المحيط: (٨/ ٢١٣).

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم: (٩/ ٣٣).

(٨) انظر: فتح البيان: (١٣/ ٣٨٠).

(٩) انظر: فتح القدير: (٥/ ١٥٨).

(١٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٨٣٥).

(١١) انظر: أضواء البيان: (٧/ ٥٣٧).

الدار: إذا خلت من سكانها، فإطلاق المقوين على المسافرين ألصق من حيث اللفظ والمعنى ؛ فالتفسير به أولى .

٢- أن منفعة المسافرين بالنار أكثر من منفعة المقيم، وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع .

القول الثاني: أنّ المقوين: هم الذين لا زاد معهم ولا مال لهم، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول: ﴿ وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ المُقْوي الذي لا زاد معه ولا مال، وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها، وموضع آخر المقوي: الكثير المال، يقال: أَكْثِرْ من مال فلان فإنه مُقْوٍ "[1] .

القول الثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب[2] .

القول الرابع: أنهم المسافرون، والجائعون، وذهب إلى هذا المعنى: الإيجي[3]، وابن عاشور[4] .

دليل هذا القول: علل ابن عاشور اختياره لهذا المعنى فقال: " وَالْمُقْوِي: الدَّاخل فِي الْقَوَاءِ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمَدِّ) وهي القفْر، ويطلق الْمُقْوِي على الجائع لأنّ جوفه أقوت، أَي: خلت من الطعام، إذْ كلا الفعلين مشتق مِنَ الْقَوَى وهو الخلاء، وفراغ البطن ... فإيثار هذا الوصف في هذه الآية ليجمع

(١) مجاز القرآن: (٢/ ٢٥٢) .

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٩/ ٢٧٦) .

(٣) انظر: تفسير الإيجي: (٤/ ٢٥٢) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: (٢٧/ ٣٢٧) .

المعنيين، فإن النار متاع للمسافرين يستضيئون بها في مناخِهم، ويصطلون بها في البرد، ويراها السائر ليلاً في القفْر فيهتدي إلى مكان النُّزُل فيأوي إليهم، ومتاع للجائعين يطبخون بها طعامهم في الحضر والسفر "[١].

القول الخامس: حمل اللفظ على ما يحتمله من معنى – مما ذُكر في الأقوال السابقة– وممن ذهب إلى هذا القول أو مال إليه: مجاهد[٢]، وغلام ثعلب[٣]، والزمخشري[٤]، والبيضاوي[٥]، والنسفي[٦]، والنيسابوري[٧]، وابن كثير[٨]، والآلوسي[٩] .

دليل هذا القول: أنّ اللفظ صالح لما قيل من المعاني، ومن مزايا الكلام البليغ جمعه للمعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن معه، بأن يحمل لفظ المقوين على المسافرين، وذلك لشهرة هذا المعنى في كلام العرب، ولأن المسافرين هم

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٧/ ٣٢٧) .

(٢) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ٢٨٤) .

(٣) انظر: ياقوتة الصراط: (ص: ٥٠٣) .

(٤) انظر: الكشاف: (٤/ ٤٦٧) .

(٥) انظر: أنوار التنزيل: (٥/ ٢٩١) .

(٦) انظر: مدارك التنزيل: (٤/ ١٧٢) .

(٧) انظر: غرائب القرآن: (٦/ ٢٤٦) .

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٧/ ٥٤٣) .

(٩) انظر: روح المعاني: (٢٧/ ١٥٠) .

أحوج من غيرهم إلى الانتفاع بالنار .

ويجاب عن بقية الأقوال: بأنّ المعاني التي ذهبوا إليها وإن كانت سائغة في لغة العرب [(١)]، إلا أن دلالة السياق وقرائن الحال لها اعتبارها في الترجيح والاختيار، ثم إن تخصيص المسافرين بالذكر لا يدل على عدم انتفاع غيرهم بها، ولكن انتفاع المسافرين بها أظهر وأشهر.

يقول الشنقيطي: " وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة - كون اللفظ وارداً للامتنان . وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهوماً للمقوين، لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران..." [(٢)] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (١٥/ ٢٠٦) .

(٢) انظر: أضواء البيان: (٧/ ٥٣٦) .

الخاتمة وأهم النتائج

إليك - بعد أن منّ الله تعالى بلطفه، وجاد بفضله - أهم النتائج، أسردها في نقاط، لتبق منك على ذِكر:

١ - كتاب أبي عُبيدة (مجاز القرآن) من أهم الكتب في إيراد الشواهد الشعرية لبيان لفظ غريب، أو أسلوب من أساليب العرب التي نزل بها القرآن .

٢ - كتاب ابن قتيبة (تفسير غريب القرآن) أبدع صاحبه في بيان غريب ألفاظ القرآن، صاحب ذلك حسن اللفظ، وإيجاز العبارة .

٣- اشتمل البحث على تسعة أمثلة صرّح ابنُ قتيبة بتعقبه ونقده لأبي عبيدة، ظهر للباحث بعد الدراسة والمقارنة، أن الصواب كان مع ابن قتيبة في سبعة مواطن منها .

٤ - ابن قتيبة كان يشير إلى قول أبي عُبيدة وإلى دليله باختصار، ثم يتعقبه بعد ذلك،ويستدل لما يراه راجحاً .

٥ - كان ابن قتيبة عف اللسان في تعقبه لأبي عُبيدة، وكان النقد متجهاً إلى القول دون قائله .

٦ - ثبت للباحث أنّ كثيراً من التهم التي رُمي بها أبو عبيدة، وابن قتيبة، هما بُراء منها .

٧- كتاب أبي عبيدة وابن قتيبة هما من اللبنات الأوَل في بيان غريب وألفاظ القرآن، وأساليبه، فالعناية بهما ألزم، والإفادة منهما أتم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،،،

فهرس المصادر والمراجع

- أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية،رسالة ماجستير، للباحث إيهاب فوزي الحجي، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٦هـ .

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المالكي، المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .

- أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، ١٤١٥ هـ .

- الأمثال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠ هـ.

- أنوار التنزيل،للبيضاوى، دار الفكر، بيروت .

- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق:

د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت .
البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ط١،٢٠٠١م .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله قرشي رسلان، الناشر: الدكتور: حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ .
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري،دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ، صيدا .
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي الشهير بالجاحظ،الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .
- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .
- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،

المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق ط٢، ١٤١٩هـ .

– التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

– التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م .

– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للحسن المصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ .

– التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د . عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت .

– تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت .

– تفسير القرآن، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ .

– تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة،ومحمد بن مصطفى الكنز،الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ .

– التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ .

- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

- تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ .

- تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر القرشي، ضبط نصه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ .

- تفسير مقاتل بن سليمان،لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، تحقيق: أحمد فريد، الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ .

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ .

- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ .

- الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٤، ١٤١٨ هـ .

- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، للدكتور أحمد محمد جلي،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ .

- ديوان الأخطل، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ .

- ديوان الأعشى مع شرح أبي العباس ثعلب، مطبعة آدلف، ١٩٢٧م .

- ديوان الطِّرِمَّاح، عني بتحقيقه: د.عِزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

- ديوان العجاج بن رؤبة، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق: د. عبدالحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق .

- ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ .

- ديوان النمر بن تولب، جمع وشرح وتحيقق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م .

- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م، ط٢ .

- ديوان امْرُيء القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ، ط ٢، ١٤٢٥ هـ .
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف،القاهرة، ط٣ .
- ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه: وليم بن لورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت .
- ديوان كُثير عزة، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٥ هـ .
- شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور الجواليقي، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ .
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ .
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢ .
- عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، الطائف، ط١ ١٤١٢هـ .

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري،تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني، أبي بكر العُزيري، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، ط ١، ١٤١٦هـ.

- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢ هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق: حمدو طماس،دار المعرفة، بيروت،ط١، ١٤٢٥هـ.

- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

- فهرسة، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- كتاب البلغة في أئمة اللغة، تأليف: الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به وراجعه: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ .

- الكشف والبيان،لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط ١، ١٤٢٢ هـ .

- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ .

- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى، تحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبدالموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط١ .

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة .

- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،

١٤١٦هـ .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ .

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م .

- المسائل النحوية في مجاز القرآن لأبي عبيدة ورأيه فيها، للباحث: سلام عبدالله محمود عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثاني عشر، العدد الثاني،٢٠٠٤م .

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١١هـ .

- المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م .

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ .

- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

- معاني القرآن، للأخفش، دراسة وتحقيق: د . عبدالأمير محمد أمين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ .

- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي،تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث العربي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ .

- معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

- معجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط١،١٤١٤هـ .

- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت،ط٢،١٩٩٥م .

- مفاتح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ .

- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: عدنان صفوان داوودي، دار القلم، دمشق،ط٣، ١٤٢٣هـ .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ .

- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن الرازي، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ .

- المقتضب، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت .

- مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، للدكتور محمد الشيخ عليو محمد،مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

- لمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ .

- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين، إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١،١٤٢٤هـ.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ .

- النشر في القراءات العشر، للجزري، تحقيق: على محمد الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى.

- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار

القيسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر بن محمد بن عبدالواحد البغدادي، المعروف بغلام ثعلب، تحقيق: د.محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ.

من أسباب حذف لام الكلمة أو ما بعدها

دراسة تطبيقية على سورة آل عمران

د. سلام عبد الله محمود عاشور

د. سلام عبدالله محمد عاشور

- أستاذ مشارك بجامعة عين شمس البرنامج المشترك مع جامعة الأقصى.
- حصل على درجة الماجستير من ليبيا - جامعة قار يونس بأطروحته: (كتاب المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل دراسة وتحليل).
- حصل على درجة الدكتوراه من ليبيا - جامعة قار يونس بأطروحته: (أثر الدرس النحوي المصري على نحاة العراق في ضوء محاولات التجديد في العصر الحديث).

ملخص

الحذف موضوع دقيق لطيف في اللغة العربية؛ و الحذف اللغوي يعتري مواضع عدة؛ لأغراض عدة أيضاً، وهذا البحث يركز على حذف لام الكلمة (آخرها) أو ما بعدها، فقد يأتي: علامة إعرابية، أو علامة بناء، أو لعلة صرفية، أو طلباً للخفة.

وقد وقع هذا الحذف في مواضع عدة في آيات من سورة آل عمران حسب الأغراض السابقة، فقد جاء كثيراً في الأفعال، في أسلوب الشرط، ثم مع حروف الجزم الأخرى ثم مع حروف النصب أما الأسماء فجاء الحذف مع الإضافة غالباً، و لكنه بنسب متفاوتة في أخرى.

Abstract

. Omission is subtle in Arabic language

This linguistic Omission occurs in different situations . and for different reasons as well

This research paper focuses on the omission of the . final letter of a word or the letter after the final one

This phenomenon occurs as a parsing sign or as a construction one, for a morphological reason or finally for .convenience purposes

The omission occurs throughout (Al Imran Chapter) in different places and for the above-mentioned purposes but .with different proportions

مقدمة:

تعدُّ اللغة أفضل وسيلة من وسائل الاتصال، وأسهلها بين بني البشر لما بها من خفة وسعة، وسرعة تماثل معاني اللغة في العقل، ويسر إدراك، فإذا أراد الإنسان أنَّ يعبر عن فكرة ما تماثلت له الكلمات ومعانيها بسرعة فائقة ليختار منها ما شاء، ليقيم فكرته ويجسدها مبدعاً فيها ما شاء له الله، وفق ما لديه من محصول لغوي، أما الوسائل الأخرى كالرموز والتمثيل وغيرها من وسائل اتصال فتحتاج إلى وقت طويل، وجهد عسير حتى يفعل الإنسان ذلك.

ولما كان الإنسان يحتاج إلى التخفيف في عملية الاتصال اللغوي مع الآخرين، فقد عمد إلى كثير من الحذف، وعلل النحاة هذه الظاهرة بعلل عدة تذكر فيما بعد، وقد ورد الحذف في اللغة العربية و القرآن الكريم شاهد على ذلك، وقد تناول هذه الظاهرة عدد لا يحصى من العلماء في اللغة العربية أو في القرآن الكريم .

وهذا البحث ليس بدعاً من بين الأبحاث، لكنه يحدد الدراسة بسورة معينة، (سورة آل عمران) فقد كثر فيها الحذف لأسباب لغوية من صوتية وصرفية ونحوية ....، وقد يكون الحذف اعتباطاً، لذا وضعته تحت عنوان الحذف للتخفيف تعظيماً للقرآن الكريم، وقد ركز البحث على هذه الأسباب مع وصف و تحليل ما حدث فيها من حذف مع ذكر سببه، بعد استقصاء الآيات الكريمة التي ورد فيها الحذف للأسباب اللغوية.

تمهيد:

يتعدد تعريف اللغة قديماً وحديثاً، فعرف ابن جني اللغة بأنَّها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم... فأنَّها فُعْلة من لغوت؛ أي تكلمت"[١]، وبعضهم يرى أنَّها "منظمة من الأجهزة كل جهاز منها متكامل مع الأجهزة الأخرى"[٢]، ولا حاجة لإطالة القول في تعريف اللغة؛ لأنَّ التعريفات كثيرة وليست مراد البحث. وما يُلمح له هذان التعريفان هو أنَّ الإنسان يستخدم الأصوات كجهاز من أجهزة اللغة، فيكوِّن الكلام الذي ينقل به أفكاره وإبداعاته للآخرين ويسجلها، وما الأصوات إلا حروف الكلمة منطوقة تسمع، أو مكتوبة تقرأ.

وقد تتفق هذه الحروف في الصفات أو تختلف، لذلك قال ابن جني عن تأليف الكلمة وحُسنه: "اعلم أنَّ هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولاسيما حروف الحلق"[٣]، ولا شك في أنَّ علماء البلاغة لديهم تفصيل طويل في ذلك عند حديثهم عن فصاحة الكلمة، فلديهم تأليف الكلام مقسم إلى ثلاثة أقسام "الأول: تأليف الحروف المتباعدة، وهو الأحسن والمختار. والثاني: تضعيف هذا الحرف نفسه، وهو يلي هذا القسم في الحسن. والثالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو إما قليل في كلامهم، أو منبوذ رأساً"[٤]، أي لا يستعمل، وإنْ اضطر المتكلم لاستعماله فإنَّه يكون منبوذاً، أو يضطر لحذف بعض الحروف حتى تقبله الألسنة.

معنى الحذف:

لغة: جاء في معجم العين للخليل: "الحذف قطف الشيء من الطرف، كما يحذف طرف ذنب الشاة... والحذف: الرمي عن جانب، والضرب عن جانب"(٥)

اصطلاحاً: "هو إسقاط كلمة أو أكثر بشرط ألاَّ يتأثر المعنى أو الصياغة بذلك"(٦)، وقيل هو "إسقاط الشيء لفظا ومعنى...ويكون الحذف مجازاً إذا تغيّر حكم ما بقي من الكلام"(٧)، وقد قال ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاَّ عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكلف علم الغيب عن معرفته"(٨)، والدليل المقصود، قد يكون دليلاً معنوياً أو مقالياً كالعوامل أو الاستثقال غيره.

وهذا البحث لا يعنى بما سبق، فليس من هدفه ذلك إلا حذف لام الكلمة أو ما يليها، أي حذف الحرف الأخير من حروف الكلمة الأصلية أو ما بعده. وحذف الحرف يكون على ضربين: "أحدهما- حرف زائد على الكلمة مما يجيء لمعنى. والآخر- حرف من نفس الكلمة"(٩)، وقد تحدث عنه النحاة هنا وهناك في مؤلفاتهم وعنوا به اعتناء شديداً لأهميته في تكملة معنى الجملة أو الكلمة، فيقدرون هنا أو هناك محذوفاً لإكمال المعنى، وقد ذهب سيبويه إلى أنَّ الحذف "في الكلام لكثرة استعمالهم كثير"(١٠)، وقد يكون الحذف استثقالاً(١١)، وذهب ابن هشام إلى أنَّه من المهمات، وفصل القول فيه وفي شروطه(١٢)

وقد عد بعضهم الحذف تخفيفاً تلجأ إليه اللغة العربية حتى تخفف النطق على أصحابها(١٣)، وذهب الإمام الجرجاني إلى أنَّ الحذف "دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر"(١٤)، ولا يرد عليه قول بعضهم: "حذف الحروف ليس بالقياس ... وذلك أنَّ الحروف إنَّما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به"(١٥)؛ لأنَّه هنا يعنى حروف المعاني لا حرف اللام أو ما بعده، الذي يقصده هذا البحث؛ لأنَّه قال بعد ذلك: "إذا قلت: ما قام زيد، فقد أغنت ما عن النفي، وهي جملة فعل وفاعل"(١٦).

أسباب الحذف:

وأسباب الحذف كثيرة في اللغة العربية، منها: كثرة الاستعمال، وطول الكلام، وللضرورة الشعرية، وللإعراب، وللتركيب، ولأسباب قياسية صرفية أو صوتية، أو قياسية تركيبية، ومواضعه أكثر من أنْ تحصى(١٧)؛ لذا وضع اللغويون بعض الشروط التي تضبط عملية الحذف كالقواعد له عددها بعضهم(١٨)، ولا حاجة لاستقصاء ذلك لأنها منثورة في كتب اللغة، وسيذكر بعضها في مكانه.

حذف اللام وما بعدها

معلوم أنَّ اللام تقابل آخر حرف أصلي في الكلمة، والكلمة التي يمكن أنَّ تحذف لامها هي الفعل، أو الاسم لسبب من الأسباب كذلك ما بعدها، أما الحرف فإنَّه لا يدخله التصريف.

أسباب حذف اللام وما بعدها:

تتعدد أسباب حذف لام الفعل، فقد يكون سبب الحذف صوتياً؛ أي اجتماع عدد من الأصوات المتماثلة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ آل عمران/ ١٨٦، فقد حذف نون الرفع من الفعلين: (لتبلون) و(لتسمعن)؛ لتوالي ثلاث نونات، هي نون الرفع ونون التوكيد الساكنة، ونون التوكيد المفتوحة، والنون معلوم أنّها قد تسبق ببعض الأصوات الانفجارية، وهي متوسطة بين الشدة والرخاوة، وقد سماها بعض اللغويين ومنهم الدكتور رمضان عبد التواب بالمائعة(١٩)، وعليه من الصعب على المتكلم أنْ ينطق بها متلاحقة، فحذفت نون الرفع؛ لأنّها لم تأتِ لمعنى، تمشياً مع القاعدة: "زيادة الثقل تستدعي زيادة التخفيف"(٢٠)، كما حذفت واو الفاعل؛ لأنّها التقت بساكن وهو النون الأولى، ومن المتعذر النطق بساكنين كما هو معلوم عند العرب.

وقد تحذف نون الوقاية كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾الزمر/ ٦٤، وقد يكون الحذف لسبب صوتي وصرفي كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾البقرة/ ٢٣٧، فحذف الواو من الفعل تعفو لما اجتمعت الواو الأصلية للفعل، وهي من الأصوات الانتقالية، أو الصوائت، وليس كما قال بعضهم إنّها من الصوامت الطويلة(٢١)؛ لأنَّ ما قبلها مضموم، وهي ساكنة مع الضمير

واو الجماعة، وهو ساكن أيضاً ومن المتعذر النطق بالساكنين، وكأنّه اجتمع أربع واوات.

وقد تحذف اللام من الاسم بسبب صوتي وصرفي كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾الأعراف/ ١٥٢، فقد اجتمعت الياء الأصلية في اسم الفاعل، وهي من الصوائت الطويلة(٢٢)؛ لأنَّ ما قبلها أيضاً مكسور، مع ياء النصب، فحذفت؛ لكونها تُعدُّ أربع كسرات متوالية؛ لأنَّ القدماء كانوا يعدون الحركات حروفاً قصيرة(٢٣)، وعليه يمكن القول إنَّ الحروف التي تماثل الحركات هي حركات طويلة؛ أي أكثر من حركة، فعندما تجتمع تحذف للتناسق الصوتي و الانسجام(٢٤).

وقد تحذف اللام تخفيفاً لسبب صوتي كما في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾الأنعام/ ١٣٤، فقد اجتمع تنوين الرفع مع الياء فتعثر النطق بهما فحذف معها. وفي نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ق/ ٤١، فقد اجتمعت سكون الياء بعد الألف مع سكون ال التعريف في المنادى والياء كما هو معلوم من الصوامت الطويلة(٢٥)؛ أي كسرتين مع الكسرة على الدال فثقلت الثلاث فحذفت الياء. وكذلك ما بعد اللام نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾مريم/ ١٠

وقد يكون سبب الحذف عاملاً نحوياً، كما في قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾النساء/ ١٢٣، فحذف الألف من الفعل يجزى لجزمه باسم الشرط. وقد يكون الحذف بسبب البناء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَكُلِي

وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾مريم/ ٢٦

وقد يحذف لام الاسم لعامل نحوي، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾المائدة/ ٦٤. ويلاحظ أنَّ الفعل أكثر تعرضاً للحذف لذلك يقدم على الاسم في البحث.

المبحث الأول: الفعل:

معلوم أنَّ الفعل يقسم إلى ماضٍ ومضارع وأمر، والمضارع يُخص بالإعراب، وقد سبق أنَّ الفعل تحذف منه اللام، وقد يحذف ما بعد اللام لأسباب عدة:

أولاً: الحذف لسبب صوتي:

قد يكون الفعل معتل اللام فتحذف نون الرفع مع اللام، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾آل عمران/ ٩٣، فقد حذف لام الأفعال: يأتي، يتلو، الياء والواو وهي من الصوائت الطويلة كما سبق، فاجتمع أكثر من كسرتين و أكثر من ضمتين كما سبق فحذفت الياء والواو؛ لأنَّهما اتصلتا بواو الجماعة الساكنة أيضاً، فاجتمعت العلتان توالي الأمثال، والتقاء الساكنين، فاجتمع هنا حذف اللام، وما بعدها. وكما في قوله تعالى: ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ آل عمران/ ٢٠٠، فقد حذف النون من الفعل: يتقي؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة، كما سبق أيضاً.

وقد يأتي فعل الأمر مقترناً بالضمير المتصل ياء المتكلم، فتجلب نون الوقاية، وتحذف نون الرفع، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾آل عمران/ ٣١، فقد حذف النون من الفعل يتبع، لاتصاله بواو الجماعة، وجلب نون الوقاية لاتصاله بياء المتكلم، فلما اجتمع نونا الرفع والوقاية، أصبح هنا ثقل في لفظ الكلمة فكان لزاماً أن تحذف إحداهما؛ لأنَّها من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة؛ أي المائعة، ويصعب النطق بها هنا.

ثانياً: الحذف لسبب صرفي:

قد يجتمع السبب الصوتي مع الصرفي، فقد يحذف حرف من حروف الكلمة خاصة حروف العلة؛ لأنَّها ساكنة، فإذا التقى ساكنان، ولم يكن هناك سبيل للتخلص من هذا الالتقاء، لجأ العرب للحذف، حلاً لهذه المشكلة في كلامهم "فلما كانت هذه السواكن لا تحرك حذفت الألف حيث أسكنت، والياء والواو"(٢٦)، وهذه الأحرف "بائنة من جميع الحروف؛ لأنَّها لا يمد صوت إلا بها، والإعراب منها، وتحذف لالتقاء الساكنين في المواضع التي تحرك فيها غيرها"(٢٧)؛ أي أنَّ هذه الحروف تساعد المتكلم على مد صوته، وفي حركة لسانه عند الكلام، وعلامات الإعراب الأصلية أجزاء منها، وهي بعض العلامات الفرعية المعلومة في كثير من الأبواب، لا حاجة لذكرها.

ويحذف الساكن لأنَّ "الساكن إذا كان مدغماً يجري مجرى المتحرك؛ لأنَّ اللسان يرتفع بها دفعة واحدة، فلذلك لا يجوز اجتماع الساكنين إلاَّ إذا كانا على الشرط المذكور، فإنْ لم يكونا على الشرط المذكور، فلا بدَّ منْ تحريك أحدهما أو حذفه، فإنْ كان الساكن الأول حرف مدّ ولين، وهو أنْ يكون ألفاً- ساكنة، قبلها فتحة - أو ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واواً ساكنة قبلها ضمة، فإنَّه إذا لقيها ساكن بعدها حذفتها"(٢٨)، والحذف في استعمال العربية نوعان: "أحدهما- يجب عن علة. والثاني- يحذف تخفيفاً. فأما الحذف الذي يجب عن علة فإنَّه "ينقاس ويطرد أين وجدت علته، أوجبت حذفه"(٢٩)؛ أي هذا الحذف قياسي.

أما الحذف الثاني- "مما لا ينقاس ولا يطرد، وإنَّما يستعمل حيث استعملته العرب، ويؤدَّى كما سُمع، فمن ذلك "حذف الهمزة والألف والواو والياء والهاء والباء والحاء والخاء والفاء"(٣٠)

الحذف القياسي:

الحذف القياسي له مواضع مختلفٌ في عددها منهم من جعلها ثلاثة مواضع(٣١)، ومنهم ذكر مواضع عدة(٣٢)، منها:

١- فاء الفعل المثال الواوي نحو: وعد يعد وتصريفاته.

٢- الحرف الزائد في الفعل، نحو: أكرم، يكرم وتصريفاته.

٣- عين الثلاثي المكسورة التي من جنس لامه، مسنداً لضمائر الرفع المتحركة، نحو: ظللت، وله أحكام(٣٣)

٤- عين الفعل الأجوف عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة، نحو قلت، وبعت؛ لسكون لامه و اسم مفعوله مثله في الحذف.

٥- لام الفعل الناقص المسند لضمائر الرفع الساكنة على تفصيل يأتي، نحو: الطلاب سعوا للنجاح.

٦- الاسم المقصور عند تنوينه تحذف ألفه لفظاً، نحو: هذا فتى جميل، وعند جمعه مذكراً سالماً، نحو: الأعلى: الأعلون وسيأتي شيء منه.

٧- الاسم المنقوص تسقط ياؤه نكرة، إذا جاء مرفوعاً أو مجروراً، نحو: هذا قاض، مررت بساع في الخير، وعند جمعه جمعاً سالماً للمذكر، نحو: دعا الداعون للخير.

٨- نون الرفع من الأفعال الخمسة عند توكيدها بالنون الثقلية:

نحو: هل تتقدمانِّ للامتحان؟ هل تقولُنَّ الحق؟ هل تقولِنَّ الحق؟ من الملاحظ أنَّ الحذف يحدث عند التقاء ساكنين، في كثير من مواضعه. فمتى يلتقي ساكنان؟

معلوم أنَّ عملية التحدث تعتمد على الحركات التي تلحق "الحرف ليوصل إلى التكلم به"(٣٤)، فالحركات تساعد المتكلم في أدائه اللغوي، لذا فإنَّ السكون المتكرر، أو التقاء الساكنين لا تفضله اللغة العربية، وقد وضعت له حلولاً عدة؛ لأنَّه "لا يجوز، بل هو غير ممكن، وذلك من قِبل أنَّ الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحال الابتداء بساكن، فلذلك امتنع التقاؤهما"(٣٥)، وذلك في غير الوقف، ومواضعه كثيرة، وما يخص البحث ما يقع في الأفعال، و الأسماء.

أمَّا ما جاء في الأفعال فهو كما يأتي:

أ- الفعل الماضي:

١ - الفعل الماضي معتل اللام بالألف عند اتصاله بتاء التأنيث، نحو: سعت، دعت.

٢ - الفعل الماضي معتل اللام مسنداً إلى واو الجماعة، نحو: سقوا، دعوا.

ب – المضارع:

١ - الفعل المضارع معتل اللام عند إسناده إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، نحو قوله تعالى: ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ الزمر/ ٢٣، ونحو: تدعين، وتعطين. والأفعال المؤكدة بالنون الثقيلة، هي الفعل المضارع المرفوع المؤكد

وكـان مـسنداً إلى ألـف الاثنـين نحـو: لتجتهـدانِّ، ولتـدعوانِّ، أو إلى واو الجماعـة، نحـو: لتقـولنَّ، لترضـونَّ، أو مـسنداً إلى يـاء المخاطبـة، لتقـولِنَّ، لترضينَّ، ولتدعينَّ، وأمره كـذلك تقـول: اجتهـدانِّ، وارضـيانِّ، واجتهـدُنَّ، واجتهدِنَّ، وارضونَّ وارضَينَّ، وأما الماضي فلا يؤكد.

ج – فعل الأمر:

١ – فعل الأمر معتـل الـلام مسنداً إلى واو الجماعـة، أو يـاء المخاطبـة، ادعوا، تزكوا، ادعي، تزكي، والأفعال تلك موضع الدرس هنا.

أما ما جاء في الأسماء:

هنـاك أسـماء معتلـة قـد يلتقـي فيهـا سـاكنان، وذلـك في المقـصور أو المنقوص وذلك عند جمعها جمعاً مذكراً سالماً، وسيأتي إن شاء.

وكما سبق فإنَّ اللغة حاولت أنْ تـضع حلـولاً لهـذه الظـاهرة، ومنهـا تحريك أول الـساكنين بالكسر، وهـو الأصـل عـلى رأي، فقـد "يحـرك بغـيره لوجـهٍ مـا، ويجـوز كـون الفـتح الأصـل؛ لأنَّ الفـرار مـن الثقـل، والفـتح أخف"(٣٦)، وإنْ لم يمكن ذلك، فالحل عندئذٍ يكون الحذف كما سبق.

ولا شك في أنَّ أكثر مواضـع الحـذف هـي مواضـع التقـاء الـساكنين المذكورة آنفاً، وهي التي تخص البحث في هذا الموضع، ولا حاجـة لإعادتهـا مرة أخرى.

حـذف الـلام أو مـا يليهـا في الأفعـال لالتقـاء الـساكنين في سـورة آل عمران:

من المواضع التي ذكرت سابقاً قد تبين أنَّ الحذف لا يكـون إلاَّ عنـد

التقاء ساكنين أو بسبب آخر، فإذا التقيا تعين التخلص من هذه المشكلة حتى يسهل إخراج الكلمات بصورة مقبولة لدى المتكلم والسامع؛ لذا وضعت اللغة العربية حلولاً للخروج منها، وما يهمنا في هذا البحث هو الحذف بشرطه، وهو أنْ يكون أول الساكنين حرف مدٍّ ولين، أو توالي الأمثال.

وقد جاء حذف اللام، وما يليها صرفياً في الفعل بصور عدة(٣٧):

أ- الفعل الماضي:

حدث في الفعل الماضي المبني للمعلوم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ آل عمران/ ١١٩، فقد حذف اللام في الفعلين لقوكم، وخلوا، وهي من الأفعال الناقصة بالياء في الفعل لقي، لذا ضم ما قبل واو الجماعة، والفعل الثاني ناقص بالألف أيضاً المنقلبة عن واو لذا فتح ما قبل واو الجماعة(٣٨)، فقد حذفت الألف الساكنة عندما أسند الفعلين لواو الجماعة الساكن أيضاً، فكان التخلص من الساكنين بحذف أحدهما فكان اللام؛ لأنَّها من الصوائت الطويلة(٣٩)، والواو فاعل عمدة لا يحذف إلا نادراً.

وكذا قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾ آل عمران/ ١٨٨، فقد حذف اللام من آخر الفعل أتى، وهي "تكون بمعنى فعل... فمعنى بما أتوا: بما فعلوا، ويدل عليه قراءة أُبي: بما فعلوا"(٤٠)، و للفعل قراءة عن الأعمش: (بما آتوا)، أي أعطوا"(٤١)

وقد ورد الحذف من الماضي المبني للمجهول في فعلين في قوله

تعــالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ آل عمران/ ١٨٦، فقد حذف الياء من الفعل أُتي المبني للمجهول والفعل تتقي في هذه الآية والتي تليها، كما حذفها من الفعل أوذي المبني للمجهول، في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ آل عمران/ ١٩٥، لما التقت الياء أيضاً بواو الجماعة فحذفت اللام للسبب السابق.

ب- الفعل المضارع:

قد جاء الفعل المضارع مبنياً للمعلوم بصور عدة، فقد جاء مسنداً لواو الجماعة معرباً مرة، وأخرى مبنياً؛ لأنَّه اتصل بنون التوكيد الثقيلة، وجاء مبنياً للمجهول مرفوعاً مرة، ومؤكداً أخرى.

أما ما جاء منصوباً أو مجزوماً فقد اجتمع فيه حذفان: حذف اللام للساكنين، وحذف النون للنصب أو الجزم، أما النصب فكما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ آل عمران/ ٢٨، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ آل عمران/ ١٤٣، فقد حذف النون للنصب، أما اللام من الفعل تتقي، ومن الفعل تلقى، فقد حذف الياء من الفعل تتقوا، والألف من الفعل تلقوه؛ لأنَّ الياء والألف ساكنان، وقد أسند الفعلان لواو الجماعة الساكن، فحذف الحرفان منهما، كما سبق في الياء والواو.

أما المجزوم فوقع في آيتين في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ آل عمران/ ١٢٥، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ آل عمران/ ١٨٦، وقد تكرر الفعل تتقوا معطوفاً على الفعل تصبروا المجزوم بحذف النون، وحذفت اللام منه لالتقاء الساكنين.

أما المرفوع فقد جاء في هذه السورة مبنياً للمعلوم كثيراً(٤٢)، منها قولــه تعــالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ آل عمران/ ٤٤، ومنها قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ آل عمران/ ١٨٧، فقد حذف اللام من الفعلين: يلقي، ويشتري، وذلك للالتقاء الساكنين عند إسنادهما لواو الجماعة، فاجتمعت الياء والواو الساكنين.

وقد جاء المرفوع مبنياً للمجهول في آية واحدة، هي قوله تعالى: (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)آل عمران/ ١٨٥، فقد حذف اللام من الفعل توفى، وهي الألف المنقلبة عن الياء؛ لفتح ما قبل آخر المضارع عند بنائه للمجهول؛ لأجل الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين(٤٣)

أما المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة فقد جاء مبنياً للمعلوم في أربع آيات(٤٤)، منها قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ آل عمران/ ١٨٦، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران/ ١٨٧، فقد اجتمع فيهما حذف نون الرفع لتوالي الأمثال كما سبق، و ما بعد اللام، وهو واو الجماعة(٤٥)؛ لأنَّه بعد أن حذف نون

الرفع للتخفيف التقى ساكنان الواو والنون الأولى من نوني التوكيد، فحذف الواو لأنَّه "وجد ما يدل عليها، وهو الضم قبلها"(٤٦)

وقد جاء المضارع المؤكد بالنون الثقيلة مبنياً للمجهول في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ آل عمران/ ١٨٦، وقد حذف من الفعل (تُبلى) اللام، وهي الألف لالتقاء الساكنين الواو والألف، وفتح ما قبل الواو، و لم يحذف الواو؛ "لأنَّه ليس قبلها ما يدل عليها"(٤٧)، وقد فتح ما قبل الواو فتحركت فبقيت(٤٨)

ج- فعل الأمر:

وقع حذف اللام أو ما يليها من فعل الأمر في بعض الآيات(٤٩)، وكلها معتلة اللام مسندة إلى واو الجماعة، وقد تكرر الفعل تعالوا في ثلاث آيات(٥٠)، منها قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ آل عمران/ ٦٤، فالفعل تعالوا فعل أمر مبني على حذف النون حسب القاعدة، وقد حذف لامه الألف، لذا فتح ما قبل آخره دليلاً على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، فإنَّ أصله: "تعاليوا، فيقال: تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، أو يقال: استثقلت الحركة على الياء فحذفت (الحركة) فالتقى ساكنان: الياء والواو فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وبقي ما قبل واو الجماعة مفتوحاً كتناجوا"(٥١)، وأصل الياء واو "لأنَّه من العلو، فأبدلت ياء لوقوعها رابعة ثم أبدلت الياء ألفاً"(٥٢)

وقد جاء الحذف في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران/ ٩٣، فقد وقع الحذف في فعلين، وهما مبنيان على حذف النون، وقد حذفت اللام لما أسند الفعلين لواو الجماعة؛ لأنَّه التقى ساكنان، الياء والواو، ولم يُفتح ما قبل الواو؛ لأنَّ اللام من الياء في الفعل يأتي، ومن الواو في الفعل يتلو.

ثالثاً: الحذف بسبب العامل النحوي:

ركز النحاة على العامل في النحو العربي حتى أصبح النحو يقوم على نظرية العامل، والعوامل منها ما هو مختص بالأسماء، ومنها ما هو مختص بالأفعال.

وعوامل الأفعال تختص بالفعل المضارع المسند للمفرد وغيره، فهو قد يرفع، وقد ينصب، وقد يجزم، أما النصب يكون بعلامة الفتحة ظاهرة أو مقدرة، وقد يكون بحذف النون، أما الجزم فقد يكون بالسكون، وقد يكون بحذف اللام، وقد يكون بحذف النون، وقد يشركه في ذلك فعل الأمر عند الكوفيين(٥٣)

عوامل النصب:

لا يخلو كتاب نحو من هذه العوامل، وهي تخص البحث، إذ يكون النصب بحذف النون، وذلك عندما يكون المضارع من الأفعال الخمسة، ولا يختص بها عامل معين، بل يقع الحذف مع جميع عوامل النصب، وهي: أنْ، لنْ، كي، إذن، وقد أفرد سيبويه إذن بباب وحدها؛ لأنَّها "عملت في الفعل عمل أرى في الاسم، إذا كانت مبتدأة"(٥٤)

معلوم أنَّ علامة النصب الأصلية الفتحة إلا أنَّ هناك علامات فرعية

تنوب عنها، وهي: الألف في الأسماء الستة، والياء في المثنى و جمع المذكر السالم، والكسرة في جمع المؤنث السالم، وحذف النون في الأفعال الخمسة، و هي أفعال مضارعة اتصلت بأحد ضمائر الرفع الساكنة، والنون التي تحذف لعامل النصب تأتي بعد هذه الضمائر، وبعد لام الفعل أيضاً، وهي ما يخص البحث.

النصب بحذف النون في سورة آل عمران:

عُلم أنَّ النصب بحذف النون يكون في الأفعال الخمسة نيابة عن الفتحة، وقد ورد النصب في سورة آل عمران ما يقرب من سبعة عشر موضعاً(٥٥)، بصور عدة، منها ما ينصب بأن المصدرية ظاهرة، وذلك في ستة مواضع، وموضع جاء معطوفاً على ما نصب بأن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾آل عمران/ ٧٣، فالفعل يحاجُّوكم نصب بحذف النون؛ لأنَّه عطف على أنْ يؤتي، وقد ذهب الزمخشري إلى أنَّه "عطف على أن يؤتي، والضمير في يحاجوكم لأحد؛ لأنَّه في معنى الجميع، بمعنى: ولا تؤمنوا لغير أتباعكم"(٥٦)، وقد جاء النصب بأنْ مباشرة في نحو قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾آل عمران/ ١٤٢، فحذف النون من الفعل تدخلوا علامة النصب الفرعية.

أما حذف النون من المضارع بأنْ المضمرة بعد اللام، فقد جاء في موضعين(٥٧)، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾آل عمران/ ١٧٨، فحذف النون من الفعل يزدادون، ووقع المصدر المفعول

الثاني لتحسب على القراءة بالتاء، والتقدير: ولا تحسبن يا محمد إملاء الـذين كفروا خيراً، ليزدادوا إيماناً، بـل ليـزدادوا إثـماً(٥٨)، وورد منـصوباً بحـذف النون معطوفاً على المنصوب بأنْ مـضمرة في موضـع واحـد، في قولـه تعـالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾آل عمـــران/ ١٢٧، فقـــد نصب الفعل ينقلبون عطفاً عـلى ليقطـع المنـصوب، أو عـلى يكبـتهم، فـاللام "متعلقـة بمحـذوف، تقـديره ليقطـع طرفـاً، أمـدكم بالملائكـة، أو نـصركم، فالفعل يقطع منصوب بـأنْ مـضمرة بعـد الـلام، والفعـل ينقلبـون معطـوف عليه، فحذف النون لذلك، وجاء منصوباً بأن مضمرة بعـد حتـى في موضـع واحد، في قولـه تعـالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمـران/ ٩٢، فنصب الفعل تنفقون بأنْ المضمرة بعد حتى فحذف النون.

أما ما نصب بالحذف بالحرف لنْ، فقـد جـاء في أربعـة مواضـع(٥٩)، منهـا مـا جـاء في قولـه تعـالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾آل عمـران/ ١١١، فقد حذف النون عندما نصب الفعل يضرون.

أما ما نصب بالحذف بالحرف كي، فقد جاء في موضع واحد، في قوله تعـــــالى: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾آل عمـران/ ١٥٣، فقـد جـاء الحـرف كـي بـين حـرف الجـر الـلام، وبـين حـرف النفـي لا، وهنـا تعمـل كـي بنفـسها، فالفعـل تحزنـون منصوب بكي وعلامة نصبه حذف النون.

وقد تجتمع أداتان للنصب في آية واحدة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران/ ٩٢، فقد نـصب الفعـل تنـالون بـالحرف

لنْ، ونصب الفعل تنفقون عطفاً على المنصوب بأنْ مضمرة بعد حتى.

الحذف بسبب الجزم:

عرفوا الجزم بأنَّه: "ضرب من الكتابة، وهو تسوية الحرف. وقلم جزم: لا حرف فيه، ومن القراءة: أنْ يجزم الكلام جزماً، توضع الحروف في مواضعها في بيان و مهل، والجزم الحرف إذا سكن آخره، وجزمت القربة إذا ملأتها، وجزمت له جزمة من مال أي؛ قطعته له"(٦٠)، ومن هنا أخذه النحاة في الاصطلاح.

فالجزم: سكون الحرف أو قطعه عن الحركة، وقد جعل النحاة السكون علامة الجزم الأصلية، وقطع بعض الحروف من الكلمة علامة فرعية، فحذف حرف العلة من الأفعال الناقصة، وحذف النون من الأفعال الخمسة، هما علامتان فرعيتان للجزم.

عوامل الجزم:

يحدث الحذف في الفعل المضارع كعلامة فرعية، إما بحذف اللام، أو بحذف ما بعدها، والفعل المضارع يجزم بعوامل عدة، منها ما يجزم فعلاً واحداً، ومنها ما يجزم فعلين.

١- ما يجزم فعلاً واحداً:

وعوامل جزم الفعل هنا: لام الأمر، ولا التي للنهي، ولم، ولما أختها(٦١)، ولا يجوز أن تفصل بينها وبين الأفعال بشيء(٦٢)

٢- ما يجزم فعلين:

وهي أدوات الشرط "وضعت للدلالة على تعليق بين جملتين من غير

وقوع الثانية منهما متسببة عن الأولى عند الوقوع"(٦٣)، فهي حرف هو (إنْ) ساكنة النون متفق عليه، وحرف آخر مختلف عليه، وهو إذما(٦٤)، والباقي أسماء، هي: منْ، ما، مهما، أي، متى، أيان، أين، حيثما، أنَّى، ويعد الحرف إنْ أم الباب، والباقي يتضمن معناه(٦٥).

وهناك خلاف حول عامل الجزم في جواب الشرط (٦٦)، ومعلوم أنَّ الفاء السببية قد تسقط، فيجوز في المضارع بعدها الرفع والجزم، وذهب سيبويه إلى أنَّهم جزموه؛ لأنَّهم "جعلوه معلقاً بالأول غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنَّ: إنْ تأتني، غير مستغنية عن: آتك، وزعم الخليل: أنَّ هذه الأوائل كلها فيها معنى إنْ، فلذلك انجزم الجواب"(٦٧)، وقد مثَّل للجزم بقوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ﴾ الحجر/ ٣، وللرفع بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنعام/ ٩١، وما يخص البحث، هو الجزم الموجود في سورة آل عمران.

الجزم بحذف آخر الفعل، أو النون في سورة آل عمران:

علامة الجزم الأصلية السكون، وهناك علامتان فرعيتان، هي حذف اللام من الفعل المضارع معتلها وغير متصل بضمائر الرفع الساكنة، وحذف النون من المضارع المتصل بهذه الضمائر.

وقد ورد الجزم في هذه السورة الكريمة بالحذف في ستة وعشرين موضعاً، بحذف لام الفعل، أو حذف النون كما سيأتي، وهناك أفعال معطوفة على أفعال الشرط، وهناك أفعال في جواب الشرط، أو ما عطف عليها، قد تكون في موضع واحد، أما من حيث العوامل، فقد جاء الحذف

بعوامل تجزم فعلاً واحداً، وبعوامل تجزم فعلين، أو بعد سقوط الفاء بعد أمر أو ما يشبهه، كما سيأتي.

١- الجزم بعوامل تجزم فعلاً واحداً:

وقد جاء المضارع مجزوما بالحذف في عشرة مواضع(٦٨)، كان الجزم بالحرفين: لا الناهية ولم، أما الجزم بالحرف لم، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران/ ١٣٥، فقد جزم الفعل يصرون، فحذف النون منه، وفي قوله: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ آل عمران/ ١٨٨، أما باقي المواضع، فقد استأثرت بها لا الناهية، فقد كثر النهي في هذه السورة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ آل عمران/ ٧٣، فقد حذف النون للجزم بلا الناهية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ آل عمران/ ١٩٤، فقد حذف لام الفعل تخزي لوجود اللام أيضاً، وقد تكرر هذه لام الجزم مع أكثر من فعل في آية واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران/ ١٣٩

٢- الجزم بعوامل تجزم فعلين:

وقد جاء الحذف بأدوات الشرط في أربعة عشر موضعاً(٦٩)، وفي ستة مواضع استخدم في السورة القرآنية الحذف بعد الحرف إنْ، نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ آل عمران/ ١٠٠، ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ﴾ آل عمران/ ١١١،

فقد حذف النون من الأفعال: تطيعون، يردون، يقاتلون، يولون، وكلها جزمت بحذف النون.

وقد جاء شيء منها معطوفاً على فعل الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾آل عمران/ ٢٩، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران/ ١٧٩، وغيرها، فقد جزم بحذف النون الأفعال: تبدون، عطفاً على تخفون، وتتقون عطفاً على تؤمنون.

أما الحذف بأسماء الشرط، فقد جاء في خمسة مواضع. موضعان بمَنْ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران/ ٨٥، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ آل عمران/ ١٦١، وقد حذف لام الفعل من فعل الشرط يبتغي، علامة للجزم باسم الشرط مَنْ، كما حذف اللام أيضاً من الفعل يأتي في جواب الشرط.

وأما الاسم ما فقد جاء جازماً في موضعين أيضاً، في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾آل عمران/ ٩٢، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ آل عمران/ ١١٥، فقد حذف النون جزماً، بالاسم ما من الفعلين: تنفقون ويفعلون، وهما فعلا الشرط.

وقد جاء الجزم في جواب الأمر في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾آل عمران/ ٦١، فمن النحاة من جعله مجزوماً جواباً للأمر، فالفعل: "تعالوا، أمر فيه معنى التحريض، وبيان الحجة، ندع،

جواب الأمر مجزوم"(٧٠)، ومنهم من جعله مجزوماً بشرط محذوف، فقال: "ندع، جواب لشرط محذوف"(٧١)، وقد قال الخليل عن الأسماء السابقة: "إنَّ هذه الأوائل كلها فيها معنى إنْ، فلذلك انجزم الجواب"(٧٢)

وقد جاء الجزم بعد الشرط وجوابه عندما اتصل المضارع بالفاء في موضع واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾آل عمران/ ١٤٩، فالفعل تنقلبون يجوز فيه "الجزم على العطف، والرفع على الاستئناف، والنصب على الجواب بإضمار أنْ، كقولك: إنْ تقم أحسن إليك فأعطيك درهماً، الجزم على معنى: أحسن وأعط، والرفع على معنى: فأنا أعطي، والنصب بإضمار أنْ على العطف المعنوي، كأنَّ المعنى: إنْ تقم يكن إحسان فإعطاء"(٧٣).

وقد اجتمع الحذف جزماً ونصباً في موضع واحد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ آل عمران/ ١١٥، فقد حذف النون جزماً من فعل الشرط يفعلون، وحذف النون أيضاً من الفعل يكفرون نصباً بالحرف لنْ، المقترنة بالفاء الواقعة في جواب الشرط .

يلاحظ أنَّ الحذف بالعامل، قد جاء في سورة آل عمران سواء أكان بعد الناصب أم بعد الجازم، وكان حذف النون أكثر من حذف لام الفعل مع الجوازم، وقد جاء الجزم في أسلوب الشرط أكثر من حروف الجزم، فما جاء مجزوماً به أكثر من الثلث بقليل فقط، وهذا يعني أنَّ القرآن يخاطب مجموع المسلمين بالشرط أكثر من خطابه للمفرد، وينهاهم أيضاً عن كثير من الأشياء لمجيء الجزم بلا الناهية كثيراً، وقد جاء الحذف بالنصب أكثر

من نصف مواضع الجزم بقليل.

رابعاً: البناء:

قد يكون الحذف في الفعل علامة على البناء، وذلك إذا كان الفعل المضارع معتل اللام، أو كان من الأفعال الخمسة، وذلك عند صياغة فعل الأمر منهما، فالحذف يكون علامة على البناء.

وفعل الأمر مبني عند البصريين، مجزوم عند الكوفيين بلام مضمرة؛ أي أنَّه مختلف حول بنائه، وعلى رأي البصريين فهو مبني، وهو الرأي الدارج بين المعلمين والمتعلمين، لذا فإنَّ البناء يعد سبباً في حذف لام الفعل، أو ما بعد اللام.

وقد ورد فعل الأمر في سورة آل عمران في عشرين آية(٧٤)، وقد يذكر فعل الأمر في الآية أكثر من مرة، منها ما جاء محذوف اللام، ومنها ما جاء محذوف النون.

أما ما جاء محذوف اللام، فقد ورد في آيتين: في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾آل عمران/ ١٥٩، فقد حذف الواو من الفعل يعفو علامة على البناء، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾آل عمران/ ١٩٣، فقد حذف اللام من الفعل يتوفى علامة للبناء.

أما باقي المواضع جاءت بحذف النون؛ لأنَّها من الأفعال الخمسة سواء أكان معتل اللام أم صحيحها، أما ما جاء صحيح اللام محذوف النون، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾آل عمران/ ٤٣، فقد حذف النون من الأفعال: يقنت، يسجد، يركع؛ لأنَّها

اتصلت بضمير المخاطبة المفرد المؤنث، وقوله تعالى: ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾آل عمران/ ١٣٧، فقد حذف النون من الفعلين: يسيرون، وينظرون؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة.

وقد يكون الفعل معتل اللام رغم ذلك تحذف اللام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾آل عمران/ ٦١، فقد حذف لام الفعل، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾آل عمران/ ٩٣، فقد حذف لام الأفعال: تعالى، يأتي، يتلو، والنون لأنَّها اتصلت بواو الجماعة علامة على البناء، فاجتمع حذف اللام، وما بعدها.

وقد يأتي في الآية فعلان: أحدهما صحيح اللام، والآخر معتلها، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾آل عمران/ ٢٠٠، فقد حذف النون من الأفعال: يصبر، ويصابر، ويرابط، ويتقي؛ لأنَّها اتصلت بواو الجماعة، وحذفت اللام من الفعل يتقي أيضاً.

وقد جاء فعل الأمر مقترناً بالضمير المتصل ياء المتكلم، فجاءت نون الوقاية، وحذفت نون الرفع، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران/ ٣١، فقد حذف النون من الفعل يتبع، لاتصاله بواو الجماعة، وجلب نون الوقاية لاتصاله بياء المتكلم.

رابعاً: الحذف للتخفيف:

قد يحذف ما بعد لام الفعل للتخفيف أو لكونه رأس آية(٧٥)، وقد جاء في هذه السورة الكريمة في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ آل عمران/ ٥٠، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾آل عمران/ ١٧٥، فهناك ضمير متصل هو الياء في محل نصب؛ لذا جلب نون الوقاية وكسرها، ومعلوم أنَّ نون الوقاية في هذه الحالة واجبة(٧٦).

المبحث الثاني:
الحذف في الأسماء:

قد تحذف اللام أو ما بعدها في بعض الأسماء، وإنْ كان الحذف فيها أقل من الأفعال، وقد تحذف اللام لعلة صوتية أو صرفية، وقد يحذف ما بعد اللام لوجود العامل، أو للتخفيف.

أولاً: الحذف بسبب صوتي:

كما كان الحذف لعلة صوتية و صرفية في الأفعال الناقصة، فإنَّ الحذف هنا يكون في الأسماء المشتقة منها كاسم الفاعل والمفعول وغيرها من المشتقات والمصادر عند التقاء الساكنين.

وقد جاء اسم الفاعل في ثلاث آيات، من الفعل اتقى مرتين، ومن الفعل عفى مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾آل عمران/ ١٣٣، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾آل عمران/ ١٣٨، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾آل عمران/ ١٣٤، ويلاحظ أيضاً أنَّها مجموعة جمعاً مذكراً سالماً، وقد اتصل حرف الإعراب الياء الساكن بنظيره الأصلي الساكن وهي من الأصوات الانتقالية، أو الصوائت؛ أي التقى ساكنان فحذف الحرف الأصلي منهما؛ لتعذر النطق بهما، كما هو معلوم في العربية، وحذف الحرف الأصلي؛ لأنَّ حرف الإعراب جاء لمعنى، وما جاء لمعنى لا يحذف.

وأصل المتقين جمع موتقي، فاتصلت الياء لامه، بياء الإعراب فالتقى

ساكنان، وقد "حذفت الكسرة من الياء الأولى لثقلها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين"(٧٧)، والمحذوف هو الياء الأصلية، لا ياء الجمع؛ لأنَّها جاءت لمعنى و"إذا حذفت لا يبقى على ذلك المعنى دليل فكان إبقاؤها أولى"(٧٨)

وقد جاء اسم التفضيل من الفعل علا مجموعاً أيضاً، في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾آل عمران/ ١٣٩، فمفردها أعلى، جمعت بالواو والنون، فالتقت الواو، بالألف الساكن، وهي من الأصوات الانتقالية، أو الصوائت، فالتقى ساكنان "فحذف الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة تدل عليها"(٧٩)، كما سبق لتعذر النطق بهما.

ثانياً: الحذف لعلة صرفية:

فقد جاء مصدر الفعل اتقى في آيتين في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾آل عمران/ ٢٨، والآية: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾آل عمران/ ١٠٢، و تقاة مصدر أصله: "وقية، فأبدلت الواو تاء كما أبدلوها في: تجاه وتكاه، وانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو مصدر على فُعلة كالتؤدة، والتخمة"(٨٠)، وهي من الفعل الثلاثي وقى، إلاَّ أنَّه استخدم الأمر من الخماسي اوتقى (افتعل) ومصدره افتعال.

ثالثاً: الحذف للعامل:

معلوم أنَّ النون في المثنى والمجموع على حدِّه، تحذف عند الإضافة؛ لأنَّها من العوامل التي تجر الاسم، وهي "ليس باسم ولا ظرف، فقولك:

مررت بعبد الله، وهذا عبد الله"(٨١)، فإنَّ إضافة لفظ الجلالة لعبد، جعلته مجروراً، وقد علم من كلام له أنَّ الجر ليس عامله الإضافة "وإنما هي المقتضية له، والمعنى بالمقتضى ههنا أنَّ القياس يقتضي هذا النوع من الإعراب لتقع المخالفة بينه وبين إعراب الفاعل والمفعول، فيتميز عنهما، إذ الإعراب إنَّما وضع للفرق بين المعاني، والعامل هو حرف الجر أو تقديره"(٨٢)، والإضافة تكون بمعنى اللام أو بمعنى من أو بمعنى في(٨٣)، وهذا يناقض قول بعض النحاة في مسوغات الابتداء بالنكرة، بأنَّها إنْ كانت عاملة فيما بعدها الجر يجوز الابتداء بها، كما جاء في الحديث الشريف: (خمسُ صلواتٍ كتبهن الله على العباد)(٨٤)

ويحذف للإضافة ما في المضاف من تنوين(٨٥)، أو نون تلحق المثنى وجمع السلامة للمذكر(٨٦)، وذلك لأنَّ الإضافة تنزَّل منزلة التنوين(٨٧)، ويفترق التنوين عن النون، بأنَّ التنوين "نون زائدة ساكنة تلحق الآخر لغير توكيد"(٨٨)، وذلك في اللفظ دون الخط(٨٩)، وهناك فرق آخر بينهما، وهو أنَّ كل تنوين نون، لا العكس(٩٠)، والنون ليست كالتنوين في الدلالة على التنكير والانصراف والإعراب، كما أنَّها ليست عوضاً من شيء(٩١)، وعليه فالتنوين ليس مما نحن فيه؛ لأنَّه يكون علامة فوق لام الكلمة خطاً، ولا يأتي بعدها إلا صوتاً إثر الحركة الإعرابية، أما النون في المثنى والجمع على حده، فهي مما بعد لام الاسم، وهي علامة لكنها مستقلة بنفسها مع حركتها.

ورد الحذف في هذه السورة في ثلاث آيات مباركة(٩٢)، هي قوله

تعالى: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾آل عمران/ ١٣، وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾آل عمـــران/ ٤٩، وفي قولـــه تعـــالى: ﴿ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾آل عمران/ ١٦٥، ففي الآية الأولى والثالثة حذف نون المثنى من قوله: مثلين؛ لإضافتها لضمير الغائب، وفي الآية الثانية حذف النون من بنين الملحق بجمع المذكر السالم(٩٣)؛ لإضافته للاسم الظاهر إسرائيل، وقد جاء الحذف بعد علامة النصب الياء في الآيتين الأولى والثانية والجر في الثانية.

رابعاً: الحذف في الاسم للتخفيف:

ورد هذا الحذف في هذه السورة الكريمة في لفظة واحدة (رب)، مضافة لياء المتكلم في ثلاثة مواضع: قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾آل عمران/ ٤٠، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾آل عمران/ ٤١، وفي الآية: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ آل عمران/ ٤٧، لا شك في أنَّ كلمة رب وقعت في نداء يفيد الدعاء، وقد أضيف إلى ضمير المتكلم المفرد، ومعلوم أنَّ هذه الياء إذا أضيفت للمنادى، فيها خمسة أوجه، فتقول: "يا غلامِي ويا غلامَي، ويا غلامِ، ويا غلاما، ويا غلامَ، بحذف الألف مع خفتها؛ لأنَّها بدل من الياء، فجرت مجراها في الاستغناء عنها بحركة"(٩٤)، وقد روى بعضهم لغة: ضم المنادى، حيث يكتفى من الإضافة بنيتها، ويُضم الاسم كما تُضم المفردات،... نحو قراءة: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ يوسف/ ٣٣"(٩٥)، فقد ضم كلمة ربِّ وهي منادى، وهذه الآيات التي وردت بحذف الياء، قد جاءت على أقوى اللغات، وهي حذف الياء وإبقاء الكسرة.

أهم النتائج:

أنَّ الحـذف ظـاهرة متأصـلة في اللغـة العربيـة وقـد دُرِسَ في العربيـة والقرآن دراسات كثيرة، وهو يستحق المزيد من الدراسة.

كان الهدف من الحذف التخفيف على القارئ أو المتكلم.

الحذف يشمل الظـواهر الـصوتية، و الـصرفية، والنحويـة فـضلاً عـن الحذف البلاغي.

الحـذف كـان مـن أجـل أغـراض عـدة: منهـا يكـون لغـرض صـوتي و صرفي لأجل تجنب التقاء الساكنين، حيث الصوائت الطويلة المتعـذر النطـق بها، ومنها ما يكون بسبب التخفيف، و منها بسبب نحوي؛ أي يكون علامة إعرابية.

حدث الحذف في الأفعال أكثر من الأسماء في سورة آل عمران.

كان الحذف علامة إعرابية فرعية جزماً ثم نصباً أكثر منه كعلامة بناء، أو لعلة صوتية أو صرفية، ثم ما جاء لعلة صرفية ثم ما جاء علامة للبناء، ثم ما جاء لعلة صوتية أو للتخفيف.

كان حذف النون أكثر من حذف لام الفعل مع الجوازم.

ما جاء الحذف فيه بالجزم أكثر من ثلث مواضع الحذف بقليل .

وقد جاء الحذف بالنصب أكثر من نصف مواضع الجزم بقليل.

قد يكون الحذف عند التقاء ساكنين، وله شروط.

فهرس الهوامش

١- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م ١/ ٣٤

٢-حسان، دكتور تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١١.

٣- ابن جنى، عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م، ١/ ٦٥

٤- ابن سنان الخفاجي، عبد الله، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م ص: ٥٨.

٥- الفراهيدي، الخليل، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٦م ٣/ ٢٠٢،٢٠١ (حذف)

٦- التونجي، د.محمد، وغيره،المعجم المفصل في علم اللغة العربية، دار الكتب العلمبة،بيروت،١٩٩٣م ص ٢٦٤

٧- الكفوي، الكليات، أبو البقاء، تحقيق دكتورعدنان درويش وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م ص٣٨٤،٨٠٦

٨- ابن جني، عثمان، الخصائص ٣/ ٣٦٢

٩- المصدر السابق ٣/ ٣٨٣

١٠- سيبويه، عمرو، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣م ٢/ ١٣٠

١١- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله،أدب الكاتب، تحقيق، محمد الدالي،

مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٢م، ص٢٢٩.

١٢- ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٩١م ٢/ ٦٩٢

١٣- عفيفي، الدكتور أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،١٩٩٦م، ص٢١٧.

١٤- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب ت، ص ١٧٨.

١٥- ابن جني، عثمان، الخصائص ٢/ ٢٧٥

١٦- المصدر السابق والصفحة

١٧- حمودة، د. طاهر، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار المصرية، الإسكندرية، ب ت ص٢٧ وما بعدها

١٨- ظاهرة الحذف ص١٠٩، وما بعدها وفي ظاهرة التخفيف ذكر أقل من شروطه ص ٢١٧وما بعدها

١٩- أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،١٩٧٩م ص٦٦،وحسان، د.تمام،مناهج البحث اللغوي،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،١٩٩٠م ص ١٠٥،عبد التواب، د.رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٢م ص ٢٢٦

٢٠-عفيفي، د.أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،١٩٩٦م ص٣٣٦

٢١- الأصوات اللغوية ص ٤٣، البكوش، د الطيب، التصريف العربي من

خلال علم الأصوات الحديث،المطبعة العربية، تونس،١٩٩٢م ص ٤٩، عبد الجليل،د.عبد القادر،الصرف الصوتي، دار أزمنة للطباعة والنشر، الأردن،١٩٩٨م ص ٩٧

٢٢- الصرف الصوتي ص٩٧

٢٣- ابن جني، عثمان، الخصائص ٢/ ٣١٧

٢٤-الجندي، د. أحمد،اللهجات العربية في التراث،الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا،١٩٧٨م ٢/ ٧٠٩

٢٥- عبد الجليل، د.عبد القادر، الصرف الصوتي ص ٩٧

٢٦- سيبويه، الكتاب ٤/ ١٥٨

٢٧- المقتضب ٣/ ٢١٠

٢٨- شرح المفصل ٩/ ١٢٢، ما بين المعترضتين زيادة يقتضيها المعنى وليست في المرجع.

٢٩-الثمانيني،عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض،١٩٩٩م ص٣٧٣

٣٠-المصدر السابق والصفحة.

٣١- ابن هشام، عبد الله، أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب ت، ٤/ ٤٠٦، الصبان، محمد بن على، حاشية الصبان على الأشموني، مكتبة الإيمان، مصر، ب ت ٤/ ٥٠١، و الحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٦٥م، ص١٦٨.

٣٢- ابن عقيل، عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، دار المدني، جدة، ١٩٨٤م ٤/ ١٨٣ وما بعدها.

٣٣- المصدر السابق ٤/ ١٩٧

٣٤- سيبويه، الكتاب ٤/ ٢٤٢

٣٥- ابن يعيش، موفق، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، ب ت ٩/ ١٢٠

٣٦- شرح المفصل ٩/ ١٢٩، المساعد٣/ ٣٣٨

٣٧- الآيات: ٣٢، ١٠٨، ١١٢، ١١٩، ١٥٥، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥

٣٨-الدمياطي، محمد بن أحمد، براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف، تحقيق الدكتور محمد العمروسي، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٦٢.

٣٩- علم الصرف الصوتي ص٩٤،٩٥

٤٠-الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط،عناية عرفات حسونة وغيره، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ٣/ ٤٦٥،٤٦٦

٤١- النحاس،أحمد بن محمد،إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م ١/ ٤٢٥

٤٢-الآيات: ٤٤، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٨، ١٤٣، ١٥٣، ١٨٧، ١٩٩.

٤٣- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص٦١،

شذا العرف ص٦٥.

٤٤-الآيات: ٨١، ١٠٢، ١٨٦، ١٨٧.

٤٥- شذا العرف في فن الصرف ص٥٩.

٤٦- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص ٦٣.

٤٧- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١/ ٤٥٥

٤٨-المصدر السابق والصفحة و براعة التأليف ص٦٣.

٤٩-الآيات: ٦١، ٦٤، ٩٣، ١٠٢، ١٦٧.

٥٠- في الآيات: ٦١، ٦٤، ١٦٧.

٥١- براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف ص ٣٦.

٥٢- العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق الدكتور علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٧٦م ١/ ٢٦٨

٥٣- الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، مصر، ب ت ١/ ٥٢٤،مسألة: ٧٢، الشرجي، عبد اللطيف، ائتلاف النصرة، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٧م ص١٢٥، والمبّرد، محمد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ب ت ٢/ ٣،٤٤

٥٤- سيبويه، الكتاب ٣/ ١٢

٥٥- الآيات: ٢٨، ٧٣، ٨٠، ١٢٢، ١٤٢، ١٤٣.

٥٦- الزمخشري، محمود، الكشاف، انتشارات آفتاب، تهران، ب ت ١/ ٤٣٧، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٧١

٥٧-الآيـات: ١٧٨،٨٠، وفي موضـع واحـد عطـف عـلى منـصوب بـأن مضمرة.

٥٨- التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣١٣

٥٩-الآيات: ١٧٧،١١٥،١١١،٩٢

٦٠- العين للخليل ٦/ ٧٣

٦١- ابن مالك، محمد، شرح التسهيل، تحقيـق الـدكتور عبـد الـرحمن الـسيد والدكتور محمد المختون، هجر، القاهرة، ١٩٩٠م ٤/ ٦٤،٦٣

٦٢- سيبويه، الكتاب ٣/ ١١١

٦٣- المساعد على تسهيل الفوائد ٣/ ١٣٢

٦٤- الاسـترأبادي، محمـد شرح الـرضي، تحقيـق د. يوسـف عمر،جامعـة قـاريونس، ليبيـا،١٩٧٨م ٤/ ٩٠، مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب ١/ ١٠٢، وقد عدها سيبويه حرفاً؛ لأنها تشبه إنها وكأنها. الكتاب ٣/ ٥٧

٦٥- سيبويه، الكتاب٣/ ٩٤

٦٦- شرح الرضي ٤/ ٩٢

٦٧- سيبويه، الكتاب٣/ ٩٤

٦٨- الآيات: ١٩٤،١٨٨،١٧٥،١٥٦،١٣٩،١٣٥،١١٨،١٠٥،١٠٣،٧٣

٦٩- الآيـــــات: ٢، ٥، ٧، ٨٥، ٩٢، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٥، ١٤٩، ١٦١، ١٧٩.

٧٠-النحاس،أحمد بن محمـد،إعراب القـرآن، تحقيـق د.زهـير غـازي زاهـد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م ١/ ٣٨٣

٧١- التبيان في إعراب القرآن١/ ٢٦٨، شرح الرضي ٤/ ١١٨
٧٢- سيبويه، الكتاب٣/ ٩٤
٧٣- المالقي، أحمد، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ب ت ص٣٨٥، حاشية الصبان ٤/ ٣٤،٣٥
٧٤-الآيـــات: ٣١، ٣٢، ٤٢، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٢، ١٠٦، ١١٩، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٠.
٧٥- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١/ ٢١٨
٧٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/ ٣٩٧
٧٧- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١/ ١٨١
٧٨- التبيان في إعراب القرآن١/ ١٦
٧٩-المصدر السابق ١/ ٢٩٤
٨٠- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١/ ٣٦٥، البحر المحيط ٣/ ٩٤
٨١- سيبويه، الكتاب ١/ ٤١٩
٨٢- شرح المفصل ٢/ ١١٧
٨٣-شرح الرضي ٢/ ٢٠٦
٨٤-ابن حنبل، الأمام أحمد، الموسوعة الحديثة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠١م، حديث رقم: ٢٢٧٢٠ عن عبادة ورقم: ٢٢٦٩٣ عن عبادة أيضاً.
٨٥- جهاوي، الدكتور عوض المرسي، ظاهرة التنوين في اللغة العربية،

الخانجي، القاهرة،١٩٨٢م، ص٥٣

٨٦- سيبويه، الكتاب ١/ ١٨٤، شرح التسهيل٣/ ٢٢٣، المساعد على تسهيل الفوائد ٢/ ٣٣٠

٨٧- شرح المفصل ٢/ ١١٨

٨٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/ ٣٩٢

٨٩-العشائر، محمد بن محمد بن أبي اللطف، الموضح المبين لأقسام التنوين، تحقيق الدكتور محمد عامر حسن، مكتبة المجلد العربي، مصر، ١٩٨٨م، ص٣٩

٩٠- المصدر السابق ص٣٨

٩١- رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ٣٣٩،٣٤٠.

٩٢- الآيات: ١٦٥،٤٩،١٣.

٩٣- سيبويه، الكتاب ١/ ١٨٤

٩٤- شرح التسهيل ٣/ ٢٨١

٩٥- أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك ٤/ ٣٨

فهرس المراجع والمصادر

- ابن جنى، عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م.
- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م
- ابن حنبل، الأمام أحمد، الموسوعة الحديثة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠١م
- ابن سنان الخفاجي، عبد الله، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م
- ابن عقيل، عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، دار المدني، جدة، ١٩٨٤م
- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله،أدب الكاتب، تحقيق، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٢م
- ابن مالك، محمد، شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد المختون، هجر، القاهرة، ١٩٩٠م
- ابن هشام، عبد الله، أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب ت
- ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م
- ابن يعيش، موفق، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، ب ت

- الاسترأبادي، محمد، شرح الرضي على الكافية، تحقيق د. يوسف عمر،جامعة قاريونس، ليبيا،١٩٧٨م
- الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، مصر، ب ت
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط،عناية عرفات حسونة وغيره، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م
- أنيس، د.إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، مصر،١٩٧٩م
- البكوش، د الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث،المطبعة العربية، تونس،١٩٩٢م
- الثمانيني،عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض،١٩٩٩م
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب ت
- الجندي، د. أحمد،اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا،١٩٧٨م
- جهاوي، الدكتور عوض المرسي، ظاهرة التنوين في اللغة العربية، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م
- حسان، دكتور تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢م

- حسان، د.تمام، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،١٩٩٠م
- الحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٦٥م
- حمودة، د. طاهر، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار المصرية، الإسكندرية، ب ت
- الدمياطي، محمد بن أحمد، براعة التأليف في توضيح بعض خفي الإعراب والتصريف، تحقيق الدكتور محمد العمروسي، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٨م،
- الزمخشري، محمود، الكشاف، انتشارات آفتاب، تهران، ب ت
- سيبويه، عمرو، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣م
- الشرجي، عبد اللطيف، ائتلاف النصرة، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٧م
- الصبان، محمد بن على، حاشية الصبان على الأشموني، مكتبة الإيمان، مصر، ب ت
- عبد التواب، د.رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٢م
- عبد الجليل، د.عبد القادر،الصرف الصوتي، دار أزمنة للطباعة والنشر، الأردن،١٩٩٨م

- العشائر، محمد بن محمد بن أبي اللطف، الموضح المبين لأقسام التنوين، تحقيق الدكتور محمد عامر حسن، مكتبة المجلد العربي، مصر، ١٩٨٨م
- عفيفي، الدكتور أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،١٩٩٦م
- العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق الدكتور علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٧٦م
- الفراهيدي، الخليل، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٦م
- الكفوي، الكليات، أبو البقاء، تحقيق دكتورعدنان درويش وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م
- المبّرد، محمد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت. بدون تاريخ.
- النحاس،أحمد بن محمد،إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م

منهج الإمام مسلم في التفسير من خلال كتابه (الصحيح)

د. أميرة بنت علي بن عبدالله الصاعدي الحربي

د. أميرة بنت علي بن عبدالله الصاعدي الحربي

- أستاذ مساعد بمعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها بجامعة أم القرى.
- حصلت علي درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحتها: (القواعد والمسائل الحديثية المختلف فيها بين المحدثين والأصوليين).
- حصلت علي درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحتها: (ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير من سورة الفاتحة إلى سورة الحج - جمع ودراسة حديثية تفسيرية).
- عضو بالجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه.
- مديرة الإدارة النسائية لدور الحافظات لتعليم الكتاب والسنة بمكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلاّ على الظالمين، ولا إله إلا الله إلهُ الأولين والآخرين، وقيوّم السماوات والأرضيين، ومالك يوم الدين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عزّ إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدي إلا في الاستهداء بنوره .وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، المبعوث بالدين القويم، والمنهج السليم، أرسله الله رحمة للعالمين ؛ وإماماً للمتقين ؛ وحجة على الخلائق أجمعين .

إن مما يميز هذه الأمة ويبرز دورها ومكانتها هو خدمتها لسنة المصطفى ﷺ، وجهودها الجبارة في الحفاظ عليها، وتنقيتها من الشوائب والعلل، واستخراج كنوزها ودررها .

ومن أبرز هذه الجهود ما حظي به القرن الثالث الهجري – العصر الذهبي – من تميز وإبداع، يعكس لنا التألق التصنيفي للسنة النبوية، والتميز العلمي للتدوين، وعلى رأس هرم مصنفي هذا القرن صاحبا الصحيحين الإمامين الجليلين البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى .

وإن العناية بالصحيحين مما تقتضيه ضرورة المحافظة على السنة النبوية، وخاصة في هذا الوقت الراهن، الذي ظهر فيه من يشكك في ثوابت الأمة ومصادرها الأصيلة، وظهر فيه من ينادي بالوقوف على القرآن فقط وعدم الاحتجاج بالسنة، ومن ينادي بتنقية السنة مما لا يلزم ولا يتناسب مع روح العصر وتقنياته – زعموا –، وغفل هؤلاء القوم عن أهمية السنة النبوية

وقيمتها التشريعية، وهي مبينة للقرآن ومقررة له، قال تعالى ﴿ وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، قال البغوي " أراد بالذكر الوحي، وكان النبي ﷺ مبينا للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة "[١]، والسنة وحي (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى .إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم ٣- ٤]، فالسنة مثل القرآن في وجوب العمل بها ولزوم قبولها، قَالَ ﷺ " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ معه... الحديث"[٢].

وعند التأمل في كتب السنة النبوية نجد أن للمحدثين جهود واضحة، وبصمات مشرقة في العناية بالتفسير، وجمع المرويات النبوية المفسرة لكلام الله، والمبينة لعمومه ومجمله ومشكله، وفي قائمة تلك الكتب الصحيحين، حيث حرص الشيخان على أصح الروايات في ذلك الباب . ومما يزيد الصحيحين قوة وميزة اهتمامها بالقرآن الكريم تفسيراً وبياناً وتخصيصاً، وتناولاً لجميع المباحث المتعلقة بالقرآن وعلومه، وقد وقفت على رسالة علمية بعنوان:

" منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح)" رسالة ماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤١٥هـ، إعداد الطالب: سيد أحمد الإمام بن خطري " وكان بحثاً رائداً ومؤصلاً وعميقاً، استفرغ فيه الباحث جهده .

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٠) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة – باب لزوم السنة ٥/ ١٠ ح ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده.

فرأيت أن ألقي الضوء على جهود الإمام مسلم في التفسير، حيث إني لم أطلع حسب علمي القاصر على من تطرق لهذا الموضوع، وأسميته: **" منهج الإمام مسلم في التفسير من خلال كتابه (الصحيح) "** .

وقد اخترت كتاب التفسير تطبيقاً، لأن هناك من نازع في تصنيف صحيح الإمام مسلم من ضمن الجوامع الحديثية ، لقلة التفسير فيه، كما سيأتي بيانه(١)، فأردت إبراز هذا الجانب المهم في صحيح الإمام مسلم، وهو العناية بتفسير كتاب الله عز وجل، وبيان المنهج المتبع لديه في تناول المباحث المتعلقة بالقرآن وعلومه، ومدى اهتمامه –رحمه الله- بتطبيق منهجه الحديثي على الروايات التفسيرية .

وبناء على ما سبق فإن خطة البحث ستكون على النحو التالي:

خطة البحث:

- التمهيد وفيه:
- المطلب الأول: الباعث على تأليف الصحيحين .
- المطلب الثاني: مزايا الصحيحين.
- المطلب الثالث: مقارنة بين منهج الصحيحين في التأليف .
- المطلب الرابع: مقارنة بين كتابي التفسير من صحيح الإمام البخاري والإمام مسلم رحمهما الله

المبحث الأول: منهج الإمام مسلم في التفسير ، وفيه مطالب:

---

(١) انظر ص ١٩.

- المطلب الأول: قراءة وصفية لأحاديث التفسير
- المطلب الثاني: أوجه عناية الإمام مسلم في التفسير .
- المطلب الثالث: ملامح منهج الإمام مسلم في التفسير .

المبحث الثاني: الإسرائيليات في صحيح مسلم .

- الخاتمة وفيها أهم النتائج .
- الفهارس .

منهجي في كتابة البحث:

اتبعت في صياغة البحث على ما يلي:

- المنهج الاستقرائي .
- المنهج التحليلي .

واتبعت في ذلك الخطوات التالية:

١- قمت باستقراء أحاديث صحيح الإمام مسلم، فجمعت الأحاديث المتعلقة بالتفسير وعلومه، ثم صنفت الأحاديث حسب المواضيع المناسبة لها .

٢- قمت بدراسة المرويات الواردة في الموضوع والمصنفة فيه والنظر فيها، ومحاولة استنباط منهج الإمام مسلم الحديثي من خلالها .

٣- لم أستوعب جميع المباحث التفسيرية، ولا جميع الأمثلة الحديثية، بل ركزت على أبرز القضايا والمباحث، وذلك لضيق مجال البحث، ولسعة الموضوع وصعوبة دراسة جميع النماذج، فاكتفيت ببعض النماذج .

٤- ذكرت اسم السورة ورقمها عند ذكر الآية، تخفيفاً واختصاراً .

٥- اكتفيت في توثيق الأحاديث بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث في موضع ذكر الحديث، دون الإشارة في الهوامش، لكثرة الأمثلة الحديثية، ولاقتصار عينة البحث على أحاديث صحيح الإمام مسلم فقط.

الدراسات السابقة للموضوع:

من خلال البحث عن دراسات سابقة لمنهج الإمام مسلم في التفسير من خلال كتابه الصحيح، لم أعثر على دراسة متخصصة في هذا الموضوع، وغالب الدراسات عن منهج الإمام مسلم حديثياً، ولكن هناك جمع لمرويات التفسير في مسلم، وهي كالتالي:

١- مرويات الإمام مسلم في التفسير من الفاتحة إلى النساء أ. سنا محمد الصديق مصطفى، جامعة أم درمان الإسلامية / أصول الدين. (لم اطلع عليها)

٢- مرويات الإمام مسلم في التفسير (سورة الأنفال) للباحثة: أ. بتول زاكى الدين، جامعة أم درمان الإسلامية / أصول الدين . (لم اطلع عليها)

٣- مرويات الإمام مسلم في التفسير من خلال الدر المنثور للسيوطي: توثيق و دراسة (من سورة المائدة حتى نهاية سورة الأعراف/ الجامعة الأردنية . (لم اطلع عليها)

٤- تقريب التفسير من صحيحي البخاري ومسلم -رحمهما الله تعالى - محمد بن إبراهيم بن رشود التميمي . وقد قام المؤلف بتجريد المرويات

التفسيرية في الصحيحين وتنزيلها على هامش المصحف، وقد بلغت زوائد روايات الإمام مسلم على البخاري، التي أفردها المصنف حوالي (٨٩) رواية تفسيرية .

٥- النكت على كتاب التفسير من صحيح الإمام مسلم / د. عبد الرحمن القصاص .وهو عبارة عن تعليق على أحاديث كتاب التفسير عند الإمام مسلم، دون التطرق للمنهج.

ومما دفعني لكتابة هذا البحث ما يثار بين فترة وأخرى من هجوم حول الصحيحين، ولكثرة سهام المشككين والمرتابين والمتربصين والحاقدين على السنة النبوية والمنهج الصحيح، فجاء هذا البحث نصراً مؤزراً، وحجراً ملقماً، وسهماً صائباً .

ويشرفني أن أنضم إلى قافلة المحتسبين المباركة، لأسهم في إبراز بعض الجوانب المضيئة، وأكشف بعض خبايا زوايا هذا الكتاب المميز، وفاء بحقه، وأداء لنشر علمه، وتبليغاً للسنة وأهلها .

أسأل الله العلي العظيم أن يتقبله مني ويجعله مباركاً، وأن يوفقني إلى ما يحب ويرضى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهـــيد

المطلب الأول: الباعث على تأليف الصحيحين

نص الإمام البخاري – رحمه الله – على سبب تأليفه للصحيح فقال: " كنا عند إسحاق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح "[1] ، وروي عنه أيضاً أنه قال: " رأيت النبي ﷺوكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح "[2]. كما نص الإمام مسلم –رحمه الله– في مقدمة الصحيح على أن سبب تأليفه له هو تلبية طلب وإجابة سؤال حيث قال: (أما بعد: فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ في سنن الدين وأحكامه ...بالأسانيد ...فأردت – أرشدك الله – أن توقف على جملتها مؤلفة محصاة، وسألتني أن ألخصها لك في الصحيح بلا تكرار يكثر ...فإذا كان الأمر في هذا كما وصفنا فالقصد منه إلى الصحيح القليل أولى بهم من ازدياد السقيم.) [3]. وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه[4]، أن

---

(١) هدي الساري ص ٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقدمة صحيح مسلم ص ٣ – ٤ باختصار.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٨٦.

مسلما جمع الصحيح لأبي الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري تلميذه وصاحبه، فقال في ترجمة أحمد في الموضع السابق: (ثم جمع له مسلم الصحيح في كتابه.) فبين الخطيب بهذا ما أبهمه الإمام مسلم في مقدمته.

من خلال ما سبق يتبين أن الإمام البخاري حقق أمنية شيخه، حيث لاقت هذه الأمنية قبولاً في نفس التلميذ، وصادفت همة في الذب عن سنة المصطفى ﷺ، فكانت النتيجة هذا السفر المبارك، والإرث الباقي من تركة الأنبياء عليهم السلام . كما نجد أن الإمام مسلم بادر لسؤال ذلك السائل، وأجاب طلبه، ليُخرج لنا هذا الطلب كنوز وذخائر، ويكشف ذلك السؤال عن مواهب وقدرات، فكم في الأمنيات من بركات، وكم في المبادرات من إنجازات وإبداعات .

المطلب الثاني : مزايا الصحيحين

يقول الإمام النووي –رحمه الله– في (تهذيب الأسماء واللغات): " واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا: البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحاً، وأكثرهما فوائد... "ثم قال: "وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثهما""[1]

وجمهور العلماء على أن صحيح البخاري مقدم على صحيح مسلم، خلافاً لما ذهب إليه الحافظ أبو علي النيسابوري، وبعض علماء المغرب من تقديم صحيح مسلم على غيره.

وأن صحيح البخاري مقدم من حيث الصحة على صحيح مسلم، إلا أن مسلماً مقدم من حيث اعتبارات أخرى منها: أنه ليس في صحيح مسلم بعد المقدمة إلا الحديث الصحيح المسرود، بخلاف صحيح البخاري، كما أن صحيح مسلم مقدم على صحيح البخاري من حيث الوضع والترتيب. وفي ذلك يقول الناظم:

تخاصم قوم في البخاري ومسلم   لدي وقالوا أي ذين تقدم

فقلت لقد فاق البخاري صحة   كما فاق في حسن الصياغة مسلم

وللإمام مسلم خصائص معينة تميزه عن غيره من المصنفات،وهذه الخصائص تتمثل في الآتي : [2]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٣.

(٢) انظر: مقال (صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية) د. قاسم محمد يوسف غنام ص =

١- حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه، وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم، وأصول القواعد، وخفيات علم الأسانيد، ومراتب الرواة، وغير ذلك.

٢- اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة، كقوله: حدثنا فلان وفلان - واللفظ لفلان- قال: أو قالا: حدثنا فلان. وإذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث، أو صفة الراوي، أو نسبه، أو نحو ذلك، فإنه يبينه.

٣- إن الإمام مسلماً صنف كتابه في بلده، بحضور أصوله، في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ، ويتحرى في السياق، بخلاف الإمام البخاري، قد صحّ عنه أنه قال: "رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر".

٤- التحري الدقيق، فهذه الصفة تميز بها الإمام مسلم في (الصحيح) عن غيره ومن أمثلة ذلك:

أ- اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا، وتقييده ذلك على مشايخه. وكان من مذهبه التفريق بينهما، فحدثنا تطلق عند السماع من الشيخ فقط، وأخبرنا لما قرئ عليه، وهذا هو مذهب الشافعي وأصحابه وأكثر أهل الحديث.

ب- تحريه في روايته من صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة كقوله حدثنا

= ١١- ١٤ نسخة الكترونية

محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر عن همام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ. وذلك لأن الصحائف والأجزاء والكتب المشتملة على أحاديث بإسناد واحد إذا اقتصر عند سماعها على ذكر الإسناد فيه ولم يجدد عند كل حديث منها وأراد إنسان ممن سمع ذلك أن يفرد حديثاً منها غير الأول بالإسناد المذكور في أولها، فقد ذهب الأكثرون إلى جواز ذلك، لأن الجميع معطوف على الأول، ومنع الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني، وقد سلك مسلم رحمه الله هذا الطريق ورعاً واحتياطاً وتحرياً .

٦-اشتماله على مقدمة بيّن فيها مسلم عمله في الكتاب، وتحدث فيها عن شيء من أصول علم الحديث، وهذا ما لا نجده في غيره من مصنفات الحديث إلا القليل.

٧- ليس فيه بعد المقدمة إلا الحديث السرد، بخلاف ما هي عليه بعض المصنفات الحديثة كصحيح البخاري –مثلاً–، أو جامع الترمذي فإنهما امتزجا بالكثير من أقوال الصحابة والتابعين، والنصوص الفقهية .

٨- تقديم روايات الثقات على روايات من دونهم على ما رسمه لنفسه في مقدمة صحيحه .

٩- ومما يميز صحيح مسلم عن غيره كثرة المتابعات والشواهد، فإنه عادة ما يورد حديثاً أو حديثين يعتبرهما أصلاً في الباب ثم يورد متابعات وشواهد لهما.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج الصحيحين في التأليف

عند النظر في منهج الصحيحين وبإجراء مقارنة سريعة بين المنهجين نخلص إلى النتائج التالية:

١- ترتيب الأحاديث في الصحيحين:

- يمتاز الجامع الصحيح للإمام البخاري بما يلي:

أولاً: رتب أحاديث صحيحه على الموضوعات والأبواب، ولم يقتصر في صحيحه على سرد الأحاديث فحسب، بل اعتنى بالفوائد الفقهية والنكات الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبوابه بحسب المناسبة، مما ييسر للفقهاء وطلابهم الرجوع إليها والاستنباط منها .[١]

ثانياً: يكرر الأحاديث ويقطعها إما لفائدة إسنادية أو متنية، أو يكون الحديث عن صحابي فيعيده عن صحابي آخر، أو أن يسوقه بالعنعنة ثم يعيده بالتصريح بالسماع.[٢]

ثالثاً: إن كتابه لم يتضمن الأحاديث الصحيحة المسندة فحسب، والتي هي أصل الكتاب، ومن أجلها صنفه، وإنما ضم إلى جانب ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي لها صلة بموضوع الباب الذي يذكره،

---

(١) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٢٩٨ –بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص٢٤٥.

(٢) هدي الساري ص١٥.

وأقوال السلف من الصحابة والتابعين[1] .

- ويمتاز الجامع الصحيح للإمام مسلم بما يلي:

١ - رتب صحيحه على الكتب كوحدات كلية يشتمل كل كتاب منها على موضوع رئيسي، وقسم الوحدة الكلية إلى وحدات جزئية بمثابة الأبواب، وساق الحديث بكامله في الباب الواحد - ولو كان طويلاً - ولا يكرره في أبواب أو كتب أخرى - إلا نادراً - ولا يقطعه ويختصره[2].

٢ - يجمع الأحاديث المتناسبة في مكان واحد مع ذكر طرق الأحاديث بأسانيدها المتعددة وألفاظها المختلفة، مع إيجاز في العبارة وترتيب حسن واحتياط بالغ[3] .

٣ - حسن ترتيبه وترصيفه للأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته لجوامع الخطاب ودقائق العلم، وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة، قال المعلمي في الأنوار الكاشفة[4]: (عادة مسلم أن يرتب روايات الحديث بحسب قوتها، يقدم الأصح

---

(١) انظر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها ص ٥٨.

(٢) انظر: مكانة الصحيحين ص٩١ - الإمسام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ١٠٦.

(٣) انظر: الحديث والمحدثون ٣٨٢.

(٤) ص ٢٩، وانظر: مكانة الصحيحين ص ٩٣، الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ١١٩.

فالأصح).

٤ - يرتب الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - الأحاديث في معظم أبواب كتابه "المسند الصحيح" ترتيباً علمياً، حسب الخصائص الإسنادية والحديثية التي تتوافر في كل حديث منها، سالكاً في ذلك منهجاً علمياً فريداً، يمتاز به كتابه الصحيح عن سائر الكتب الحديثية، حتى عن صحيح الإمام البخاري، ولهذا مال بعض الأئمة إلى ترجيح صحيح مسلم على صحيح البخاري[1].

٢- تبويب الأحاديث في الصحيحين:

أولاً: سلك الإمام البخاري في تبويبه طريقين:

- الطريقة الأولى: العنوان بلفظ: (كتاب)، مثل "كتاب الصلاة"
- الطريقة الثانية: العنوان بلفظ: (أبواب)، مثل: "أبواب الصلاة" .

وتراجم أبواب البخاري في صحيحه على نوعين:

- ظاهرة: وهي أن تكون دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها،وقد تكون بلفظ المترجم له أو بعضه أو بمعناه.
- خفية: وهي التي لا تدرك مطابقتها لمضمون الباب إلا بالنظر الفاحص والتفكير الدقيق، وهذا الموضع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب، ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه

---

(١) عبقرة الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح/ حمزة المليباري ص ٧، نسخة الكترونية.

البخاري في تراجمه[1] .

ثانياً: صحيح الإمام مسلم مرتب على الكتب، وقسم الكتب على وحدات جزئية، وهي الأبواب . فهو مبوب في الحقيقة إلا أنه لم يذكر عناوين وتراجم، والتراجم المثبتة فيه هي لشارحه النووي ولبعض العلماء، ولم يترجم مسلم لعناوين الأبواب وقيل: إن مسلماً ترك تراجم الأبواب لئلا يزداد بها حجم الكتاب قاله ابن الصلاح، وقيل خلو الصحيح من التراجم ليس عن عمد من مسلم، بل توفي قبل إتمام كتابه، وفي هذين القولين نظر وبعد، ولعل الأقرب أن مسلماً ترك ذلك لفطنة القارئ وفهمه، لتحريك ذهنه وشد انتباهه، ومن أجل ذلك تبارى الشراح في ترجمة أبوابه، فمنهم من أجاد كالنووي ومنهم من قصر ولم يوفق[2] .

ونستطيع أن نلخص سبب عدم تبويب الإمام مسلم لكتابه في أمرين:

١ - الاختصار، لأنه نص على أن كتابه مختصر، فحذف التبويبات طلباً للاختصار .

٢ - الاقتصار على الأحاديث النبوية، دون أن يخلط ذلك برأيه، ويترك للقارئ استنباط الحكم من الحديث حسب فطنته وفهمه [3].

٣- تكرار وتقطيع الأحاديث في الصحيحين:

---

(١) انظر: الحديث والمحدثون ص ٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) انظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٣) منهج المحدثين، سعد الحميد ص ١٣ .

كان الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ يقطع الحديث في كثير من الأحيان في مواضع كثيرة، ربما تربو على عشرين موضعاً، والسبب أن هذا الحديث يمكن أن يستخدمه في الباب الفلاني من الكتاب الفلاني، وفي الباب الفلاني من الكتاب الفلاني، وفي الباب الفلاني من الكتاب الفلاني، وهلم جرا، ينتزع منه انتزاعاً فقهية دقيقة ربما كانت ظاهرة ، وربما كانت خفية تحتاج إلى من يبرزها من الشراح والعلماء الذين غاصوا في أعماق فقه البخاري.

أما الإمام مسلم فلا يكرر الحديث ولا يكرر السند إلا لزيادة معنى أو لعلة تكون هناك، قال رحمه الله: " ثم إنا إن شاء الله مبتدئون في تخريج ما سألت..... على غير تكرار " ثم استثنى قائلاً: " إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك لأن المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام حديث تام فلا بد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة أو أن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن ولكن تفصيله ربما عسر من جملته فإعادته بهيئته إذا ضاق ذلك أسلم فأما ما وجدنا بدا من إعادته بجملته من غير حاجة منا إليه فلا نتولى فعله إن شاء الله تعالى "[(١)]

والأصل عند الإمام مسلم عدم التكرار، وأنه يجمع طرق الحديث في مكان واحد، إلا أنه يفعله عند الحاجة، وهذا ما لاحظه الشيخ محمد

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ٣. وانظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ٣٣٨ – ٣٤٤.

فؤاد عبد الباقي حيث قال:

" ولاحظت أنا أثناء عملي في الكتاب وتتبع أحاديثه أن مسلماً كرر أحاديث كثيرة في مواضع متعددة يبلغ عددها (١٣٧) حديثاً، من ذلك (٧١) حديثاً، يضع الحديث منها في كتاب غير الكتاب الذي وضع الحديث فيه لأول مرة ".[١]

(١) صحيح مسلم ٥/ ٦٠١ .

المطلب الرابع: مقارنة بين كتابي التفسير من صحيح الإمام البخاري والإمام مسلم [(١)]

كتاب التفسير من صحيح الإمام مسلم:

- رقمه في الصحيح الرابع والخمسون، وهو آخر كتاب في صحيح مسلم.
- فيه عشرون حديثاً تقريباً برواياتها، وافق فيها البخاري في خمسة عشر حديثاً، وانفرد بخمسة أحاديث .
- بوب على هذه الأحاديث الإمام النووي في سبعة أبواب (وهي غير موجودة في شرحه على مسلم) .
- استغرق الكتاب اثنتا عشر صفحة من الصحيح، وست عشرة صفحة من شرح النووي .
- كل هذه الأحاديث التي ذكرها في كتاب التفسير لم يكررها، ولم يذكرها في موضع آخر من الصحيح،مع أنه كرر في الصحيح مئة وسبعة وثلاثين حديثاً .

كتاب التفسير من صحيح البخاري:

- رقمه في الصحيح الخامس والستون في أوساط الصحيح .
- يحتوي على قرابة ثلاث مائة باب أو أكثر، كل باب ونحوه يدخل تحت

(١) انظر: النكت على كتاب التفسير من صحيح الإمام مسلم / د. عبد الرحمن القصاص ص ٩ . نسخة الكترونية

سورة معنونة، مرتبة على الترتيب التوفيقي .

- اشتمل على ثمانية وأربعين وخمس مئة حديثاً مرفوعاً، وما في حكم المرفوع بالمكرر، وعلى ثمانية وخمس مئة أثراً مكرراً .
- فيه مئة حديث وحديث لم يرد في موضع آخر، ولم تتكرر، ووافقه مسلم في بعضها، ولم يخرج أكثرها .
- استغرق ست وأربعين ومائة صفحة من الصحيح، واثنتي عشرة وست مئة صفحة من الفتح .

المبحث الأول:

منهج الإمام مسلم في التفسير ،

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: قراءة وصفية لأحاديث التفسير
- المطلب الثاني: أوجه عناية الإمام مسلم في التفسير .
- المطلب الثالث: ملامح منهج الإمام مسلم في التفسير .

المطلب الأول: قراءة وصفية لأحاديث التفسير في صحيح مسلم

من خلال استقراء صحيح الإمام مسلم – رحمه الله –، ومحاولة قراءة منهجه في التفسير، ومدى عنايته بالمرويات التفسيرية، تبين لي أن الإمام مسلم –رحمه الله– اعتنى بالتفسير في جامعه من خلال ما يلي :

١- إفراد كتاب خاص من كتب الجامع بالتفسير، أورد فيه (٣٣) رواية، منها (١٩) رواية في الأصول والباقي متابعات وشواهد . وتفصيل هذه الروايات على النحو التالي:

(١٠) روايات تتعلق بأسباب النزول، و (٣) روايات تتعلق بآخر ما نزل من القرآن، ورواية عن مكان ووقت النزول، وروايتان تفسيريتان، ورواية عن الوحي، ورواية لا علاقة لها بالتفسير حيث تتحدث عن أنواع الخمر وقت نزول التحريم .

واشتمل كتاب التفسير على رواية واحدة مرفوعة فقط (تفسير نبوي)، والباقي روايات موقوفة وسيأتي تفصيل دقيق لهذه المرويات .

٢- روايات تفسيرية متفرقة في باقي كتب الجامع، بحيث تورد في الكتب المناسبة لها، إذ هي بها ألصق وأدل على المعنى الفقهي المستنبط منها، ويمكن وصفها بما يلي:

- تنوع هذه المرويات ما بين مرويات مرفوعة مفسرة لبعض الآيات، أو مبينة لما أجمل في الآيات، أو مخصصة لعمومها، أو مقيدة لمطلقها، أو موضحة لمشكلها .

- وربما تأتي هذه الروايات ابتداء من غير سؤال، حيث يفسر ﷺ لأصحابه بعض الألفاظ أو المعاني التي قد تخفى عليهم .
- وربما تأتي بناء على سؤال من الصحابة حول معنى الآيات وهذا غالباً .
- من خلال استقراء المرويات التفسيرية وحصرها نلاحظ ما يلي:

- عدد المرويات التفسيرية المرفوعة في صحيح الإمام مسلم – رحمه الله – تقريباً:

(٩٥) رواية، وتنوعت فيها أساليب التفسير، ما بين التفسير النبوي الصريح، أو الاستشهاد بآية قرآنية دلالة على المعنى . أو تتعلق بفضائل السور.

- عدد المرويات الموقوفة في صحيح الإمام مسلم – رحمه الله – تقريبا: (٢١٤) رواية، منها (٤٠) رواية تفسيرية، و(٨٤) رواية تتعلق بأسباب النزول، و(٣٠) رواية تتعلق بأسماء السور، و (٤) روايات تتعلق بالنسخ، و (٥) روايات عن القراءات، و (١٠) روايات عن قراءة النبي ﷺ في الصلاة، وروايات متفرقة عن فضائل السور والآيات، وأخر وأول ما نزل، ونزول الوحي، الاستدلال بالآيات في بيان المعنى، وذكر وقت ومكان نزول الآيات وقصة النزول .

قراءة وصفية لكتاب التفسير في مختصر المنذري:

وإكمالاً للفائدة اطلعت على مختصر الإمام المنذري على صحيح مسلم، فوجدته اعتنى بهذا الجانب، وأفرد في مختصره كتاباً خاصاً بالتفسير، وصفه كالتالي:

- اشتمل على (٥٤) باباً، وعنون للأبواب بقوله (باب في قوله تعالى).
- رتب الأبواب على سور القرآن بالترتيب التالي:

سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، الحشر، هود، سبحان –الإسراء –، الكهف، مريم، الأنبياء، الحج، النور، الفرقان، ألم السجدة، الأحزاب، يس، الزمر، حم السجدة، الدخان، الفتح، الحجرات، ق، اقتربت الساعة، الرحمن، الحديد، الجن، القيامة، المطففين، الانشقاق، الليل، الضحى، التكاثر، النصر .

- بلغ عدد المرويات في كتاب التفسير: (٥٦) رواية، منها (٢٢) رواية مرفوعة، و(٣٤) رواية موقوفة .
- وقد أورد المنذري في كتاب التفسير غالب الروايات التي أوردها الإمام مسلم في كتاب التفسير، وعددها (١٧) رواية، ولم يترك سوى روايتين: رواية: (أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ......)، ورواية: (نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ .... الحديث).

وكأنه يرى أنها لا علاقة لها بالتفسير، بينما أورد هو رواية لا علاقة لها

بالتفسير، وهي رواية أنس " أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ..." .

- وزاد على كتاب التفسير في مسلم عدة روايات أوردها مسلم في صحيحه وبثها في كتب الجامع، ولها علاقة مباشرة بالتفسير، كأسباب النزول، وتوضيح المشكل وتفسير المجمل، وما يتعلق بالقراءات وأسماء السور وآخر ما نزل من القرآن .

المطلب الثاني: أوجه عناية الإمام مسلم في التفسير

لقد اعتنى الإمام مسلم في صحيحه بالتفسير وأولاه عناية خاصة وتتمثل هذه العناية فيما يلي:

أولاً: اشتماله على كتب هي من باب التفسير لا من باب الحديث، مثل: في كتاب صلاة المسافرين (باب فضائل القرآن على تبويب النووي) أورد فيه حوالي (١٨) عنوانا جميعها متعلقة بفضائل القرآن والقراءة، وكتاب الفضائل ذكر فيه شيئاً من فضائل الأنبياء، وكتاب صفات المنافقين، وذكر فيه شيء من بدء الخلق، وكتاب التفسير وأورد فيه تقريباً (٢٠) حديثاً برواياتها.

ثانياً: التبويب الموضوع من قبل الشارحين لكثير من الأحاديث له علاقة قوية بالآيات، وسأختار تبويب النووي نموذجاً، ومن أمثلة ذلك ما يلي: باب بدء الوحي في كتاب الإيمان،، وأبواب " التوسط في القراءة الجهرية " و " الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن " و " القراءة في الظهر والعصر " و " القراءة في الصبح " و " القراءة في العشاء " في كتاب الصلاة، وباب " ما يقرأ في صلاة الجمعة " و " ما يقرأ في يوم الجمعة " في كتاب الجمعة، وباب " ما يقرأ به في صلاة العيدين " في كتاب صلاة العيدين، وبَاب آخِرُ آيَةٍ أُنْزِلَتْ آيَةُ الْكَلَالَةِ " في كتاب الفرائض، بَاب "النَّهْيِ عَنْ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ وَالنَّهْيِ عَنْ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ " في كتاب العلم .

ثالثاً: ترجمة الباب – عند النووي – وغيره، بلفظ (باب في قوله تعالى)
ومثال ذلك:

بَاب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، بَاب فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾، بَاب فِي الْوُقُوفِ و قَوْله تَعَالَى﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾، بَاب قَوْله تَعَالَى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾، بَاب سُؤَالِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرُّوحِ و قَوْله تَعَالَى﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ ﴾ .

رابعاً: اهتمام الإمام مسلم – رحمه الله – بتفسير الآيات بالقرآن وبالسنة النبوية وبأقوال الصحابة، كما سيأتي بيانه .

خامساً: استعانته بعلوم القرآن في صحيحه، مثل عنايته: بأول ما نزل وآخر ما نزل، وبأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، والمكي والمدني، وأسماء السور كما سيأتي بيانه.

سادساً: الاستدلال بأحاديث ورد فيها الاستدلال بآية قرآنية، ومن ذلك ما جاء فيها قول:

" اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ " ومثاله:

١- ما رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٥١ح ٦٥١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ تَفْضُلُ صَلَاةٌ فِي الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً قَالَ وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

٢- ما رواه مسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٧١٩ ح ١٠٣٩) عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

٣- ما رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٤/ ١٩٨١ ح ٢٥٥٤) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ ......ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ.... الآية﴾ .

أو ما جاء فيه قول " ثُمَّ قَرَأَ " ومثال ذلك:

١- ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ٥٣ ح٢١) عن جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ .

٢- ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٢٣ح١٣٨) عن ابْنَ مَسْعُودٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ قَالَ عَبْدُ اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهَّ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا..﴾

٣- ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٣٩ح١٥٩) عن أَبِي ذَرٍّ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهَّ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّا غَابَتْ الشَّمْسُ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ اللهَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ

فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا قَالَ **ثُمَّ قَرَأَ** فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا .

سابعاً: إفراد الإمام مسلم كتاباً خاصاً بالتفسير في صحيحه، مما يؤكد أن صحيحه يعد من الكتب الجوامع، وقد ثار جدل حول صحيح مسلم في تصنيفه ضمن الجوامع، فلم يعده بعضهم جامعاً، لأنه لم يجمع جميع الأبواب الثمانية، فقد ترك بعضها حيث ترك أحاديث التفسير، أو أن ما أورده في كتاب التفسير من الأحاديث قليل لا يعتبر .

قال المحدث عبد العزيز الدهلوي: (وأما صحيح مسلم فإنه وإن كانت فيه أحاديث تلك الفنون، لكن ليس فيه ما يتعلق بفن التفسير والقراءة، ولهذا لا يقال له "الجامع" كما يقال لأختيه)[١].

وقال السيد صديق حسن خان معقباً على ذلك: (قلت: ولكن أورده صاحب كشف الظنون في حرف الجيم، وعبر عنه بالجامع، وكذا غيره في غيره من أهل الحديث، وقال المجد صاحب القاموس عند ختمه لصحيح مسلم: قرأت بحمد الله جامع مسلم ...)[٢].

وعلل بعضهم لعدم عده في الجوامع بقلة قسم التفسير فيه .

لكن هذا الإيراد على صحيح مسلم فيه نظر، لأن كتاب الصحيح لمسلم قد احتوى كتاباً في التفسير وهو آخر كتاب في الصحيح، ورقمه (٥٤)، وفيه تسع عشرة حديثاً برواياتها.

---

(١) انظر: الحطة ص١٢٣

(٢) المرجع السابق

وقد عده من الجوامع: الفيروز آبادي وابن حجر وحاجي خليفة والبغدادي والكناني، واحتج له القنوجي والديوبندي، فكأنهم لم يلتفتوا إلى قلة التفسير فيه [1].

أما قلة أحاديث التفسير فليست حجة كافية في إخراج صحيح مسلم من تصنيفه جامعاً، لأن عدد الأحاديث ليست شرطاً في الاعتداد بالكتاب، وليست العبرة بحجم الكتاب بل بوجوده وإن قَلَّت أحاديثه[2].

وقال د . محمد طوالبة[3]: " ويمكن أن تعلل هذه القلة في التفسير عند مسلم بقلة الأحاديث الصحيحة الواردة في التفسير المستجمعة لشروط مسلم، وغالب ما عند البخاري وغيره في باب التفسير إما أقوال موقوفة، وإما أقوال لغوية غير مرفوعة، وإما أحاديث أوردها في صلب الكتاب ثم كررها في التفسير، وما عدا ذلك قليل، قال ابن حجر: " وإنما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة "[4]، ومسلم- رحمه الله – لا يعرج على الأقوال والآثار التي ليست بمسندة فلهذا قلت مادة التفسير عنده .

---

(١) انظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ١١٣.

(٢) انظر: مقال (التصنيف الموضوعي عند المحدثين/ د. محمد بن أحمد بن علي باجابر ص ٣٣ – ٣٤، نسخة إلكترونية.

(٣) انظ: الإمام مسلم ومنهجه ي صحيحه ص ١١٣ – ١١٤.

(٤) هدي الساري ص ١٩.

المطلب الثالث: ملامح منهج الإمام مسلم في التفسير .

لبيان منهج الإمام مسلم في التفسير من خلال صحيحه، نستعرض أهم ملامح التفسير البارزة فيه:

أولاً: الاستعانة بالتفسير النبوي للقرآن:

لقد أجمع العلماء، على أن أشرف أنواع التفسير، هو تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " إن أصح الطرق في ذلك – أي في تفسير القرآن – أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجملَ في مكان، فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما أختصر في مكان، فقد بُسطَ في موضع آخر " إلى أن قال: فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له "[1].

والسنة النبوية مبينة للقرآن وموضحة له، وذلك لأن النبي ﷺ هو أعلم بكلام الله، فالسنة وحي من الله، لقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم آية ٤)، ولهذا فهي بمنزلة القرآن، في الاستدلال والتشريع، وقد جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[2].

وبالنظر إلى جامع الإمام مسلم نجده قد استعان كثيراً بتفسير القرآن للقرآن، وذلك بإيراد الروايات التي استشهد فيها النبي ﷺ بالآيات

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص٧٨ .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة / باب لزوم السنة ٥/ ١٠ ح ٤٦٠٤ .

القرآنية، تفسيراً وتوضيحاً للآية، كما استعان بالتفسير النبوي للقرآن وذلك بإيراد الروايات التي نص فيها النبي ﷺ على معنى الآية، أو توضيح مشكلها، ومن ذلك:

١- تفسير النبي ﷺ لبيان لفظة قرآنية:

وربما يأتي تفسيره ﷺ لمعنى لفظة في الآية ابتداءً، أو إجابة لسؤال من أحد الصحابة، ومن ذلك:

- بيان معنى التبديل في قوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولاً):

روى مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٢ح٣٠١٥) من طريق مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ) .

- تفسير الزيادة في قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾:

وذلك ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٦٣ح ١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ . حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾

- وفسر قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ بأن ذلك في القبر:

فيما رواه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٩٩ح ٢٨٧١) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾قَالَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.

- وفسر قوله (لمستقر لها) عندما سأله الصحابي:

روى مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٣٧ح ١٥٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ قَالَ مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ .

- استخدام التكرار لبيان المعنى:

ومثاله: قال مسلم حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ " .

قال النووي: " هذا تصريح بتفسيرها، ورد لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا "[1].

قال المباركفوري في التحفة " وقوله: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فإنها تشمل الدرع، وإن فسرها النبي - ﷺ- بأقوى أفرادها حيث قال: " ألا إن

(١) شرح النووي على مسلم ١٣/ ٦٤ .

القوة الرمي " "[1] .

٢- بيان معنى الآية بالفعل:

- بيان معنى المقصود من الآية بالمبادرة إلى الفعل وهو الدعوة:

وذلك بما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٩٢ح ٢٠٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾دَعَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفسَكُمْ مِنْ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللهَّ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا .

- بيان مواقيت الصلاة الخمسة بالفعل، عندما سأله أحد الصحابة:

روى مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٢٩ح ٦١٤) عن أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسولِ اللهَّ ﷺ أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا قَالَ فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ وَالنَّاسُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ بِالظُّهْرِ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ بِالْمَغْرِبِ حِينَ وَقَعَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ

---

(١) تحفة الأحوذي ٥/ ٢٧٨.

أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ ثُمَّ أَخَّرَ الْفَجْرَ مِنْ الْغَدِ حَتَّى انْصَرَفَ مِنْهَا وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ طَلَعَتْ الشَّمْسُ أَوْ كَادَتْ ثُمَّ أَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ ثُمَّ أَخَّرَ الْعَصْرَ حَتَّى انْصَرَفَ مِنْهَا وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ احْمَرَّتْ الشَّمْسُ ثُمَّ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى كَانَ عِنْدَ سُقُوطِ الشَّفَقِ ثُمَّ أَخَّرَ الْعِشَاءَ حَتَّى كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَصْبَحَ فَدَعَا السَّائِلَ فَقَالَ الْوَقْتُ بَيْنَ هَذَيْنِ " .

قال ابن رجب [(١)]: " وقد دل القرآن في غير موضع على مواقيت الصلوات الخمس، وجاءت السنة مفسرة لذلك ومبينة له: فمن ذلك: قوله الله تعالى: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ .

٣- الاستدلال بالآية في معرض الحديث تصديقاً وتأييداً:

وقد ذكر مسلم – رحمه الله- كثيراً من الأحاديث التي أستدل بها النبي ﷺ بكثير من الآيات في معرض حديثه، وفيها لفظ (ثم قرأ) وقد بلغ مجموعها (٣٣ رواية) تقريباً، ولفظ (ثم تلا) أو قوله (اقرءوا إن شئتم) .ومن أمثلة ذلك:

١- ما رواه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء (٢/ ٦١٦ح ٨٩٩) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ......... إلى قوله " فَقَالَ لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ

(١) فتح الباري كتاب الصلاة ٤/ ٤ "نسخة الشاملة " .

قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾.

٢- ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ٥٣ ح٢١) عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ .

٣- ما رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٧ح ٢٧٨٦) عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ ...... إلى قوله " فَضَحِكَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ .

٤- ما رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٤/ ١٩٩٧ح ٢٥٨٣) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

٥- ما رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٧٤ح ٢٨٢٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهَّ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

٤- بيان المحكم:

روى الإمام مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٧ ح٣٠٢٣) بسنده إلى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ .

وقد مثل السيوطي في الإتقان[1] بهذه الآية على المحكم فقال: " والمحكم مثل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية " .

٥- بيان المشكل:

يعرف المشكل بسؤال الصحابة عنه ؛ لأن السؤال لا يقع إلا بعد استشكال في الغالب[2]،

وهناك عدة آيات استشكل فهمها على الصحابة، فجاء التفسير النبوي مبيناً وموضحاً للمشكل.

ومن ذلك ما يلي:

١- بيان أن الظلم المراد في قوله تعالى (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) الشرك:

فيما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١١٤ح ١٢٤) عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهَّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَقَالُوا أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لَيْسَ

---

(١) ٢/ ٧٥١ .

(٢) انظر: مقال " مصادر التفسير " د. مساعد الطيار، مجلة البيان ع ٩٧/ ٢٠ .

هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

قال ابن حجر : " لَمْ يُؤَاخِذ الصَّحَابَة بِحَمْلِهِمْ الظُّلْمَ فِي الْآيَة عَلَى عُمُومه حَتَّى يَتَنَاوَل كُلّ مَعْصِيَة بَلْ عَذَرَهُمْ لِأَنَّهُ ظَاهِر فِي التَّأْوِيل ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ الْمُرَاد بِمَا رَفَعَ الْإِشْكَال "[1] .

٢- بيان أن الحساب اليسير في قوله تعالى (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هو العرض:

فقد روى مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢٢٠٤ح ٢٨٧٦) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ فَقُلْتُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فَقَالَ لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ .

٣- بيان أن المراد بالخيط الأبيض والأسود هما بياض الصبح وسواد الليل:

ما رواه مسلم في كتاب الصيام (٢/ ٧٦٦ح١٠٩٠) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنْ النَّهَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ .

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٣٠٥.

قال القاضي عياض: " وفيه أن الألفاظ المشتركة لا يصار إلى العمل بأظهر وجوهها، وأكثر استعمالها إلا إذا عدم البيان وكان البيان حاصلا بوجود النبي صلى الله عليه وسلم "[1]

٤- بيان فهم المراد من قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى):

روى مسلم في التفسير (٤/ ٢٣١٣ ح٣٠١٨) عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ قَالَتْ يَا ابْنَ أُخْتِي هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنْ الصَّدَاقِ ....الحديث ".

وقد عد الطحاوي[2] في مشكل الآثار هذا من المشكل، فقال: " باب بيان مشكل قول الله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى)الآية، مما روي عن رسول الله ﷺ، وأصحابه في ذلك، ثم أورد هذه الرواية عن عروة .

٥- بيان أن المراد بالآية إبطال عادة الجاهلية في دخولهم البيوت من ظهورهم بعد عودتهم من الحج روى مسلم في التفسير (٤/ ٢٣١٩ ح٣٠٢٦) عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا

(١) شرح النووي على مسلم ٤/ ٢٠١ .

(٢) ١٢/ ٤٣٠ .

حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾.

وقد ذكر السيوطي أنواع المتشابه الذي يشكل معناه، فقال: " والرابع من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (إنما النسيء زيادة في الكفر). فإن لم يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية "[1].

٦- بيان المراد بهارون وموسى في قوله (يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى):

روى مسلم أيضاً في كتاب الآداب (٣/ ١٦٨٥ح ٢١٣٥) عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ (يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى) قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ .

٦- بيان المجمل:

في قوله تعالى: (يَومَ يَأتِي بَعضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفسًا إِيمَانُهَا لَم تَكُن آمَنَت مِن قَبلُ أَو كَسَبَت فِي إِيمَانِهَا خَيرًا) [الأنعام: ١٥٨]. فسر النبي ﷺ المجمل في قوله (بَعضُ آيَاتِ):

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

(١) الإتقان ١/ ٦٤٨.

أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

٧- بيان المبهم:

القاعدة الغالبة أن ما أبهمه القرآن فلا فائدة عملية تنال من ذكره، ومع ذلك فإنه ورد سؤال الصحابة عن ذلك، إلا أنه نادر [١]، أو يبينه النبي ﷺ ابتداء، ومن ذلك ما يلي:

روى مسلم: عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا قَالَ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ " .

قال ابن حجر: " قال: فراش من ذهب كذا فسر المبهم في قوله: ﴿ ما يغشى﴾ بالفراش. ".

وروى أيضاً في كتاب الحج (٢/ ١٠١٥ح١٣٩٨) عن أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْتُ لَهُ كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى قَالَ قَالَ أَبِي دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ

(١) مقال " مصادر التفسير " د. مساعد الطيار، مجلة البيان ع٩٧/ ٢٠ .

الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى قَالَ فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ " .

قال النووي: " هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، ورد لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء، وأما أخذه صلى الله عليه وسلم الحصباء وضربه في الأرض، فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة "[1].

٨- بيان حكم فقهي في الآية:

روى الإمام مسلم في كتاب الحيض (١/ ٢٤٦ ح ٣٠٢) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ .

قال في عون المعبود[2]: " وقوله: اصنعوا كل شيء هو تفسير للآية وبيان لاعتزلوا . فإن الاعتزال شامل للمجانبة عن المؤاكلة والمصاحبة والمجامعة، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد بالاعتزال ترك الجماع فقط لا غير ذلك " .

---

(١) شرح النووي على مسلم ٣/ ٤٣٠ .

(٢) عون المعبود ١/ ٣٠٢.

قال د.مساعد الطيار[١]: " فلو أُخذ بظاهر العموم في قوله (فاعتزلوا) لفهم أن اعتزال المرأة عام: في مؤاكلتها ومشاربتها ومخالطتها ومجامعتها، فكان هذا البيان النبوي مخصصا لذلك العموم القرآني ".

وروى مسلم في كتاب الحج (٢/ ٨٦٠ح١٢٠١) عن كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ يَتَهَافَتُ قَمْلًا فَقَالَ أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاحْلِقْ رَأْسَكَ قَالَ فَفِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ أَوْ انْسُكْ مَا تَيَسَّرَ .

٩- بيان أمر غيبي:

روى مسلم في كتاب الإمارة (٣/ ١٥٠٢ح١٨٨٧) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: " أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ

(١) مقال "مصادر التفسير" مجلة البيان ع ٩٧/ ٢٠.

حَاجَةٌ تُرِكُوا ".

قال النووي: " هذا الحديث مرفوع لقوله إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي ﷺ ".

وقد فسر النبي ﷺ صفة حياة الشهداء، وهي حياة خاصة لا يمكن إدراكها إلا عن سماع وتوقيف منه ﷺ[1].

١٠ – بيان المعنى بالتشبيه البليغ:

تشبيه يجعل الغائب حاضراً، ومن ذلك تشبيه أوراق شجرة سدرة المنتهي بآذان الفيلة ونبقها كقلال هجر، حيث روى مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٤٥-١٤٦ح١٦٢) عن أنس في حديث الإسراء الطويل وفيه: " ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا" .

قال صاحب عون المعبود[2]: " والمراد من القلال قلال هجر لكثرة استعمال العرب لها في أشعارهم كما قال أبو عبيد في كتاب الطهور، وكذلك ورد التقيد بها في الحديث الصحيح قال البيهقي في معرفة السنن والآثار: قلال هجر كانت مشهورة عند أهل الحجاز ولشهرتها عندهم شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى ليلة المعراج من نبق سدرة المنتهى بقلال هجر، فقال: مثل آذان الفيلة وإذا نبقها مثل قلال هجر ".

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٣/ ٣١ .

(٢) عون المعبود ١/ ٧٣ .

١١- بيان القصة:

كبيان سبب قصة موسي والخضر: حيث روى مسلم في كتاب الفضائل (٤/ ١٨٤٧ح ٢٣٨٠) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي به .... الخ ".

وفي هذا الحديث بين النبي ﷺ سبب لقاء موسي بالخضر، كما سرد قصة موسى مع الخضر، مع البيان والتعقيب والتوضيح لبعض أجزاء القصة التي جاءت مجملة في القرآن، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ قَالَ وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ ". وكذا عند قوله: " قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ قَالَ نَعَمْ فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ".

ثم علق ﷺ في آخر القصة فقال: " يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ الْأُولَى مِنْ

مُوسَى نِسْيَانًا قَالَ وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ الْبَحْرِ " .

ثانياً: الاستدلال بتفسير الصحابي أو التابعي:

للصحابة شرف عظيم، ومنزلة كبيرة في الإسلام، وأقوالهم حجة في الدين، ويعتبر تفسيرهم المصدر الثالث من مصادر التفسير . قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة " [1]

وعند النظر في صحيح مسلم نجد استشهادات كثيرة بأقوال الصحابة والتابعين في بيان معاني الآيات، وقد بلغت روايات الصحابة في التفسير في الجامع حوالي (٤٠) رواية تقريباً، ومن ذلك:

أقوال الصحابة في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا:

- ما رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٥٨ح ١٧٤) من طريق الشَّيْبَانِيُّ قَالَ سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ.

- وعَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾قَالَ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ .

- ورواه أيضاً في كتاب الإيمان (١/ ١٥٨ح١٧٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ وَلَقَدْ

(١) مقدمة في أصول التفسير ص٧٩ .

رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾: قَالَ رَأَى جِبْرِيلَ . وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَآهُ بِقَلْبِهِ .

- وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (١/ ١٥٨ح١٧٦) قَالَ: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم ١١)﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم ١٣) قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ .

- وروى أيضاً في كتاب الإيمان (١/ ١٥٩ح١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ مَا هُنَّ قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (التكوير ٢٣)﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم ١٣) فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَتْ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الأنعام آية١٠٣)..الخ" .

من خلال الأحاديث السابقة يتبين لنا أن مسلماً رحمه الله استدل بأقوال الصحابة في مسألة رؤية النبي ﷺ ربه تعالى في الدنيا، وقد اختلف السلف في هذه المسألة اختلافاً متبايناً، فمنهم المثبت ومنهم المنكر ومنهم المتوقف .[١]

وكأن الإمام مسلم مع القول المنكر ويدل على ذلك أنه صدر المسألة برأي

(١) انظر: الرؤية للدارقطني ص٧٣ – شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٤ – ١٧٦ .

ابن مسعود بأنه رأى جبريل وتفسيره للآية، قال النووي: " هذا الذي قاله عبد الله - رضي الله عنه - هو مذهبه في الآية، وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى، ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه بفؤاده دون عينيه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينيه "[(١)].

ثم ذكر تفسير ابن عباس وهو ممن أثبت الرؤية بخلاف ابن مسعود الذي أنكرها، ولكنه يرى أن الرؤية بقلبه لا بعينه، ثم ختم المسألة برواية عائشة وهي ممن أنكر رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا، قال ابن حجر: " وَعَلَى هَذَا فَيُمْكِن الْجَمْع بَيْن إِثْبَات اِبْنِ عَبَّاس وَنَفْي عَائِشَة بِأَنْ يُحْمَل نَفْيهَا عَلَى رُؤْيَة الْبَصَر وَإِثْبَاته عَلَى رُؤْيَة الْقَلْب . ثُمَّ الْمُرَاد بِرُؤْيَةِ الْفُؤَاد رُؤْيَة الْقَلْب لَا مُجَرَّد حُصُول الْعِلْم، لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ عَالِمًا بِاَللَّهِ عَلَى الدَّوَام"[(٢)].

ثم أورد مسلم رواية أبي ذر ﷺ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ .

مسألة الورود على جهنم:

- روى الإمام مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٧٧ح ١٩١) من طريق ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يسْأَلُ عَنْ الْوُرُودِ فَقَالَ نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ قَالَ

---

(١) شرح النووي مسلم ٣/ ٧.

(٢) فتح الباري ٨/ ٦٠٨.

فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا ...الحديث " .

قال النووي: " هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من صحيح مسلم، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ . قال الحافظ عبد الحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين): هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف قال: وصوابه: (نجيء يوم القيامة على كوم) هكذا رواه بعض أهل الحديث " ثم قال " قَالَ الْقَاضِي: ثم إن هذا الحديث جاء كله من كلام جابر موقوفا عليه وليس هذا من شرط مسلم إذ ليس فيه ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإنما ذكره مسلم وأدخله في المسند ؛ لأنه روي مسندا من غير هذا الطريق، فذكر ابن أبي خيثمة عن ابن جريج يرفعه بعد قوله: يضحك " قال: سمعت رسول الله – ﷺ– يقول: فينطلق بهم، وقد نبه على هذا مسلم بعد هذا في حديث ابن أبي شيبة وغيره في الشفاعة وإخراج من يخرج من النار، وذكر إسناده وسماعه من النبي – ﷺ– بمعنى بعض ما في هذا الحديث . والله أعلم[١].

الاستدلال بتفسير التابعي:

روى مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٥١-١٥٢ح ١٦٥) من طريق قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ

(١) شرح النووي على مسلم ٣/ ٤٧ – ٤٨.

ﷺ مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَام رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ وقَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام .

قال النووي: " هذا الاستشهاد بقوله تعالى فلا تكن في مرية هو من استدلال بعض الرواة . وأما تفسير قتادة فقد وافقه عليه جماعة منهم مجاهد والكلبي والسدي ، وعلى مذهبهم معناه فلا تكن في شك من لقائك موسى. وذهب كثيرون من المحققين من المفسرين وأصحاب المعاني إلى معناها فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب وهذا مذهب ابن عباس ومقاتل والزجاج وغيرهم . والله تعالى أعلم "[1] .

- وروى مسلم في كتاب النكاح (٢/ ١٠٤٨ح ١٤٢٨) عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ أَهْدَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ فَقَالَ أَنَسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺاذْهَبْ فَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَدَعَوْتُ لَهُ مَنْ لَقِيتُ فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ ... إلى قوله: " فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ : قَالَ قَتَادَةُ: غَيْرَ مُتَحَيِّنِينَ طَعَامًا .

- وروى في كتاب الطلاق (٢/ ١١١٣ح١٤٧٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا مَضَى

(١) المرجع السابق ٢/ ٢٢٨ .

تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدَأَ بِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ فَقَالَ إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الْآيَةَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ حَتَّى بَلَغَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ: أَوَ فِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ .

قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَا تُخْبِرْ نِسَاءَكَ أَنِّي اخْتَرْتُكَ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي مُبَلِّغًا وَلَمْ يُرْسِلْنِي مُتَعَنِّتًا . قَالَ قَتَادَةُ: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ مَالَتْ قُلُوبُكُمَا .

ثالثاً: <u>الاهتمام بعلوم القرآن</u>، ومن ذلك:

١ - الحديث عن الوحي:

- كيفية نزول الوحي: روى مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٢ح٣٠١٦) عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ).

قال ابن حجر: " وفي رواية أبي ذر " إن الله تابع على رسوله الوحي قبل وفاته " أي أكثر إنزاله قرب وفاته - ﷺ - والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك ".

- صفة الوحي: وروى في كتاب الفضائل (٤/ ١٨١٦ح٢٣٣٣) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي

فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ وَأَحْيَانًا مَلَكٌ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ فَأَعِي مَا يَقُولُ .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ .

- وقوع الوحي بطريق آخر غير المشهور:

روى مسلم في كتاب الصلاة (١/ ٣٠٠ح٤٠٠) عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ .

وهنا يستفاد عدة فوائد:

١- أن الصحابي أشار إلى أن النبي ﷺ " أَغْفَى إِغْفَاءَةً " ثم ذكر لهم ما أوحي إليه، وهذا نوع من أنواع الوحي، غير صلصلة الجرس، ونزول الملك بهيئته الملكية أو هيئته البشرية، أو يكون في المنام .[١]

٢- عد البسملة من أوائل السور،قال النووي: " في هذا الحديث فوائد منها

---

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن / د. مساعد الطيار ص٦٦- ٦٧ .

أن البسملة في أوائل السور من القرآن، وهو مقصود مسلم بإدخال الحديث هنا "[١] .

٣- تفسير النبي ﷺ لمعنى الكوثر، قال النووي: " و (الكوثر) هنا نهر في الجنة كما فسره النبي - ﷺ-، وهو في موضع آخر عبارة عن الخير الكثير"[٢] .

٢- الاعتناء بمعرفة أسباب نزول القرآن:

وقد اهتم مسلم – رحمه الله - كثيراً بأسباب النزول، وأغلب روايات كتاب التفسير عنده في أسباب النزول، حيث بلغت روايات أسباب النزول فيه حوالي (١٠) روايات من أصل (١٩) رواية، وبلغت روايات أسباب النزول في صحيح مسلم (٨٤) رواية تقريباً.

وقد اهتم العلماء كثيرا بأسباب النزول وعدوا معرفته من شروط المفسر ومن أدوات التفسير،ومن ذلك:

قول الواحدي: " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "[٣].

(١) شرح النووي على مسلم ٤/ ١١٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٩٣

وقد عُدّ قول الصحابي الصريح في أسباب النزول في حكم المرفوع، قال الحاكم في علوم الحديث[1]: " إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره، ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم). وقد يختلف المفسرون في أسباب النزول، فمنهم من يذكر سبباً صريحاً، ومنهم من يريد التفسير، فالأول هم المعتمد، والثاني إنما هو استنباط، وفي ذلك يقول السيوطي:

" وإن عبر واحد بقوله نزلت في كذا وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد، وذاك استنباط. مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: أنزلت (نساؤكم حرث لكم) في إتيان النساء في أدبارهن، وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه، فالمعتمد حديث جابر لأنه نقل، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهمه فيه ابن عباس وذكر مثل حديث جابر، كما أخرجه أبو داود والحاكم "[2].

وقال الزركشي[3] " وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٠.

(٢) الإتقان ١/ ١٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٢.

الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند كما في قول ابن عمر في قوله تعالى (حرث لكم)، وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند وكذلك مسلم وغيره وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع " .

صيغ أسباب النزول:

لأسباب النزول صيغ مباشرة وصيغ غير مباشرة، ومن الصيغ المباشرة عبارة " فأنزل الله " و " فنزلت "، ومن الصيغ غير المباشرة عبارة " نزلت في كذا، وأنزلت في كذا " . ويكثر في العبارات الأخيرة إرادة التفسير، وقليل منها يأتي لبيان سبب النزول . وقد وقع الخلاف بين أهل العلم في ورود هذه العبارة من الصحابي، هل تعد من أسباب النزول ؟ أو من قبيل التفسير ؟ (١).

وقال ابن تيمية: " قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول عني بهذا الآية كذا، وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف

---

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن ص ١٣٠.

ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند "[1].

والإمام مسلم أورد جميع هذه الصيغ في صحيحه، وغالب الروايات في أسباب النزول عنده جاءت صيغها صريحة، وقليل منها صيغ غير مباشرة ويراد بها التفسير .

وقدم الإمام مسلم الصيغ الصريحة المباشرة على الصيغ غير المباشرة، عندما يورد جميع طرق القصة التي رويت في سبب نزول الآية .

أمثلة الصيغ الصريحة المباشرة لسبب النزول:

١- ما رواه الإمام مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣٢٠ح٣٠٢٩) من طريق أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي فَابْغِينَا شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَّ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لَهُنَّ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

٢- ما رواه الإمام مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٩ح٣٠٢٧) من طريق أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولَ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا، قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ .

٣- ما رواه الإمام مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٩ح٣٠٢٥) من طريق

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤٠.

عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَقِيَ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغُنَيْمَةَ فَنَزَلَتْ ﴿ وَلَا تَقُولوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿ السَّلَامَ ﴾ .

أما الصيغ غير المباشرة لبيان سبب النزول فهي قليلة جداً عند مسلم وهي ما يراد بها التفسير ومن أمثلة ذلكَ:

١- ما رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٩٩ح ٢٨٧١) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.

٢- وما رواه في كتاب التفسير (٤/ ٢٢١٦ح٣٠٢١) عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ قَالَتْ نَزَلَتْ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ فَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا وَتَكُونُ لَهَا صُحْبَةٌ وَوَلَدٌ فَتَكْرَهُ أَنْ يُفَارِقَهَا فَتَقُولُ لَهُ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي" .

٣- وما رواه في التفسير أيضاً (٤/ ٢٣٢٣ح٣٠٣٣) عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (الحج١٩)، إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ .

٤- وما رواه في كتاب الصلاة (١/ ٣٢٩ح٤٤٧) عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾(الإسراء ١١٠)، قَالَتْ أُنْزِلَ

هَذَا فِي الدُّعَاءِ .

ويدخل في أسباب النزول ما ينُص الراوي على مكان نزوله، أو نزلت في من ؟ أو أين نزلت ؟ ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- ما رواه الإمام مسلم في التفسير (٤/ ٢٣١٢ح٣٠١٧) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِعُمَرَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ وَأَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ . قَالَ سُفْيَانُ أَشُكُّ كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا يَعْنِي ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

٢- وما رواه في التفسير (٤/ ٢٣٢٢ح٣٠٣٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَلَا وَإِنَّ الْخَمْرَ نَزَلَ تَحْرِيمُهَا يَوْمَ نَزَلَ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ مِنْ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ وَثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ وَدِدْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهِدَ إِلَيْنَا فِيهَا الْجَدُّ وَالْكَلَالَةُ وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا

قال ابن حجر: " هذا الحديث أورده أصحاب المسانيد والأبواب في الأحاديث المرفوعة لأن له عندهم حكم الرفع لأنه خبر صحابي شهد التنزيل أخبر عن سبب نزولها، وقد خطب به عمر على المنبر بحضرة كبار الصحابة وغيرهم فلم ينقل عن أحد منهم إنكاره، وأراد عمر بنزول تحريم الخمر الآية المذكورة في أول كتاب الأشربة وهي آية المائدة يا أيها الذين

آمنوا إنما الخمر والميسر إلى آخرها . فأراد عمر التنبيه على أن المراد بالخمر في هذه الآية ليس خاصا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيرها "[(١)] .

٣- وما رواه في التفسير أيضاً (٤/ ٢٣١٧ح٣٠٢٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(الفرقان ٦٨)، قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ.

٤- وروى في التفسير (٤/ ٢٣١٨ح٣٠٢٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إِلَى قَوْله﴿ مُهَانًا ﴾ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا يُغْنِي عَنَّا الْإِسْلَامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾(الفرقان ٧٠) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قَالَ: فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ .

٥- وروى أيضاً في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٦ح٣٠٢٠) عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ قَالَتْ: كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ .

٦- وروى أيضاً في التفسير (٤/ ٢٣٢٢ح٣٠٣١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ التَّوْبَةِ قَالَ آلتَّوْبَةِ قَالَ بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَتْ

(١) فتح الباري ١٠/ ٦٤

تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا قَالَ قُلْتُ سُورَةُ الْأَنْفَالِ قَالَ تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ قَالَ قُلْتُ فَالْحَشْرُ قَالَ نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ . فأفادت الرواية أن سورة الحشر نزلت في شأن بني النضير .

٣ - الاعتناء بأول ما نزل وآخر ما نزل:

- **أول ما نزل:**

اهتم العلماء بمعرفة أول وآخر ما نزل من القرآن، وذكروا لذلك عدة فوائد، ومعرفة ذلك العلم توقيفي يعتمد على النقل عن الصحابة أو التابعين، ولا مجال للاجتهاد فيه.(١)

وقد ذكر العلماء في أول ما نزل عدة أقوال، وقد ذكر منها مسلم في صحيحه قولان:

١- أن أول ما نزل هو صدر سورة أقرأ:

وهو ما رواه في كتاب الإيمان (١/ ١٣٩ح١٦٠) عن عروة بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَخْلُو بغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ " إلى أن قالت "حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي .... ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن ص٢٢٦ .

الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .... الخ ".

وهذه الرواية دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن (اقرأ) .

٢- أن أول ما نزل هو " يا أيها المدثر ":

وهو ما رواه في كتاب الإيمان أيضاً (١/ ١٤٤ح١٦١) من طريق الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ قَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فَقُلْتُ أَوْ اقْرَأْ فَقَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ قَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فَقُلْتُ أَوْ اقْرَأْ قَالَ جَابِرٌ أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ..... الحديث﴾ .

وكعادة الإمام مسلم في صحيحه في ترتيب الأحاديث حسب القوة والسلامة من العلل، فقد أورد الطريق الصحيح أو الراجح لديه في هذا الباب، على النحو التالي:

١- صدر روايات بدء الوحي برواية عروة عن عائشة، وجعل هذه الرواية هي الأصل، ثم ساق جميع الطرق لهذه الرواية .

٢- أتبع رواية عائشة برواية جابر رضي الله عنه مباشرة، مما يدل على أنه شاهداً لحديث عائشة وموافق له، و أورد حديث جابر من طريقين: أحدهما طريق الزهري عن أبي سلمة عن جابر، والآخر طريق يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر، وقدم مسلم الطريق الأول وهو

نفس طريق سند الزهري لحديث عائشة، وختم برواية يحي لبيان مخالفتها لرواية الزهري أو لعلة فيها .

٣- ومما يدل على موافقة حديث جابر لحديث عائشة، قول جابر " قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ " ثم قال " فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ " وهذا يؤيد رواية عائشة في نزول الوحي، قال ابن حجر" ودل قوله عن فترة الوحي وقوله الملك الذي جاءني بحراء على تأخر نزول سورة المدثر عن اقرأ، ولما خلت رواية يحيى بن أبي كثير الآتية في التفسير عن أبي سلمة عن جابر عن هاتين الجملتين أشكل الأمر، فجزم من جزم بأن يا أيها المدثر أول ما نزل، ورواية الزهري هذه الصحيحة ترفع هذا الإشكال "[1]

وقال عن رواية يحي بن أبي كثير " ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى بن أبي كثير وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء باقرأ باسم ربك وسائر ما ذكرته عائشة، وإما أن يكون جاور – صلى الله عليه وسلم بحراء شهرا آخر "[2].

قال النووي " قَوْله: إِنَّ أَوَّل مَا أُنْزِلَ قَوْله تَعَالَى ﴿ يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر ﴾ ضَعِيف بَلْ بَاطِل وَالصَّوَاب أَنَّ أَوَّل مَا أَنْزَلَ عَلَى الْإِطْلَاق ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبّك ﴾ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي حَدِيث عَائِشَة رَضِيَ اللهَّ عَنْهَا . وَأَمَّا ﴿ يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر ﴾

(١) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٨ .

(٢) المرجع السابق (٨/ ٦٧٨)

فَكَانَ نُزُولهَا بَعْد فَتْرَة الْوَحْي كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي رِوَايَة الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلَمَة عَنْ جَابِر . وَالدَّلَالَة صَرِيحَة فِيهِ فِي مَوَاضِع مِنْهَا قَوْله: (وَهُوَ يُحَدِّث عَنْ فَتْرَة الْوَحْي إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر ﴾ وَمِنْهَا قَوْله ﷺ: " فَإِذَا الْمَلَك الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ " . ثُمَّ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهَّ تَعَالَى ﴿ يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر ﴾ وَمِنْهَا قَوْله: " ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْي " يَعْنِي بَعْد فَتْرَته . فَالصَّوَاب أَنَّ أَوَّل مَا نَزَلَ ﴿ اِقْرَأْ ﴾ وَأَنَّ أَوَّل مَا نَزَلَ بَعْد فَتْرَة الْوَحْي: ﴿ يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر ﴾ وَأَمَّا قَوْل مَنْ قَالَ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ: أَوَّل مَا نَزَلَ الْفَاتِحَة فَبُطْلَانه أَظْهَر مِنْ أَنْ يُذْكَر وَاللهَّ أَعْلَم[1]. وبعض العلماء جمع بين حديث عائشة وحديث جابر بعدة أجوبة[2].

- **آخر ما نزل من القرآن:**

اختلف العلماء أيضاً في آخر ما نزل على أقوال:

قال البيهقي: " يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده. وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وكل قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو،

(١) شرح النووي على مسلم ٢/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٠٥، الإتقان في علوم القرآن ١/ ٧٨، فتح الباري ١/ ٩٢.

ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب "[1].

وذكر مسلم بعض هذه الأقوال، وانحصر الخلاف عنده في أمرين:

أولاً: الخلاف في آخر سورة نزلت .

ثانياً: الخلاف في آخر آية نزلت .

أما آخر سورة نزلت فالأقوال عند مسلم دائرة حول سورة التوبة وسورة (إذا جاء نصر الله والفتح)، ومن ذلك:

١- ما رواه في كتاب الفرائض (٣/ ١٢٣٦ح١٦١٨) حديث الْبَرَاءِ "أَنَّ آخِرَ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ تَامَّةً سُورَةُ التَّوْبَةِ " .وعنه أيضا أَنَّهُ قَالَ " آخِرُ سورَةٍ أُنْزِلَتْ كَامِلَةً " .

٢- ما رواه في التفسير (٤/ ٢٣١٨ح٣٠٢٤) من رواية عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ تَعْلَمُ آخِرَ سورَةٍ نَزَلَتْ مِنْ الْقرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا قُلْتُ نَعَمْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهَّ وَالْفَتْحُ قَالَ صَدَقْتَ ".

وبالنظر إلى الروايات السابقة نلاحظ ما يلي:

١- أن مسلم ذكر الرواية الأولى في كتاب الفرائض ، والثانية في كتاب التفسير، ولعل في هذا ترجيح للرواية الأخيرة وهي أن سورة النصر هي آخر ما نزل .

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٩ .

٢- ذكر في الرواية الأولى عبارة" أُنْزِلَتْ تَامَّةً "و" كَامِلَةً "،وفي الثانية عبارة " نَزَلَتْ جَمِيعًا ".

قال ابن حجر " وقد قيل في آخرية نزول براءة أن المراد بعضها، فقيل قوله: فإن تابوا وأقاموا الصلاة الآية وقيل: لقد جاءكم رسول من أنفسكم وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله كما تقدم في البقرة " وفي موضع آخر قال " وأما السورة فالمراد بعضها أو معظمها وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر وقد نزل اليوم أكملت لكم دينكم وهي في المائدة في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد . معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ " وقال " والجمع بينهما أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف " براءة " كما تقدم توجيهه، ويقال إن إذا جاء نصر الله نزلت يوم النحر وهو بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش بعدها أحدا وثمانين يوما، وليس منافيا للذي قبله بناء على بعض الأقوال في وقت الوفاة النبوية "[(١)].

وأما **آخر آية** نزلت فقد ذكر مسلم في ذلك روايات وهي:

١- ما رواه في كتاب الفرائض (٣/ ١٢٣٦ح١٦١٨) من رواية الْبَرَاءِ قَالَ: أَنَّ آخِرَ آيَةٍ أُنْزِلَتْ آيَةُ الْكَلَالَةِ .

٢- وما رواه في التفسير (٤/ ٢٣١٧ح٣٠٢٣) من رواية سعيد بن جبير

(١) فتح الباري ١/ ٢٨ .

عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية " ومن يقتل مؤمنا متعمداً"، ونص الرواية " عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ " .

وقال: " في حديث ابن جعفر نزلت في آخر ما أنزل وفي حديث النضر إنها لمن آخر ما أنزلت "

وبالنظر في الروايتين السابقتين نلاحظ ما يلي:

١- إن مسلماً يرجح رواية أن آخر ما نزل " آية الكلالة " حيث اختارها ولم يذكر روايات أخرى في الباب والله أعلم .

٢- إن آية ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ من آخر ما أنزل في شأن الدماء، وقتل المؤمن عمداً، حيث عقب الراوي بقوله " لم ينسخها شيء " فهي ليست مطلقة .

وحاول الحافظ الجمع بين قول البراء وقول ابن عباس فقال " وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء من حديث البراء " آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فيجمع بينه وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعا، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداهما"[1]. وقال أيضاً: " وقال الكرماني: اختلف في تعيين آخر ما نزل فقال البراء هنا: خاتمة سورة النساء، وقال ابن عباس كما تقدم في آخر سورة

(١) المرجع السابق ٨/ ٢٠٥.

البقرة: آية الربا، وهذا اختلاف بين الصحابيين ولم ينقل واحد منهما ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيحمل على أن كلا منهما قال يظنه، وتعقب بأن الجمع أولى "[١].

٤- الاهتمام بالناسخ والمنسوخ:

معرفة الناسخ والمنسوخ في التفسير علم جليل، وفن دقيق، ومطلب مهم لكل من تصدى لهذا العلم .

قال الدكتور محمد طوالبة " وقد عني الإمام مسلم في صحيحه بالناسخ والمنسوخ من الحديث، وسار فيه على منهج مطرد يفهم المراد منه بسهولة ويسر ودون عناء كبير، فيورد الأحاديث المنسوخة أولاً، ثم يتبعها بالناسخة من غير بيان أو تحليل، مكتفياً بتقديم المنسوخ وتأخير الناسخ، وهو آخر الأمرين من رسول الله ﷺ والذي استقر عليه العمل، والأمثلة على ذلك كثيرة، مبثوثة في الصحيح "[٢] .

ثم ذكر بعض الأمثلة على ذلك وقال " فهكذا أورد مسلم الأحاديث المنسوخة أولاً، ثم أعقبها بالناسخة – دون بيان أو تعليق – ولم يكتف بحديث أو حديثين، بل جاء بهذه العدد الهائل من الأحاديث على طريقته في جمع المتون المتعلقة بالمسألة الواحدة في موطن واحد، والذي من شأنه أن يعطي تصوراً أكثر لظروف المسألة وحيثياتها وما يتعلق بها " .

---

(١) المرجع السابق ١٢/ ٢٧.

(٢) انظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ٣٥٢.

ولو أردنا أن نطبق هذه المنهجية التي ذكرها المؤلف على المثال الوحيد عن النسخ في كتاب التفسير، نستطيع أن نخرج بنتائج مفيدة، ومزايا فريدة.

النسخ في مسألة القتل العمد:

أورد الإمام مسلم في هذه المسألة مذهب ابن عباس، وهو أن الآية في قوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) محكمة وغير منسوخة،خلافاً لمذهب الجمهور من أهل السنة والجماعة .

قال ابن سلامة: " وأجمع المفسرون من الصحابة والتابعين على نسخ هذه الآية إلا عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، فإنهما قالا: إنها محكمة"[1].

وصنيع مسلم في سرد الروايات وطرق الحديث، يفهم منه أخذ مسلم برأي ابن عباس، وقد اتبع في ترجيح هذا الرأي وتقويته عدة أساليب وهي:

١ - صدر الروايات برواية سعيد بن جبير قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ .

فاستدل الإمام مسلم بأن الآية محكمة بكونها أنزلت آخر ما أنزل، وأنها لم ينسخها شيء، وهذا من عنايته –رحمه الله – بأسباب النزول في صحيحه عامة وفي كتاب التفسير خاصة، و إن من فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما

(١) الناسخ والمنسوخ ١/ ١٢ الشاملة.

نـزل: تمييـز الناسـخ مـن المنسوخ عنـد التعـارض وذلـك بمعرفـة الـسابق واللاحق .

٢- ذكر الطرق الأخرى لهذه الرواية عـن بعـض مشايخه بـنفس الإسـناد فقال: " وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْـنُ بَشَّارٍ قَـالَا حَـدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ جَعْفَـرٍ ح وحَـدَّثَنَا إِسْـحَقُ بْـنُ إِبْـرَاهِيمَ أَخْبَرَنَـا النَّـضْرُ قَـالَا جَمِيعًـا حَـدَّثَنَا شُـعْبَةُ بِهَـذَا الْإِسْنَادِ فِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا أُنْـزِلَ وَفِي حَـدِيثِ النَّـضْرِ إِنَّهَـا لَمِنْ آخِرِ مَا أُنْزِلَتْ ".

وهنا يظهر دقة صنيع الإمـام مسلم في ذكـر الفـروق بـين ألفـاظ المتـون وتمييزها، مع أن منهجه تجويز الروايـة بـالمعنى إذا كـان الاخـتلاف يـسيراً لا يغـير المعنـى[١]، وقـد يغـير المعنـى ولا يفطـن لـه،كما قـال الـسخاوي " وقـد اشتدت عناية مسلم ببيان ذلك حتـى في الحـرف الواحـد مـن المـتن، وصـفة الراوي ونسبه، وربما كـان بعـضه لا يتغـير بـه معنـى، وربـما في بعـضه تغـيّر، ولكنه خفاء لا يتفطن له إلا من هو في العلم بمكان "[٢].

وعند المقارنة بين هذه الألفاظ: (لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ - نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا أُنْزِلَ - إِنَّهَا لَمِنْ آخِرِ مَا أُنْزِلَتْ) نجد أن الفرق لا يغير المعنى ولكن يؤكـد المعنى ويقويه .

٣- ذكر طريق آخر (٤/ ٢٣١٧ح٣٠٢٣) صرح فيه سعيد بن جبير بسبب

---

(١) انظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ٣٥٢ .

(٢) فتح المغيث ٢/ ٢٧٧ باختصار .

آخر لسؤاله فقال: أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾قَالَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ .

وهذه الرواية تنُص على أن الآية محكمة فقط، ثم ذكر أن الآية الأخرى نزلت في أهل الشرك، ولم يبين ابن عباس أي علاقة ظاهرة بينهما من ناحية الناسخ والمنسوخ، ولكن كونها نزلت في أهل الشرك دليل على أنها مكية كما سيأتي التصريح بذلك.

وما زال الإمام مسلم يقدم الروايات المحكمة والناسخة دون الإشارة إلى المنسوخة بناء على منهجه في التقديم .

٤ - إيراد الرواية الناسخة عند الجمهور، والتصريح بمكان نزولها، تأييدا منه على أنها منسوخة بمفهوم فعله، وهي ما أورده في التفسير (٤/ ٢٣١٨ح٣٠٢٣) من طريق سعيد بن جبير أيضا عن ابن عباس قال: "نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إِلَى قَوْلِه ﴿مُهَانًا ﴾ . فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا يُغْنِي عَنَّا الْإِسْلَامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

قَالَ: فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ .

وهنا أيضاً يهتم مسلم بأسباب النزول ليستدل على تقدم نزول هذه الآية، ثم يعقب بأن المسلم القاتل عمداً ليس له توبة، وأن الآية السابقة نزلت

خاصة في أهل الشرك كما صرح قبلها .

٥- الرواية الأخيرة في الباب (٤/ ٢٣١٨ح٣٠٢٣) من طريق ابن جريج قال: " حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا قَالَ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا ﴾ . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ هَاشِمٍ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ .

وفي هذا الطريق صرح بالآية الناسخة والمنسوخة وجمعهما في موضع واحد، وقد ذكرها مسلم في آخر الباب بناء على منهجه في تقديم المنسوخ وتأخير الناسخ .

قال ابن حجر بعد رواية البخاري" قوله: (عن هاتين الآيتين ومن يقتل مؤمنا متعمدا فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن والذين يدعون مع الله إلها آخر قال: نزلت في أهل الشرك) هكذا أورده مختصرا، وسياق مسلم من هذا الوجه أتم، وأتم منهما ما تقدم في المبعث من رواية جرير بلفظ " هاتين الآيتين ما أمرهما ؟ التي في سورة الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر والتي في سورة النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا قال: سألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في سورة الفرقان قال مشركوا مكة: قد قتلنا النفس ودعونا مع الله إلها آخر وأتينا الفواحش، قال: فنزلت إلا من تاب الآية، قال: فهذه لأولئك، قال: وأما التي في سورة النساء فهو الذي قد عرف

الإسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم لا توبة له، قال . فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم " وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفا . ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمدا، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه[1].

٥ - العناية بأسماء السور:

موضوع أسماء السور له ارتباط بقضية المكي والمدني، وبموضوع أسباب النزول، فالملاحظ أنه عند ذكر اسم السورة يربط بكونها مكية أو مدنية وبسبب نزولها . وتسمية السور منه ما هو توقيفي ثبت عن النبي ﷺوهذا كثير، وبعضها اجتهادي عن الصحابة ومن بعدهم .وغالب هذه التسميات تأتي حكاية لبداية السورة[2].

وقد اعتنى الإمام مسلم بأسماء السور في جامعه، وبلغت مجموع الراويات التي ورد فيها أسماء سور القرآن حوالي (٣٠) رواية تقريباً، والتي في كتاب التفسير (٣) روايات فقط .

---

(١) فتح الباري ٨/ ٤٦٥-٤٩٦

(٢) انظر: المحرر في علوم القرآن ص ١٠١ – ١٠٣.

أولاً: الأسماء التوقيفية التي رواها مسلم عن النبي ﷺ ومنها ما يلي:

١- ما رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٤ح ٨٠٦) من طريق سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ **فَاتِحَةُ الْكِتَابِ** وَخَوَاتِيمُ **سُورَةِ الْبَقَرَةِ** لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ .

٢- ما رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٣ح ٨٠٤) عن أَبُي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ **الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ** فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ .

٣- وما رواه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٩٦ح٥٦٧) عن عمر بن الخطاب رضي اله عنه قال: " مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ **سُورَةِ النِّسَاءِ** .

٤- وما رواه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٥٥ح٨٠٩) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ **سُورَةِ الْكَهْفِ** عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ .

٥ - وما رواه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها أيضاً (١/ ٥٦٠ح٨١٨) عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ **سُورَةَ الْفُرْقَانِ** عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا ....."،وفي هذا الأثر إقرار النبي ﷺ لعمر بن الخطاب على تسمية سورة الفرقان .

ثانياً: الأسماء التي وردت عن الصحابة والتابعين ومنها:

١- ما رواه مسلم في التفسير (٤/ ٢٣٢٢ح٣٠٣٢) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: **سُورَةُ التَّوْبَةِ** قَالَ: آلتَّوْبَةِ ؟ قَالَ بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَتْ تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا قَالَ قُلْتُ **سُورَةُ الْأَنْفَالِ** قَالَ تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ قَالَ قُلْتُ **فَالْحَشْرُ** قَالَ نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ .

وفي هذا الأثر دلالة على أن بعض السور لها أكثر من اسم، فمن أسماء التوبة (الفاضحة)، ومن أسماء الأنفال (بدر) . ثم ذكر أن سورة الحشر نزلت في بني النضير، لبيان العلاقة بين الاسم وسبب النزول .

٢- وعنه أيضاً في التفسير (٤/ ٢٣١٨ح٣٠٢٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا قَالَ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ هَذِهِ آيَةٌ

مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ هَاشِمٍ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي **الْفُرْقَانِ** ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ .

٣- وما رواه في التفسير أيضاً (٤/ ٢٣١٨ح ٣٠٢٤) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ - وَقَالَ هَارُونُ تَدْرِي - آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنْ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا قُلْتُ نَعَمْ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** قَالَ صَدَقْتَ .

وفي هذا الأثر التسمية بصدر السورة وأولها . والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولكن اكتفي بما ورد في كتاب التفسير، لأنه أصل موطن الدراسة .

٦- العناية بالمكي والمدني :

المكي والمدني مصطلحان مرتبطان بالزمان والمكان، وقد اعتنى بهما السلف عند رواية مكان نزول القرآن وزمنه، وقد يعبرون عنه بعبارات مختلفة من كون السورة كلها مكية أو مدنية، أو كلها مكية إلا آيات منها، أو ينصون على آيات معينة بأنها مكية أو مدنية .

ولعل ضابط معرفة المكي والمدني هو: أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني .(١)

وعند تأمل صحيح مسلم نجده قد يفهم منه ذلك بأمرين:

١- أن ينص على أن هذه الآية مكية أو مدنية .

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن ص ١٠١- ١٠٣.

٢- أن يفهم من سياق الرواية أن السورة أو الآية مكية أو مدنية .

ومن أمثلة الأول:

١- ما رواه مسلم في كتاب التفسير عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا قَالَ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا).

٢- ما رواه في كتاب الصلاة (١/ ٣٢٩ح٤٤٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قَالَ نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ قِرَاءَتَكَ .

٣- وروى أيضاً في التفسير (٤/ ٢٣١٨ح ٣٠٢٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إِلَى قَوْلِه ﴿ مُهَانًا ﴾ .

ومن أمثلة الثاني:

١- ما رواه مسلم في التفسير (٤/ ٢٣١٢ح٣٠١٧٩) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِعُمَرَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ وَأَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ

بِعَرَفَةَ . قَالَ سُفْيَانُ أَشُكُّ كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا يَعْنِي ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ .

ومفهوم السياق يدل على أن الآية مدنية حيث نزلت بعد الهجرة .

٢- وروى في التفسير (٤/ ٢٣١٩ح٣٠٢٦) عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولَ كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ .
وهذه مدنية أيضاً.

٣- ما رواه في التفسير أيضاً (٤/ ٢٣٢٠ح٣٠٢٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ فَتَقُولُ مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا وَتَقُولُ الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾(الأعراف٣١) . ومفهوم السياق يدل على أنها مكية .

٤- وما رواه في التفسير (٤/ ٢٣٢٠ح٣٠٢٩) عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ اذْهَبِي فَابْغِينَا شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لَهُنَّ ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(النور ٣٣). والآية مدنية كما هو واضح .

٧- العناية بالقراءات:

يظهر اعتناء الإمام مسلم كثيراً بالقراءات، بل أورد مواضع يسيرة لبعض

القراءات، وقد كان يورد قراءات الصحابة غالباً كابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وقراءات الكوفيين كقراءة الأعمش وعبد الله بن مسعود .
ويصرح بأن هذه قراءة فلان أو فلان .
وكان إيراده للقراءات على أوجه:

١- إيراد القراءة على وجه التفسير والبيان:

ومثال ذلك ما رواه في كِتَاب صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ (٤/ ٢١٤٠ح٢٧٧٢) من طريق أَبُو إِسْحَقَ أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَصْحَابِهِ: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ مِنْ حَوْلِهِ قَالَ زُهَيْرٌ وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ خَفَضَ حَوْلَهُ .

قال ابن حجر "هو كلام عبد الله بن أبي، ولم يقصد الراوي بسياقه التلاوة، وغلط بعض الشراح فقال: هذا وقع في قراءة ابن مسعود وليس في المصاحف المتفق عليها فيكون على سبيل البيان من ابن مسعود " (١)

وروى في كتاب الطلاق (٢/ ١٠٩٣ح١٤٧١) من طريق ابْنُ جُرَيْجٍ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ مَوْلَى عَزَّةَ يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا فَقَالَ طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ فَقَالَ لَهُ

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٤٥

النَّبِيُّ ﷺ لِيُرَاجِعْهَا فَرَدَّهَا وَقَالَ إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ لِيُمْسِكْ قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ .

قال أبو حيان: "وما روي عن جماعة من الصحابة والتابعين، رضي الله تعالى عنهم، من أنهم قرئوا: فطلقوهن في قبل عدتهن؛وعن بعضهم: في قبل عدّتهن؛ وعن عبد الله: لقبل طهرهن، هو على سبيل التفسير،لا على أنه قرآن،لخلافه سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقاً وغرباً "[1].

وقال النووي " هذه قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآنا بالإجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا وعند محققي الأصوليين، والله أعلم "[2].

- وروى في كتاب الإيمان (١/ ١٣٩ح١٥٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّا غَابَتْ الشَّمْسُ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا قَالَ ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا .

قال ابن الجزري[3]: " وأما من يقول: إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، إنما قال: نظرت القراءات فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم . نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٨١.

(٢) شرح النووي ١٠/ ٦٩.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٣٢.

القراءة إيضاحا وبيانا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي - ﷺ- قرآنا فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه، لكن ابن مسعود - رضي الله عنه - كان يكره ذلك ويمنع منه فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير في القرآن " .

٢- إيراد القراءة الشاذة:

ومثاله: ما رواه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٦٥ح٨٢٣) عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَدِمْنَا الشَّامَ فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ نَعَمْ أَنَا قَالَ فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ فَلَا أُتَابِعُهُمْ .

وما رواه في الموضع السابق أيضاً (١/ ٥٦٥ ح٨٢٤) عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِمَّنْ أَنْتَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ مِنْ أَيِّهِمْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ هَلْ تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاقْرَأْ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ قَالَ فَقَرَأْتُ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَالَ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا " .

قَالَ ابن الجزري[1]: " (والقسم الثاني) ما صح نقله عن الآحاد

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٤.

وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد، والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده." ثم قال: " ومثال القسم الثاني قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء : (والذكر والأنثى) في وما خلق الذكر والأنثى " .

قال في البحر المحيط [1]: " والثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر ﴿وما خلق الذكر والأنثى ﴾، وما ثبت في الحديث من قراءة . والذكر والأنثى: نقل آحاد مخالف للسواد، فلا يعد قرآناً ".

وقال الألوسي في روح المعاني [2]: " وأنت تعلم أن هذه قراءة شاذة منقولة آحاداً لا تجوز القراءة بها لكنها بالنسبة إلى من سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام في حكم المتواترة تجوز قراءته بها " .

وقال ابن حجر " وَفِي هَذَا بَيَان وَاضِح أَنَّ قِرَاءَة اِبْن مَسْعُود كَانَتْ كَذَلِكَ، وَاَلَّذِي وَقَعَ فِي غَيْر هَذِهِ الطَّرِيق أَنَّهُ قَرَأَ " وفي هذا بيان واضح أن قراءة ابن مسعود كانت كذلك، والذي وقع في غير هذه الطريق أنه قرأ "والذي خلق الذكر والأنثى " كذا في كثير من كتب القراءات الشاذة، وهذه القراءة لم يذكرها

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٤٨٣

(٢) ٣٠/ ١٤٧ .

أبو عبيد إلا عن الحسن البصري ، وأما ابن مسعود فهذا الإسناد المذكور في الصحيحين عنه من أصح الأسانيد يروي به الأحاديث.

ثم قال " ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه . والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت "[1].

ونقل النووي عن الْقَاضِي عياض: قَالَ الْمَازِرِيُّ: يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه أن ذلك كان قرآنا ثم نسخ ولم يعلم من خالف النسخ فبقي على النسخ . قال: ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كل مسنوخ . وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه. وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفا لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما شاء، وكان رأي عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن ذلك قرآنا[2].

---

(١) فتح الباري ٨/ ٧٠٧.

(٢) شرح النووي ٦/ ١٠٩.

٣- إيراد القراءة لبيان المجمل:

ومن ذلك ما رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٣٧ح٦٢٩) عَنْ أَبِي يُونُسَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّهُ قَالَ: أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا، وَقَالَتْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَآذِنِّي ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آذَنْتُهَا فَأَمْلَتْ عَلَيَّ ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ﴿ وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال النووي: " هكذا هو في الروايات: وصلاة العصر بالواو، واستدل به بعض أصحابنا على أن الوسطى ليست العصر، لأن العطف يقتضي المغايرة، لكن مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله - ﷺ-: لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا، والمسألة مقررة في أصول الفقه، وفيها خلاف بيننا وبين أبي حنيفة - رحمه الله تعالى -.[١]

وما رواه في كتاب الإيمان (١/ ١٩٣ح٢٠٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء٢١٤)، وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ قَالُوا مُحَمَّدٌ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي

(١) انظر: القراءات وأثرها في التفسير ١/ ١٨٩.

فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

قال ابن العربي: " مرت في هذه السورة قراءتان: إحداهما قوله: " وأنذر عشيرتك الأقربين . ورهطك منهم المخلصين " . والثانية قوله تعالى: تبت يدا أبي لهب وقد تب . وهما شاذتان، وإن كان العدل رواهما عن العدل، ولكنه كما بينا لا يقرأ إلا بما بين الدفتين واتفق عليه أهل الإسلام.[1]

وقال ابن حجر: " في رواية أبي أسامة " تبت يدا أبي لهب وقد تب " وزاد " هكذا قرأها الأعمش يومئذ " انتهى . وليست هذه القراءة فيما نقل الفراء عن الأعمش، فالذي يظهر أنه قرأها حاكيا لا قارئا، ويؤيده قوله في هذا السياق: " يومئذ " فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك، والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده.[2]

٤ - إيراد قراءة الجمهور (قراءة العامة) على وجه الترجيح :

روى مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٦٣ح٨٢٣) عن أَبِي إِسْحَقَ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا سَأَلَ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ وَهُوَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ فِي

---

(١) شرح النووي ٥/ ١٣٠-١٣١

(٢) فتح الباري٨/ ٥٠٣

الْمَسْجِدِ فَقَالَ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ أَدَالًا أَمْ ذَالًا ؟ قَالَ: بَلْ دَالًا سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿مُدَّكِرٍ ﴾ دَالًا .

وعَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾.

وفي رواية البخاري: " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ مِثْلَ قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ " .

وروى في كتاب الفضائل (٤/ ١٨٤٧ح٢٣٨٠) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ﴿ لَتَّخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾.

٥- إيراد القراءة المناسبة للآية لفظاً ومعنى:

مثاله ما رواه في التفسير (٤/ ٢٣١٩ح٣٠٢٧) عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَقِيَ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغُنَيْمَةَ فَنَزَلَتْ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿ السَّلَامَ ﴾ .

وما رواه في كتاب الفضائل (٤/ ١٨٤٧ح٢٣٨٠) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَكَانَ يَقْرَأُ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا وَكَانَ يَقْرَأُ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا .

المبحث الثالث:

الإسرائيليات في صحيح مسلم

الإسرائيليات تنقسم إلى أقسام باعتبارات مختلفة: [1]

أولاً: تنقسم باعتبار الصحة وعدمها إلى صحيح وضعيف .

ثانياً: تنقسم باعتبار موافقتها لما في شريعتنا ومخالفتها إلى موافقة ومخالفة ومسكوت عنها .

ثالثاً: تنقسم باعتبار موضع الخبر الإسرائيلي إلى: ما يتعلق بالعقائد وما يتعلق بالأحكام وما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث .

وبالنظر إلى صحيح مسلم نجد أنه اشتمل على بعض هذه الأقسام، ومن ذلك:

رواية ما جاء موافقاً لما في شريعتنا، ومثاله: ما رواه مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ تكونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ بَلَى قَالَ تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ قَالَ إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ قَالُوا وَمَا هَذَا قَالَ ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا

(١) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص٤٧ – ٥٣.

سَبْعُونَ أَلْفًا .

روایة ما يتعلق بالعقائد، ومثاله: ما رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

رواية ما يتعلق بالأحكام، ومثاله ما رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ قَدْ زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ قَالُوا نُحَمِّمُهُمَا وَنَضْرِبُهُمَا فَقَالَ لَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ فَقَالُوا لَا نَجِدُ فِيهَا شَيْئًا فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ كَذَبْتُمْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا الَّذِي يُدَرِّسُهَا مِنْهُمْ كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَطَفِقَ يَقْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ وَمَا وَرَاءَهَا وَلَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ فَنَزَعَ يَدَهُ عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ فَقَالَ مَا هَذِهِ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا هِيَ آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَجْنِي عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ .

والمتتبع لكتب السنة ومنها الصحيحين يجد كثيراً من أخبار بني إسرائيل مروياً عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة، منها: ما يكون تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم، كالأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا

ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ....الآية " . فقد روى مسلم عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ .

" وكون الإسرائيليات مصدرًا يستفيد منه المفسر في حال بيان معنى كلام الله لا يعني أن تقبلَ كلَّ ما يُفسَّر به هذا من طريق هذا المصدر، فهذه الإسرائيليات كالتفسير باللغة، وليس كل ما فسِّر به من جهة اللغة يكون صحيحًا، وكذلك الحال هنا".[1]

ومنها ما خرج مخرج القصص والأمثال والمواعظ بقصد الترغيب والترهيب ومن ذلك ما رواه مسلم عن صهيب في قصة أصحاب الأخدود.

ومن ذلك قصة الأبرص والأقرع والأعمى، وحديث جريج العابد، وقصة أصحاب الغار، وغير ذلك من أحاديث بني إسرائيل . وهذه الأخبار الإسرائيلية التي حدث بها رسول الله ﷺ لغرض العظة والعبرة صحيحة مقبولة .[2]

فالمحدثين كان لديهم منهج سديد، ومعيار دقيق في قبول ما يلقى

---

(١) انظر: مقال " رأي آخر في الإسرائيليات في كتب التفسير " د مساعد الطيار، نشر في ملتقى أهل التفسير .

(٢) انظر: الإسرائيليات وأثرها في التفسير ص ١٩٩ -٢٠١ .

إليهم من الإسرائيليات، فما وافق شرعنا قبلوه، وما خالفه كذبوه، وما كان مسكوتاً عنه توقفوا فيه . يقول د. محمد أبو شبهة "ولقد كان لجهابذة الحديث ونقاده جهد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات، وتمييز صحيحها من باطلها، وغثها من سمينها، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا ونقدوها نقدا علميا نزيها، ولولا هذا الجهد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ الغاية أنهم قالوا: إن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه يكون له حكم الرفع إذا لم يكن مرفوعا بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، أما إذا كان معروفا بالأخذ عنهم فلا؛ لجواز أن يكون من الإسرائيليات، وهو تحوط يدل على أصالة في النقد وبعد نظر محمود من المحدثين"[(١)]

وخلاصة الأمر: أن الإسرائيليات الموجودة في صحيح مسلم من الصحيح المقبول الذي على شرطه، ومما وافق شرعنا ولم يخالفه، وممن اتهم الصحيح برواية إسرائيليات مكذوبة، إما حاقد متحامل كالشيعة الذين رموا الصحيح بذلك، أو مستشرق مضلل ومن سار على نهجه كأبي رية وأمثاله . ولكن السؤال الذي يتبادر طرحه: هل تقبل رواية الإسرائيليات في تفسير كتاب الله ؟

(١) دفاع عن السنة، د. محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٨١.

هناك من العلماء من يرى عدم الترخص برواية الإسرائيليات في التفسير كالشوكاني حيث يقول رحمه الله: «فإن تَرَخَّصَ مُتَرَخِّصٍ بالرواية عنهم لمثل ما روي "حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" فليس ذلك فيما يتعلق في تفسير كتاب الله سبحانه بلا شك، بل فيما ذُكِرَ عنهم من القصص الواقعة لهم»[1].

وعلى هذا النهج سار الشيخ السعدي في تفسيره، حيث قال بعد تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة: «واعلم أن كثيراً من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشوا تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونَزَّلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: "حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج". والذي أرى أنه – وإن جاز نقل أحاديثهم على وجهٍ تكون مفردة غير مقرونة ولا مُنَزَّلَةٍ على كتاب الله – فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ. ذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: "لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذّبوهم". فإذا كان مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها– معاني لكتاب الله مقطوعاً بها. ولا يستريب بهذا أحد. لكن بسبب الغفلة عن هذا، حصل ما حصل. والله الموفق»[2].

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ص ٣٧.

الخاتمــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإليه وحده يرجع الفضل كله، سبحانه لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وأحمده سبحانه وتعالى أن وفقني وأعانني وسددني

ولا فضل لي في كل ذاك وإنما من الله كل الفضل بدءاً ومنتهى

بفضل الله ومنّه عشت فترة من الزمن مع صحيح الإمام مسلم – رحمه الله – أتأمل منهجه، واستنبط فوائده، وأتعجب من حفظ الله له وبقائه درة على مر الزمان، ومفخرة في تاريخ الأمة . وحفظُ الله للصحيح وغيره من كتب السنة النبوية، من حفظ الله لكتابه الكريم، المتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، والسنة النبوية تبين هذا الذكر وتوضحه، وتقرره وتؤكده، وتستقل بالتشريع عنه . فلا غرو ولا عجب أن يحفظ الله هذا البيان، ويهيأ له رجالاً أفذاذاً، يميزون صحيحه، و يستخلصون شوائبه، وينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين . فالانتصار للصحيح نصرة للدين، وفتح مبين، وإحياء للسنة المهجورة، وتبليغاً للعلم الذي أمرنا به نبينا محمد ﷺ بقوله " بلغوا عني ولو آية " .

وإنني من خلال هذا البحث المتواضع، وجهد المقل، حاولت إلقاء الضوء على بعض ملامح العناية بالتفسير في صحيح الإمام مسلم، وذلك لتأكيد أهمية العمل بالسنة النبوية، جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، فكلاهما وحي منزل، ومصدر مشرع .

ومن خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

أولاً: تبين لي من خلال دراسة منهج الإمام مسلم في صحيحه، دقة علم المتقدمين، وتميز منهجهم، ومدى التزامهم بالمنهج العلمي الأصيل في التأليف والبحث العلمي، على أسس علمية رصينة، وقد ظهرت ثمرة هذا المنهج النظري، عند تطبيقه على الروايات الحديثية وهي عينة البحث، فظهر نبوغ هذا الإمام الجليل وقوة ذكائه، في إتباع نسق معين، والسير على خطى مدروسة في ترتيب الأحاديث وتكرارها واختصارها وتقطيعها،وفق منظومة حديثية بديعة منظمة .

ثانياً: ضرورة ربط الدراسة الحديثية لمناهج المحدثين في مصنفاتهم بالتطبيق العملي على النماذج والأمثلة الحديثية، وبالدراسة التحليلية للمرويات، حتى يتبين لطالب العلم تميز المحدثين في الصناعة الحديثية، وإبداعهم في البحث العلمي المبني على قواعد وأصول .

ثالثاً: ظهر لي ميزة وتفوق الإمام مسلم في جامعه المتمثل في جمع الأحاديث المتناسبة في مكان واحد، مع ذكر طرق الأحاديث بأسانيدها المختلفة وألفاظها المختلفة، وميزة هذه المنهجية وأهميتها، برزت في تحريك ذهن القارئ وشحذ همته، في استنباط سر ترتيب الإمام مسلم للأحاديث بهذا التسلسل، ومحاولة استنباط فقهه ورأيه المعتمد في المسألة، من خلال ترتيبه وتأليفه الأحاديث على نسق معين .

رابعاً: مظاهر عناية الإمام مسلم بالتفسير في صحيحه، دليل واضح على أن كتابه الصحيح من الجوامع الحديثية، التي اشتملت على جميع الأبواب

الحديثية، وفي هذا رد على من نازع في تصنيف صحيح مسلم ضمن الجوامع الحديثية، لقلة التفسير فيه، فالإمام مسلم قد أفرد كتاباً خاصاً بالتفسير، بالإضافة إلى الروايات التفسيرية الكثيرة المبثوثة في صحيحه . وقد أشرت إلى نماذج من هذه الروايات ولم أستوعب، نظراً لضيق مجال البحث .

خامساً: تبين لي من خلال دراسة منهج الإمام مسلم في التفسير، أنه يرتب أحاديث الباب في الموضوع الواحد، حسب ما يرجحه ويقويه في المسألة، وإن لم يصرح برأيه، ولكن صنيعه في التقديم والتأخير للأحاديث نستنبط منه قوله الذي يرجحه في المسألة، مثال ذلك: صنيعه مع أحاديث رؤية النبي ﷺ ربه في حادثة الإسراء .

سادساً: عناية الإمام مسلم بالتفسير في جامعه لا تتمثل في إفراده كتاباً خاصاً بالتفسير فقط، والذي اشتمل على أحاديث قليلة معدودة، غلب عليها الاهتمام بأسباب النزول، بل برزت عنايته بالتفسير من خلال الروايات التفسيرية الكثيرة المبثوثة في ثنايا جامعه، مما تدل دلالة قوية على إلمام الإمام مسلم بالتفسير وعلومه، ومحاولة توظيف هذه المعرفة من خلال جامعه .

سابعاً: احتواء صحيح مسلم على الروايات التفسيرية الكثيرة، سواء المفردة في كتاب التفسير، أو المبثوثة في ثنايا الجامع، فيه خدمة عظيمة لكتاب الله، وبيان وتوضيح لكثير من آياته، والعناية بهذا الصحيح والدفاع عنه، وبيان منهجه، من العناية بكتاب الله وخدمته، ومن مقتضى حفظه تعالى للذكر الحكيم حفظه للسنة المبينة لهذا الذكر .

ثامناً: معرفة منهج الإمام مسلم في الصحيح في الانتقاء والاختيار، يبرز لنا عقلية السلف الصالح ونضوج فكرهم العلمي، ودورهم الأساس في تأصيل وتقعيد أصول البحث العلمي، ويبرز ذلك في توضيحه -رحمه الله - للباعث له في التأليف، وبيان طريقته العلمية في مقدمة علمية فريدة، حيث تعد مفخرة لعلماء الأمة، وسبق علمي في تأصيل البحث العلمي ومعرفة أدواته وأسسه .

تاسعاً: معرفة منهج الصحيح في الترتيب والتبويب والتكرار، يبرز لنا أهمية صياغة البحث العلمي، وفق منهج علمي رصين، وأسس علمية ثابتة، دون تطويل ممل، أو اختصار مخل، أو تكرار مطرد، مع مراعاة أهمية شحذ ذهن القارئ وتحريك فكره، لاستنباط الفوائد والفرائد، لتتباين الفهوم وتتسابق العقول، في استخراج الدقائق والخبايا، وفي ذلك تربية لفطنة القارئ وفهمه، وصناعة لعقول منتجة مبدعة .

وفي الختام: أتوجه إلى الله العلي القدير، بالحمد والثناء والتمجيد، وأسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يتقبله مني، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلني ممن يتشرف بخدمة كتابه العظيم، وسنة نبيه ﷺ، وأن يرزقني العمل بما فيها، متبعة غير مبتدعة .

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

فهرس المراجع

- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط١/ ١٤٠٨هـ .
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي،تحقيق: د.مصطفى البغا، دار ابن كثير – دمشق،ط٣/ ١٤١٦ هـ .
- الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. محمد السيد الذهبي، دار الإيمان، دمشق، (ط٢) ١٤٠٥ هـ .
- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: د.رمزي نعناعة، دار القلم – دمشق،ط١/ ١٣٩٠ هـ .
- الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه / د.محمد عبد الرحمن طوالبة، دار البيارق -الأردن، ط١ / ١٤١٨هـ .
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل،عبد الرحمن المعلمي، عالم الكتب،بيروت ١٤٠٢ هـ
- البرهان في علوم القرآن للزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢/ ١٣٩١هـ
- التصنيف الموضوعي عند المحدثين / د. محمد بن أحمد بن علي باجابر / مقال – نسخة الكترونية .
- التعريف بالكتب الستة – صحيح مسلم / إسماعيل محمد رفعت (مقال) نسخة الكترونية .
- الحديث والمحدثون / محمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر .

- الحطة في ذكر الصحاح الستة،صديق حسن خان، تحقيق: علي الحلبي، دار الجيل،بيروت ط١/ ١٤٠٨ هـ .
- الرؤية للدار قطني، تحقيق: إبراهيم العلي – أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار – الأردن، ط١/ ١٤١١هـ .
- السنن، أبو داود السجستاني، تحقيق / عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث - بيروت ط ١/ ١٣٨٨هـ
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، د / محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة (ط ١) ١٤١٧هـ .
- المحرر في علوم القرآن د.مساعد الطيار،مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، ط٢/ ١٤٢٩ هـ، نسخة الكترونية .
- الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، نسخة الشاملة .
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت .
- بحوث في تاريخ السنة المشرفة / د. أكرم ضياء العمري، ط٤/ ١٤٠٥هـ.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تحفة الأحوذي، تحقيق: عبدالرحمن أحمد عثمان، مكتبة ابن تيمية.
- تفسير البحر المحيط، ابن حبان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط ٢/ ١٤٠٣هـ
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر

السعدي، مؤسسة الرسالة ط٩ / ١٤٢٨هـ-١٩٩٨م .

- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية - بيروت .
- دراسات في علوم القرآن / د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دار المتعلم – الزلفي،ط٨/ ١٤٢٠هـ .
- دفاع عن السنة، د. محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،للآلوسي،دار إحياء التراث العربي ط٤/ ١٤٠٥.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي،تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان ط١/ ١٤٠٥ هـ
- شرح صحيح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط٣).
- صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية) د.قاسم محمد يوسف غنام (مقال)نسخةالكترونية
- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير .
- صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .
- عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح: حمزة مليباري، نسخة الكترونية .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي،

تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، ط٢/ ١٣٨٨هـ .

- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، (ط١٤٠٤هـ)
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني، الدار السلفية – مصر .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي، نسخة الشاملة .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر – بيروت، ط ١٤٠٣هـ .
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، (ط٢) ١٣٨٨ هـ .
- مصادر التفسير / د.مساعد الطيار، مجلة البيان ع ٩٧ / ٢٠ (مقال).
- مصادر السنة ومناهج مصنفيها، د.حاتم الشريف، نسخة الكترونية .
- معالم التنزيل / محمد الحسين البغوي، تحقيق / خالد العك، دار المعرفة – بيروت،ط ٢/ ١٤٠٧هـ .
- معرفة علوم الحديث للحاكم، اعتنى به: د. معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢ / ١٣٩٧هـ
- مقدمة في أصول التفسير مع شرح وتعليق الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، صبحي رمضان، مكتبة السنة – القاهرة، ط١/ ١٤٢٣ هـ

- مكانة الصحيحين / د. خليل إبراهيم ملا خاطر، المطبعة العربية الحديثة – القاهرة، ط١/ ١٤٠٢هـ .
- مناهج المحدثين / سعد الحميد، نسخة الكترونية .
- منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها / أبو بكر كافي،دار ابن حزم، بيروت،ط١/ ١٤٢١ هـ.
- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

دلالات الوحي في القرآن الكريم
وأصول الشبه المثارة حوله

د. الزهراء بنت محمد بن عبد العزيز التويجري

د. الزهراء بنت محمد بن عبدالعزيز التويجري

- أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصلت على درجة الماجستير في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها: (تفسير ابن زيد - جمعاً ودراسة وتحقيقاً).
- حصلت على درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها:(أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية للأصفهاني من أول سورة الروم إلى آخر سورة (ص) دراسة وتحقيقاً).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي أوحى الله إليه آيات التنزيل فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2] وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..أما بعد:

فإن علم الوحي أحد العلوم المهمة في علوم القرآن الكريم ذلكم أن علمه وسيلة إلى معرفة مصدر القرآن الكريم وكيفية وصوله إلينا، وقد حاول المستشرقون وأصحاب الشبه الطعن في القرآن الكريم بإثارة الشبه من خلال مصدريته، وبعد اطلاعي على ما كتب في موضوع الوحي والدراسات حوله رأيت أن الحاجة لا زالت قائمة إلى دراسته دراسة متأنية من خلال القرآن الكريم نفسه وتوضيح معتقد أهل السنة والجماعة فيه فاخترت له العنوان التالي:

((دلالات الوحي في القرآن الكريم وأصول الشبه المثارة حوله))

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١).

(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٤) .

أهمية الموضوع:

يقصد بالوحي إعلام الله تعالى الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وبسرعة بملك أو بدون ملك، ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1].

والكتابة فيه من خلال القرآن الكريم تُبَيِّن لنا حقيقة الوحي ودلالاته الواردة في القرآن الكريم، ومصدرية القرآن الكريم والمطاعن التي أثارها المشركون بطريق مباشر أو غير مباشر، والتصدي لذلك يأتي امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

وبما نوه الله تعالى به نحو حفظه في مراحله الثلاث:

قبل نزوله: بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[4].

وقوله: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١).

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٤) سورة الواقعة الآيات (٧٧ - ٨٠).

(٥) سورة عبس الآيات (١٣ - ١٦).

وأثناء نزوله: بقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [1] وقوله: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [2].

وبعد نزوله: بقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [3].

الدراسات السابقة:

لقد تناول الباحثون والمؤلفون في علوم القرآن الكريم موضوع الوحي بالبحث والتأليف إما بالكتابة عنه ضمن موضوعات علوم القرآن الكريم التي كتبوا عنها، أو بإفراده بالكتابة على وجه الاستقلال، فالأول جاءت الكتابة به مختصرة وغير وافية بالمقصود، والأخير كتب فيه عدة كتب ومن ذلك:

١- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا .

٢- وحي الله، حقائق وخصائص في الكتاب والسنة، ونقض مزاعم المستشرقين، للدكتور / حسن ضياء الدين عتر .

٣- الوحي والقرآن الكريم، للدكتور / محمد حسين الذهبي .

وقد ركزت هذه الكتابات وغيرها على معنى الوحي العام والشبه التي أثارها المستشرقون حوله، بينما البحث الذي أكتب فيه ركزت في تناوله على القرآن نفسه ومعتقد أهل السنة والجماعة فيه .

---

(١) سورة الشعراء الآيتان (٢١٠، ٢١١) .

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٥).

(٣) سورة القيامة الآيات (١٦ - ١٩) .

الهدف من البحث:

١- الحديث عن الوحي وأنواعه ودلالاته في القرآن الكريم.

٢- بيان هيئات الوحي وآثاره على الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- خدمة كتاب الله عز وجل بدراسة مصدر القرآن الكريم، وأصول الشبه المثارة حوله والرد عليها.

٤- إثراء المكتبة القرآنية بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات حوله والهدف منه وخطته.

الفصل الأول: معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة.

المطلب الثاني: الوحي في الشرع.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي.

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف.

المبحث الثاني: اطلاقات الوحي في القرآن الكريم، وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان.

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان.

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة.

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة.

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء.

الوجه السابع: الموحى به.

الفصل الثاني: أنواع الوحي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وحي الله إلى الملائكة.

المبحث الثاني: وحي الله إلى رسله.

المبحث الثالث: وحي الملك إلى الرسول.

الفصل الثالث: وحي القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: أمين الوحي ووصف القرآن له.

المبحث الثاني: صفة نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نزول الملك به من الله عز وجل .

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ .

المطلب الثالث: تنزلات القرآن الكريم .

المطلب الرابع: نزول القرآن الكريم مفرقاً .

المبحث الثالث: هيئات الوحي على الرسول ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة في المنام .

منهج البحث:

طبيعة البحث دعت إلى أن أسير فيه - حسب المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

حيث استقريء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، واستنبط منهما ما يتعلق بدراستي، كما أستعين بكتب التفسير وعلوم القرآن وحديث العلماء والباحثين عموماً عن الوحي واستخلص منها ما يفيد ويؤصل دراستي.

وعن المنهج الإجرائي فيه فألخصه فيما يلي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها قدر الإمكان.

٣- توثيق النصوص والمسائل العلمية.

٤- توضيح الألفاظ الغريبة.

٥- التعريف بالأماكن والبلدان التي تحتاج إلى تعريف.

٦- وضع فهارس في نهاية البحث.

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد، وأن يجعل عملي نافعاً ومفيداً، وما كان منه من صواب فمن الله وفضله عليّ، وما كان منه غير ذلك فأستغفر الله وأتوب إليه من كل خطأ وزلل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،،،

الفصل الأول

معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم، وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة .

المطلب الثاني: الوحي في الشرع .

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي .

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف .

المبحث الثاني: اطلاقات الوحي في القرآن الكريم، وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان .

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان .

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء .

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة .

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة .

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء .

الوجه السابع: الموحى به .

الفصل الأول

معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف

المبحث الثاني اطلاقات الوحي في القرآن الكريم

المبحث الأول:
معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة.

المطلب الثاني: الوحي في الشرع.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف.

المطلب الأول: الـوحـي في الـلـغـة.

يطلق الوحي في اللغة على عدة معان هي:

١- الكتابة: من وحى يحي وحياً إذا كتب. فيقال: وحى في الحَجَر إذا كتب فيه وحياً. (١)

٢- الكلام الخفي: من وحى إليه بالكلام يحي به وحياً، وأوحى إليه بأن كلمه بكلام يخفيه عن غيره . (٢)

قال ابن فارس: ((الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في خفاء إلى غيرك)) . (٣)

وقال الزمخشري: أوحى إليه وأومى إليه بمعنىً، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحى الله إلى أنبيائه، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ . (٤)

٣- الإشارة: من وحيت إلى فلان أحي إليه وحياً إذا أشرت إليه . (٥)

٤- الصوت: يقال: سمعت وحاه، أي: صوته. (٦) والوحاة: صوت الرعد. قال النضر: سمعت وَحاةَ الرعد وهو صوته الممدود الخفي . (٧)

---

(١) انظر تهذيب اللغة مادة: ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٢) انظر لسان العرب مادة ((وحى)) ١٥/ ٣٧٩، ٣٨٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة ((وحى)) ٦/ ٩٣ .

(٤) سورة النحل الآية (٦٨)، وانظر: أساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٣٢٤ .

(٥) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٦) قاله ابن الأعرابي، انظر تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٧) انظر لسان العرب مادة ((وحى)) ١٥/ ٣٨١، وتاج العروس مادة ((وحى)) ٤٠/ ١٧٠ .

وقد أشار إلى هذه المعاني الأربعة الراغب الأصفهاني بقوله: ((أصل الوحي الإشارة السريعة، ولِتَضَمُّنِ السُّرْعَة قيل: أمرٌ وَحْيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة)) .[١]

ومنه قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٢] أي أشار إليهم ولم يتكلم .

٥- الرسالة: قال ابن فارس: ((والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى عِلْمه فهو وحي كيف كان)).[٣]

٦- البكاء: جاء في تهذيب اللغة: ((والإيحاء: البكاء، يقال: فلان يوحي أباه: أي يبكيه)).[٤]

٧- السرعة: يقال: توح في شأنك السرعة، أي أسرع .[٥]

٨- الإلهام: وحى إليه: ألهمه، والوحي أيضاً الرجل إذا كلم عبده بلا رسول .[٦]

وهذه الإطلاقات وإن اختلفت ألفاظها، وتعددت معانيها إلا أنها

(١) المفردات ص ٥١٥ .

(٢) سورة مريم الآية (١١).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة ((وحى)) ٦/ ٩٣ .

(٤) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٨ .

(٥) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٨ .

(٦) لسان العرب مادة (١٥/ ٣٨٠) .

تعود في الجملة إلى أن معنى الوحي في اللغة هو الإعلام في خفاء ويغلب عليه السرعة، كما نبه إلى ذلك الراغب في مفرداته، وابن الأثير في النهاية.[1]

(١) انظر النهاية لابن الأثير ٥/ ١٦٣ .

المطلب الثاني: الوحي في الشرع

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الوحي شرعاً ومَرَدُّ ذلك يعود إلى مفهوم الوحي واطلاقاته لدى كل منهم، فالوحي إذا أطلق إما أن يراد به المعنى المصدري أي: الإيحاء، وإما المعنى الحاصل بالمصدر، وإما اسم المفعول أي: الموحى به . [١]

ومن هنا جاءت عبارات العلماء مختلفة بحسب منحى كل منهم ومراده في إطلاقه . فإذا أطلق وأريد به المعنى المصدري يكون تعريفه: إعلام الله لنبي من أنبيائه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة .

وقد أشار إلى نحو هذا الطبري عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [٢] حيث قال في معناها: ((إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء)). [٣] ويقصد بذلك الإرسال الإلهي. وكذا الفخر الرازي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ ﴾ . [٤] حيث قال: ((وأما الإيحاء فقد ورد الكتاب به على معانٍ مختلفة يجمعها تعريف: الموحى إليه بأمر خفي من

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ٨٤ .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٣) جامع البيان ٦/ ٢٧ .

(٤) سورة آل عمران الآية (٤٤).

إشارة أو كتابة أو غيرهما... ثم قال: فلما كان الله تعالى سبحانه ألقى هذه الأشياء -يقصد أنباء الغيب- إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام بحيث يخفي ذلك على غيره سماه وحياً)). [١]

كما أشار إلى نحو منه ابن حجر العسقلاني بقوله: ((وشرعاً: الإعلام بالشرع)).[٢]

والقسطلاني بقوله: ((إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء إما بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام)). [٣]

وإذا أطلق وأريد به المعنى الحاصل بالمصدر يكون تعريفه: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله، بواسطة أو بغير واسطة .

وقد عرفه بهذا محمد عبده في كتابة "رسالة التوحيد"[٤] وقريب منه ما ذكره الطوسي في كتابه "التبيان في تفسير القرآن" حيث قال: ((الإيحاء: إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به الملك إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى فيلقيه إليه ويخصه به من غير أن يرى ذلك غيره من الخلق)) [٥]، وقد سار على هذا التعريف الزرقاني[٦]

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ٥٠ .

(٢) فتح الباري ١/ ٩ .

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/ ٦٨ .

(٤) رسالة التوحيد ٥٨ .

(٥) التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢ .

(٦) انظر: مناهل العرفان ٥٦ .

وعبد الله شحاته[١] وغيرهما، وجمع بين المعنى المصدري والمعنى الحاصل به د / حسن ضياء الدين عتر حيث قال: ((إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة، بملك أو بدون ملك)) . [٢]

وإذا أطلق وأريد به اسم المفعول أي: الموحى به يكون تعريفه: ما أنزله الله على أنبيائه، وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والأحكام، ومنهم من أعطاه كتاباً ومنهم من لم يعطه.

وقد أشار إلى هذا الراغب في مفرداته حيث قال: ((الوحي الكلمة الإلهية تلقى إلى نبي من أنبيائه وأوليائه، يقال: وحى، وذلك حسبما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾. [٣] [٤]

وكذا ابن حجر حيث قال: ((قد يطلق ويراد به اسم المفعول أي: الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم)). [٥] ومحمد حسين الذهبي حيث قال: ((هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه)) [٦]، ومحمد رشيد رضا حيث قال: ((ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب

(١) انظر: علوم القرآن والتفسير ١٤، ١٥ .

(٢) وحي الله ٩٠ .

(٣) سورة الشورى الآية (٥١).

(٤) مفردات غريب القرآن ٦٢، ٦٣ .

(٥) فتح الباري ١/ ٩ .

(٦) الوحي والقرآن الكريم ٧ .

والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتاباً أي: تشريعاً يكتب، ومنهم من لم يعطه)) [1]

ونخلص من ذلك إلى أن الوحي في الشرع له عدة تعريفات تنطلق من أصل مادة ((الوحي)) فهو إما من الإيحاء وهو إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أو ما يحصل من هذا الإيحاء من حالات يجدها الموحى إليه في نفسه، أو هو ذات ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب ونحوها .

(١) الوحي المحمدي ٣٨ .

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي

من خلال تعريف الوحي في اللغة والشرع نلحظ الصلة الوثيقة بين المعنيين حيث يجمع بينهما: الإعلام في خفاء وسرعة، كما أن بينهما خصوص وعموم، فالمعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي من حيث مصدره فهو من عند الله سبحانه وتعالى، ومن حيث الموحى إليه فهو نبي من أنبياء الله تعالى، ومن حيث صفته فهو التكليم الإلهي للأنبياء والرسل دون غيرهم .

وقد أشار إلى نحو هذا محمد حسين الذهبي بقوله: ((الوحي بالمعنى الشرعي لا يخرج عن نطاق المعنى اللغوي، والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص، فالوحي بالمعنى اللغوي عام يشمل كل إعلام في خفاء، والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلا ما كان من الله لنبي من أنبيائه)) . [1]

قلت: بل إن بعض المعرفين للوحي اعتمد المعنى اللغوي عند تعريفه للمعنى الشرعي كالفخر الرازي[2] والطوسي[3] وغيرهما، مما يدل على الصلة الوثيقة بينهما .

---

(١) الوحي والقرآن الكريم ٨ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٥٠ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢ .

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف

يكثر ورود الألفاظ الثلاثة ((الوحي والإلهام والكشف)) بين العلماء عند الحديث عن الوحي لما بينهما من اشتراك في الظاهر في معانيها، وعند التحقيق نجد أنها تتفق من جانب وتختلف من جوانب أخر، ولضبط ذلك لابد من معرفة المراد من كل لفظة فنقول:

الوحي: وأعني به المعنى المصدري من الإيحاء هو: إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه سواء بواسطة أم بغير واسطة على وجه الخفاء والسرعة وأمر بتبليغه لمن بعث إليهم .

أما الإلهام: فهو هيئة من هيئات الوحي ونوع من أنواعه أشبه بالخاطر والتنبيه والقذف في القلب أو في المنام، والنفث في الروع.(١)

قال ابن مسعود: ((إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب)). (٢)

ويجد فيه المُلْهَم اليقين بأنه من عند الله دون أن يكون بينه وبين الله

---

(١) انظر أمالي المرتضي الجبائي ٢٠٥

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ص ١٨٥ حديث رقم ١١٥١- ١١٥٢. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٤. وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٨٤. والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٣/ ٢٦٤ حديث رقم ٥٣٠٠ . قال ابن حجر رحمه الله: ((وحديث إن روح القدس نفث في روعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود)) فتح الباري ١/ ٢٧ وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر ١٩.

واسطة، وهو ليس خاصاً بالأنبياء حيث نجد في القرآن الكريم أن الله أوحى إلى أم موسى والحواريين وغيرهم .

ولهذا نجد أن بعض المفسرين فسروا الوحي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [١] بالإلهام، قال مجاهد في تفسيره لهذه الآية: ((نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً)). [٢]

وقال السدي أيضاً: ((إلا إلهاماً بخاطر أو في منام أو نحوه من معنى الكلام في خفاء)). [٣]

وقال الفخر الرازي: . ((إلا وحياً معناه: الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله إلى أم موسى وإبراهيم عليه السلام)) [٤]

وقال الزمخشري: - (إلا وحياً) وهو الإلهام والقذف بالقلب .[٥]

وجاء الإلهام في القرآن الكريم معبراً عنه بالوحي: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[٧]، أي: ألهمها، قال ابن قتيبة: ((والوحي: إلهام)) [٨] .

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٥٣ .

(٣) انظر التبيان للطوسي ٩/ ١٧٧ .

(٤) التفسير الكبير٢٧/ ٤٧٥ .

(٥) الكشاف ٣/ ٤٧٥ .

(٦) سورة النحل الآية (٦٨) .

(٧) سورة المائدة الآية (١١١) .

(٨) تأويل مشكل القرآن ٤٨٩ .

أما الكشف: فيكثر دوران هذه اللفظة عند الصوفية خاصة، ويعرفونه بأنه: ما يلقى في الروع بطريق الفيض . وتحصل المكاشفة للأولياء المجاهدين لأنفسهم عن طريق التقوى والمراقبة، ولهذا يقول أبو محمد الحريري – أحد أئمة الصوفية – ((من لم يعمل بينه وبين الله بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف)) [1] وقال أبو حامد الغزالي ((من الكشف ما يحصل في القلب بالمواظبة من غير تعلم)). [2]

وهو عندهم أنواع فمنه ما يكون بمكاشفة العيون بالأبصار ومكاشفة القلوب بالاتصال، ومنه ما يكون بكشف الحجب عن طريق الاستنارة وإدراك المعاني خاصة، ومنه ما يكون بالتمثيل والخيال .[3]

وقد عَدَّ الصوفية المكاشفة منفذاً للاطلاع على الغيب إذ تطلعهم على اسم الله الأعظم والمعراج الروحي.

ونخلص من هذا العرض إلى أنه يوجد فروق جوهرية بين هذه الألفاظ الثلاثة وإن كان الوحي والإلهام أكثر قرباً من بعض ونقول في الفرق بينها:

أولاً: إن الوحي مصدره من الله سبحانه وتعالى ويتلقاه نبي من أنبيائه، أما الإلهام: فهو هيئة من هيئات الوحي يكون للأنبياء وغيرهم وفي اليقظة والمنام، وهو ليس كلاماً على سبيل الإفصاح وإنما هو خاطر وتنبيه من معنى الكلام في خفاء .

---

(١) اللمع في التصوف ٣٤٦.

(٢) إحياء علوم الدين مجلد ٣، ٨/ ٤١ .

(٣) الوحي عند الصوفية (مقال في مجلة بين النهرين) العدد ٢٩ صـ ٢١٢ .

أما الكشف: فهو التخمين وعمل الذهن غير الشعوري، ويعد عند الصوفية من العلم الباطن .

ثانياً: إن الوحي يوقع في القلب علماً يقيناً لا يقبل التغيير والتبديل .

أما الكشف والإلهام: فهما أمران يقعان في النفس، وليس يقيناً بل يكثر فيهما الخطأ .

ثالثاً: إن الوحي يجب الأخذ به قطعاً، أما الإلهام والكشف: فهما وإن تكرر صدقهما فإنه لا يؤخذ بهما إلا بعد عرضهما على أدلة الشرع[(١)] .

---

(١) ينظر علوم القرآن لنور الدين عتر حاشية رقم (٣) ٢١، ٢٢ .

المبحث الثاني
اطلاقات الوحي في القرآن الكريم

وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان.

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان.

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة.

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة.

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء.

الوجه السابع: الموحى به.

جاء إطلاق الوحي في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان:

وهو ما يلقيه الله سبحانه وتعالى في روع الإنسان السليم الفطرة، ومن ذلك ما أوحاه الله تعالى إلى أم موسى بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[1] أي: ألهم الله أم موسى بعد ولادته أن ترضعه. قال قتادة: (وأوحينا إلى أم موسى) وحياً جاءها من الله فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة .[2]

وقال ابن كثير: ((فلما ضاقت ذرعاً به ألهمت في سرها وألقى في خُلْدِها، ونفث في رُوْعِها)). [3]

ومن ذلك أيضاً ما أوحاه الله إلى الحواريين بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4]، أي ألهمتهم وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي .

قال القرطبي: ((الوحي في هذه الآية بمعنى الإلهام، أي: ألهمتهم وقذفت في قلوبهم)) . [5]

---

(١) سورة القصص الآية (٧) .

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٢٢، أي: إن الله عز وجل ألهمها بأن تتصرف هذا التصرف، فهو وحي إلهام لا وحي نبوة.

(٤) سورة المائدة الآية (١١١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٦٣ .

وقال ابن كثير: ((المراد بهذا الوحي وحي إلهام . أي: ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا، قال الحسن البصري: ألهمهم الله عز وجل)) .[١]

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان:

وهو الإلهام بإلقاء المعنى في فهم الحيوان من طريق الغريزة[٢]،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[٣]

فالله عز وجل أوحى إليها بأن ألهمها هذا العمل فأظهرت كمال الطاعة وحسن الائتمار لأمر ربها. [٤]

قال مجاهد: ((ألهمها إلهاماً))[٥].

وقال الرازي: ((والمراد من الإلهام أنه تعالى قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر)) [٦]، وذكر القرطبي بأن الإلهام هو ما يخلقه الله في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر، وهو من قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[٧]، ثم قال: ((ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام)). [٨]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٢٤ .

(٢) انظر علوم القرآن لعبد الله شحاته ١٤ .

(٣) سورة النحل الآية (٦٨) .

(٤) انظر الضوء المنير على التفسير لابن القيم ٤/ ٤٥ نقلاً عن كتابه مفتاح السعاده ٢٤٨.

(٥) جامع البيان ١٤/ ١٣٩، وانظر كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد ٢٢٥.

(٦) التفسير الكبير ٢٠/ ٧١.

(٧) سورة الشمس الآية (٧، ٨) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٣٣ .

وقال ابن كثير: ((المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية: والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون)). [1]

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء:

وهي الإشارة التي تأتي من الإنسان بخفاء وسرعة، ومن ذلك ما جاء من وحي زكريا لقومه في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [2]،أي: أشار إلى قومه بأن سبحوا الله في أول النهار وآخره، وكان كلام زكريا مع الناس بالإشارة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[3].

قال ابن كثير في معنى الآية: «((فأوحى إليهم)) أي: أشار إشارة خفية سريعة، ونقل قول مجاهد وقتادة ووهب: فأوحى إليهم، أي: أشار»[4].

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة:

وهو وسوسة الشيطان وإسراره وتزيينه خواطر الشر للإنسان وورد هذا الوجه في قوله تعالى – حيث وصف ما يلقيه الشيطان بالوحي فقال سبحانه –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨١ .

(٢) سورة مريم الآية (١١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٤١) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٦ .

﴿بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[١]، أي: يوسوس بعضهم إلى بعض القول المزيَّن المزخرف، وأهل الباطل دائماً ما يصغون أسماعهم لما يوسوس به شياطين الإنس وشياطين الجن، ومآلهم الاقتناع بالقول المزين المغشوش. قال مالك ابن دينار: ((إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا)) [٢]، وقال الفخر الرازي في معنى الآية: ((فالمراد أن أولئك الشياطين يوسوس بعضهم بعضاً)) [٣]، وقال الألوسي: ((يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى الآخر)). [٤]

كما ورد أيضاً هذا الوجه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٥]، حيث رد الله تعالى في هذه الآية مجادلات المشركين في إباحة الميتات بأن شياطين الإنس والجن ليوسوسون إلى أوليائهم وأعوانهم ليجادلوا محمداً وأصحابه في أكل الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه .

قال الواحدي في معنى الآية: ((أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل وهو ما ذكر من أن المشركين جادلوا المؤمنين في

(١) سورة الأنعام الآية (١١٢) .

(٢) الوسيط للواحدي ٢/ ٣١٣ .

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٦٢ .

(٤) روح المعاني ٨/ ٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية (١٢١) .

الميتة)). [1] وقال القرطبي: ((أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل)). [2]

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة:

وقد جاء في القرآن الكريم التعبير عما يلقيه الله إلى الملائكة بالوحي. حيث ذكر سبحانه إيحاءه إلى الملائكة في قوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[3]، أي: يلقي الله الأمر إلى الملائكة أنه مع المؤمنين بالعون والنصر. قال الرازي: ((فيه وجهان: الأول: أن يكون المراد أنه تعالى أوحى إلى الملائكة بأنه تعالى معهم، أي مع الملائكة حال ما أرسلهم ردءاً للمسلمين.

والثاني: أن يكون المراد أنه تعالى أوحى إلى الملائكة أني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم. وهذا الثاني أولى، لأن المقصود من هذا الكلام إزالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار، وإنما الخائف هم المسلمون)). [4]

---

(١) الوسيط للواحدي ٢/ ٣١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٧٧.

(٣) سورة الأنفال الآية (١٢).

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٣٩.

ومثـل ذلـك أيـضاً قولـه تعـالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾[١]، والمقصود هنا أوحى الثاني أي: ما أوحاه الملك جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو ما تلقاه جبريل عليه السلام من الله عز وجل. قال الطبري: ((فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه)). [٢]

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء:

وهو إلقاء الله الوحي إلى أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم . وهذا الوجه يقوم على اتصال جبريل عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام .

وقد ورد في القرآن أن الله أوحى لعبده محمداً صلى الله عليه وسلم كما أوحى لمن قبله من الأنبياء والرسل وذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[٣]، أي: إن هؤلاء الأنبياء يشتركون بإلقاء الله الوحي عليهم .

قال ابن عطية: ((والوحي: إلقاء المعنى في خفاء وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام وذلك هو المراد بقوله ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ ﴾أي:

(١) سورة النجم الآية (١٠) .

(٢) جامع البيان ٢٧/ ٤٧ .

(٣) سورة النساء الآية (١٦٣) .

بملك ينزل من عند الله)). [1]

الوجه السابع: الموحى به:

وهو ذات الوحي المنزل من الله عز وجل إلى أنبيائه وكان ينزل به جبريل عليه السلام على الأنبياء، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2]، قال ابن عطية: ((والوحي إلقاء المعنى في خفاء، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله: ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ أي: بملك ينزل من عند الله))[3] .

وهذا الموحى به مصدره الله عز وجل، وليس لأحد من أنبيائه أن يبدله من تلقاء نفسه ومحض رأيه وخالص اجتهاده، يقول عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[4]، ويؤكد ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5] وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ﴾[6] .

كما أن المبلَّغ به مأمور باتباعه كما قال عز وجل: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣ .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٣) : المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣ .

(٤) : سورة يونس الآية (١٥) .

(٥) : سورة النجم الآية (٤) .

(٦) : سورة الأعراف الآية (٢٠٣) .

مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2] أي: كما أوحى الله إلى الأنبياء أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم قرأنا عربياً لينذر الناس به .

(١) : سورة الكهف الآية (٢٧) .

(٢) : سورة الشورى الآية (٧) .

الفصل الثاني

أنواع الوحي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وحي الله إلى الملائكة .

المبحث الثاني: وحي الله إلى رسله .

المبحث الثالث: وحي الملك إلى الرسول .

المبحث الأول

وحي الله إلى الملائكة

وأعني به الوحي الذي يلقيه الله عز وجل إلى ملائكته وهو على نوعين:

النوع الأول: وحي أمرهم الله بإبلاغه إلى أنبيائه، كتبليغ كلام الله إلى الأنبياء أو أي أمر منه عز وجل عن طريقهم كما حصل لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه في غزوة بدر كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1].

النوع الثاني: وحي خاص بهم بأن أمرهم الله بتنفيذه أو إعلام منه عز وجل لهم:

ويدخل في هذا الآيات التي جاءت بصيغة (القول) وتصريفاتها المضافة إلى الله سبحانه وموجهة إلى الملائكة ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

---

(١) سورة الأنفال الآية (١٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (٣٠) .

وَٱسْتَكْبَرَ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ ﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[4] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[5] .

وورد في عدد من الأحاديث النبوية صفة هذا الوحي، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير . . .))[6] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١١) .

(٣) سورة الحجر الآية (٢٨) .

(٤) سورة الإسراء الآية (٦١) .

(٥) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٨ في كتاب التفسير باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم) سبأ ٢٣،

=

وروى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، قال: فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا أتاهم جبريل فزع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل ما ذا قال ربك ؟ قال: يقول الحق، قال: فينادون الحق الحق))[1] .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفةٌ _ أو قال: رِعْدةٌ _ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير،قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل))[2] .

وأورده الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٩١، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٥٥٧ .

(١) رواه أبو داوود ٢/ ٥٣٦-٥٣٧، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٤٥، والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٢٠١، وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين الصحيحة ص ١٢٩٣، وأخرجه البخاري تعليقا وموقوفاً على ابن عباس ٨/ ١٩٤ .

(٢) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٣٤٨، والطبري في تفسيره ٢٢/ ٩١، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥١١ حديث رقم ٤٣٥، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وانظر تفسير ابن كثير ٦/ ٥١٦،وقال الألباني: (إسناده ضعيف) السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٢٧، وروى نحوه الطبراني عن النواس بن سمعان مرفوعاً .

المبحث الثاني
وحي الله إلى رسله

وأعني به وحي الله عز وجل إلى رسله مباشرة أي بدون واسطة الملائكة، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الوحي مناماً:

ويدل عليه حديث علقمة بن قيس صاحب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام، حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة))[١] .

وقد وقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٢]، ووقع أيضاً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أول ما بدء به الوحي وهو الرؤيا الصادقة كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح))[٣]، ولم تكن الرؤيا للرسول صلى

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٠ وقال رواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود .

(٢) سورة الصافات الآيات (١٠٢-١٠٥) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩، ١٤٠ .

الله عليه وسلم خاصة بالفترة الأولى من الوحي، بل وقعت بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(1) .

النوع الثاني: أن يكون الوحي تكليماً بين النبي وربه، ويكون من وراء حجاب، ودل على ذلك النوع الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾(2)، فإن الله عز وجل كلم أنبياءه مباشرة وبدون واسطة ولكن من وراء حجاب، ومن ذلك تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام حيث كلمه تكليماً بلا واسطة دون أن يراه، لكنه يسمعه ويدرك معناه مع يقينه بأنه كلام الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(3). وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(4)، وكلام الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين فرض الصلوات وضاعف الحسنات

(1) سورة الفتح الآية (٢٧) .

(2) سورة الشورى الآية (٥١) .

(3) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(4) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

الحسنة بعشر أمثالها، حيث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك: ((فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض خمسين صلاة في كل يوم وليلة)) ثم قال: ((فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهنَّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاةٍ عشرٌ فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة))[1] .

النوع الثالث: أن يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب نبيه مباشرة، مع خلق علم ضروري عند النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا المعنى قذفه الله قطعاً ولا يقبل الشك ولا التأويل[2]، ويدل عليه ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ((إن روح القدس نفث في رُوعي[3] أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب))[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٤٥، ١٤٦ في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات .

(٢) ينظر روح المعاني ٢٧/ ٥٠ .

(٣) الروع: بضم الراء القلب والخَلَدَ والخاطر وهو المراد هنا، وبالفتح الخوف والفزع .

(٤) الحديث سبق، وقد أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ص ١٨٥ حديث رقم (١١٥١ – ١١٥٢) والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٤، وابن عبدالبر في التمهيد ١/ ٢٨٤، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٣/ ٢٦٤ حديث رقم ٥٣٠٠ . قال ابن حجر: ((وحديث إن روح القدس نفث في رُوعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود)) فتح الباري ١/ ٢٧، وصححه =

وقد وحد مجاهد بين هذا القذف والإلهام فقوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ معناه: نفث ينفثه في قلبه فيكون إلهاماً، فكأنه يشير إلى أن العلم المتحصل من طريق هذا القذف هو الإلهام، والوسيلة له هو القذف في الروع[1] .

= الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر ص ١٩ .

(١) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٩/ ٣٧ .

المبحث الثالث

وحي الملك إلى الرسول

وهذا النوع من الوحي هو أن يرسل الله الملك إلى النبي فيلقي إليه ما أمره الله به كما يدل عليه النوع الثالث في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[١] فقوله: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ أي: يكون بإرسال ملك من الملائكة فيبلغ ما أمره الله بتبليغه إلى من شاء من عباده[٢] .

وهذا النوع هو أكثر أنواع الوحي ذكراً ووروداً في القرآن الكريم، وأغلبه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ ﴾[٦] .

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ص ١٠ .

(٣) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٤) .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٥) سورة الأنعام الآية (١٠٦) .

(٦) سورة الأعراف الآية (٢٠٣) .

وقد بينت السنة أن وحي الملك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بصورتين:

الصورة الأولى: أن يأتيه مثل صلصلة الجَرَس .

فعن هشام بن عروة عن أبيه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهاأن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجَرَس وهو أشده علي فيفْصِمُ عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) .

قالت عائشة رضي الله عنها: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً))[١] .

والصلصلة: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين[٢].

قال ابن حجر في تعليل قوله في الحديث ((هو أشده علي)): ((لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع وهي هنا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢، ٣ في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي . فيفصم: أي: يقلع . ليتفصد: أي: يسيل عرقه، والفصم القطع من غير إبانة إذ كان الوحي ينقطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليعود إليه، والقصم: القطع مع الإبانة .

(٢) انظر فتح الباري ١/ ١٩ .

إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني))[١] أي تغلب على السامع وهو النبي المرسل إليه الروحانية كما في قوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وهو أن يأتي جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وهو على صورته الملكية فيكلمه وهو يعي عنه ما يقول كما حدث ذلك في نزوله عليه أول مرة بقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[٢]،أو أن يتمثل جبريل عليه السلام بالبشرية لكن لا يعني تمثله أن ذاته التي خلقها الله عليه قد انقلبت بشرية بل هو تمثل بهذه الصورة فقط .

وقال ابن حجر أيضاً: ((والحق أن تمثل جبريل رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه))[٣].

وأوضح تلك الصورة البلقيني حيث قال: ((يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته، ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشاً فإنه بالنفش يحصل على صورة كبيرة وذاته لم تتغير، وهذا على سبيل التقريب))[٤] .

(١) فتح الباري ١/ ١٩ .
(٢) سورة العلق الآيات (١ – ٥) .
(٣) فتح الباري ١/ ٢٠ .
(٤) انظر قوله في فتح الباري ١/ ٢٠.

ويقوم هذا النوع على اتصال بين جبريل عليه السلام وهو ملك وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بشر .

وقد أشار بعض العلماء إلى كيفية هذا الاتصال مع هذا الاختلاف في الخلقة الملكية، والخلقة البشرية، حيث يستدعي الأمر المناسبة بين الطرفين حتى يزول التنافر، ويحصل التلاؤم الذي لا بد منه بين المتكلم والسامع .

وذلك بأن تغلب البشرية على الملك، أو تغلب الروحانية على البشر فَيُفهم كل منهما الآخر .

قال الزركشي: ((التنزيل له طريقان: أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل .

والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين))[1] .

الصورة الثانية: أن يأتي جبريل عليه السلام إلى الرسول في صورة رجل كدحية الكلبي، أو أعرابي فيكلمه كما يكلمه البشر .

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر عن أبيه قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: أخبرني عن

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢٩، وانظر الإتقان ١/ ١٥٦ النوع السادس عشر .

الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) قال: صدقت، قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان ؟، قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل))، قال: فأخبرني عن أماراتها ؟ قال: ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)). قال ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: ((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإنه جِبْرِيل، أتاكم يعلمكم دينكم))[١] .

وقد ذكر الحليمي في كتابه المنهاج في شعب الإيمان أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً[٢] .

وبعد النظر فيها نلحظ أنها تتحدث عن الأنواع والهيئات التي عليها حامل الوحي والموحى إليه .

قال ابن حجر: ((وغالبها من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر))[٣] .

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٦، ٣٧ في كتاب الإيمان .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٢٣٩-٢٥٥ .

(٣) فتح الباري ١/ ١٨ .

الفصل الثالث
وحي القرآن الكريم،
وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: أمين الوحي ووصف القرآن له.

المبحث الثاني: صفة نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ.

المبحث الثالث: هيئات الوحي على الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: مظاهر الوحي على الرسول ﷺ.

المبحث الخامس: حال الصحابة عند نزول الوحي.

المبحث السادس: قطعية الوحي ودلالاتها.

المبحث الأول

أمين الوحي ووصف القرآن له

أمين الوحي هو المَلَكُ جبريل عليه السلام الوسيط في نزول القرآن الكريم، وقد جاء ذكره باسمه ووصفه في القرآن الكريم في عدة مواضع:

١ - **جبريل**: حيث ورد التصريح باسمه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وجبريل اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة[٢]، وهو اسم مَلَكٍ عَلَمٌ له وهو الذي نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((إنما قوله جبريل كقوله عبدالله وعبدالرحمن)).

وقال الأعمش: ((جبر: عبد، وإيل: الله))[٣].

وقال عكرمة: ((جبر: عبد،إيل: الله. وميكا: عبد، إيل: الله))[٤].

والملائكة _ بما فيهم جبريل _ عليهم السلام خلقوا من نور كما قال رسول

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٧).

(٢) البحر المحيط ١/ ٥٠٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٨٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ١/ ٤٣٧.

الله صلى الله عليه وسلم: ((خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[١] ولهذا لا يستطيع أحد أن يراهم على صورتهم الحقيقية إلا الأنبياء عليهم السلام .

٢- **روح القدس**: وجاء هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[٣]،

قال قتادة والسدي والضحاك والربيع ((روح القدس: جبريل))[٤]،

قال ابن كثير: «والدليل على أن روح القدس هو جبريل ما قال البخاري عن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك)) وهذا من البخاري تعليق»[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ٤/ ٢٢٩٤ في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٨٧) .

(٤) جامع البيان ١/ ٤٠٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٢١، وقال محققه: ((وقال الحافظ ابن حجر في ((النكت الظراف)) لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري، وقد وصله أحمد والطبراني وصححه الحاكم)).

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3] .

قال الطبري: ((وإنما سمى الله تعالى جبريل روحاً،لأنه كان بتكوين الله روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك روحاً، وأضافه إلى القدس، والقدس: هو الطهر، كما سمى عيسى بن مريم روحاً لله من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده))[4].

وقال الرازي: ((وسُمي بذلك لأن المراد من روح القدس الروح المقدسة، فوصف جبريل بذلك تشريفاً له وبياناً لعلو مرتبته عند الله تعالى))[5]، وزاد بأن إضافة روح إلى القدس في الآية، لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب، وروحانيته أتم وأكمل من سائر الملائكة يعني أنهم جميعاً ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[6] فَخُصَّ دونهم جبريل بهذه الإضافة: ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ .

---

(١) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٢) سورة المائدة الآية (١١٠) .

(٣) سورة المعارج الآية (٤) .

(٤) جامع البيان ١/ ٤٠٥ .

(٥) تفسير الرازي ٣/ ١٩٠ .

(٦) سورة التحريم الآية (٦) .

ولعل وصف جبريل بالروح يعطي دلالة على سلامة القرآن الكريم من الزيادة والنقصان لعظمة الناقل وكونه مخلوقاً واحداً حياً لا يعروه شائبة كسل أو فوات .

٣- **رسول**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[١] فالمقصود به هنا جبريل عليه السلام، لأنه ذكر صفته بعد ذلك، فإضافة القول له إضافة تبليغ لا إنشاء، فهو رسول رب العالمين من الملائكة إلى رسول الله من البشر محمد صلى الله عليه وسلم فهو رسول إلى رسول، وفي ذلك دلالة على تمام وسائل اليقين في نقل القرآن الكريم، فالناقل رسول ملك وطبيعتهم الأمانة والإتقان قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

٤- **الكريم**: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٣]، والكريم: العزيز على الله تعالى[٤]، النفيس في نوعه[٥] .

قال ابن كثير: ((يعني أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: مَلَكٌ شريفٌ حَسَن الخَلْقِ، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام))[٦]،

(١) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٧) .

(٣) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٤) روح المعاني ٣٠/ ٥٩ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

(٦) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٨ وعزاه لابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم .

وفي وصفه بالكريم جمع لوصفه بكل المحامد، ونفي للمذام كلها[1] .

٥- **القوة**: كما في قول الله تعالى: ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾[2] أي ذو قوة على ما كلف من أمر غير عاجز عن أدائه[3]، وقوله سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[4] أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل[5] .

قال ابن عاشور: ((ويجوز أن يكون من القوة المجازية، وهي الثبات في أداء ما أرسل به كقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾، لأن المناسب للتعليم هو قوة النفس))[6] .

وفي هذا الوصف دلالة على قدرة جبريل عليه السلام في أداء ما كلف به من مهام وأنه غير عاجز، ويدخل في هذه القوة: قوة الحفظ، وقوة الوصول إلى الرسول، وتلطف المجيء عند من أرسل إليه، وقوة البدن اللازمة للوصول لمن أرسل إليه في الوقت المطلوب، وقوة تمنع الشياطين أن تدنو منه وتنال منه شيئا، وأن تزيد أو تنقص مما أرسل به .

٦- **عند ذي العرش**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي

---

(١) انظر البحر المحيط ١٠/ ٤١٨ .

(٢) سورة التكوير الآية (٢٠) .

(٣) انظر جامع البيان ٣٠/ ٨٠ .

(٤) سورة النجم الآيتان (٥، ٦) .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٨ .

(٦) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

﴿ قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾[1] أي: عند الله تعالى، فهو قريب منه سبحانه .

وفي هذا الوصف دلالة على علو شأنه ومنزلته العالية عند الله تعالى فهو قريب من الله عز وجل، ويتلقى منه مباشرة، ويؤدي ما تلقاه لمن أرسل إليه .

٧- **مكين**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[2] أي: له مكانته عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، فمكين فعيل من مَكُن إذا علت رتبته عند غيره، بمعنى أن له منزلة تفوق منزلة سائر الملائكة .

ومما يلفت نظر المتأمل أن قوله ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ توسط بين ﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ و ﴿ مَكِينٍ ﴾ مما يدل على أنه ذو قوة عند الله ومقدرة ومكانة تؤهله إلى أن يقوم بكل أمر عظيم يوكل إليه، مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير[3] .

٨- **ذو مرة**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[4]، فقد اتفق المفسرون على أن المراد به جبريل عليه السلام، والمِرَّة تطلق على الذات، وعلى متانة العقل وأصالته، وعلى الثبات فيما أرسل به .

قال مجاهد والحسن وابن زيد: « ((ذو مرة)) أي: ذو قوة».

---

(١) سورة التكوير الآيتان (١٩، ٢٠) .

(٢) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٣) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٦ .

(٤) سورة النجم الآية (٦) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ذو منظر حسن))[1]، وعلق ابن كثير على القولين بقوله «ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن، وقوة شديدة، وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّة سَوِي)) »[2] .

٩- **مطاع**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[3]، أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى تطيعه الملائكة .

قال قتادة: ((أي في السماوات يعني ليس هو من أفناء[4] الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنىً به انتخب لهذه الرسالة العظيمة))[5].

وفي هذا الوصف دلالة على أن الملائكة يصدرون عن أمره مؤتمرون بما يأمر به لأنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء .

١٠- **أمين**: كما في قوله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[7]، فجبريل هو الأمين، أمين عند الله على وحيه

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤، والحديث أخرجه أبو داوود في سننه ١/ ٥١٤ رقم الحديث ١٦٣٤، وابن ماجه في سننه ١/ ٥٨٩ رقم الحديث ١٨٣٩ .

(٣) سورة التكوير الآية (٢١) .

(٤) لعل المقصود أفراد .

(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٦) سورة التكوير الآية (٢١) .

(٧) سورة الشعراء الآية (١٩٣) .

ورسالته وغير ذلك مما ائتمنه عليه[١]، ووصفه بالأمانة وصف عظيم جداً حيث زكى الله عز وجل عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً صلى الله عليه وسلم[٢]، ومقتضى الأمانة حفظ ما عهده له الله به وأداؤه كاملاً دون نقص أو تغيير .

وبالجملة فهذه أبرز أوصاف أمين الوحي جبريل عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، وهي كما تدل على الثناء عليه بما هو أهله، فهي تدل أيضاً على صدق ما نزل به والاطمئنان له وتنويهاً بشأنه، فكمال القائل يدل على صدق القول، قال ابن القيم بعد أن ذكر صفات جبريل عليه السلام في سورة التكوير: ((فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن، وأنه سماع محمد من جبريل، وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علواً وجلالة: قول الله سبحانه بنفسه تزكيته)) .

ثم قال: ((هذا يدل على عظمة شأن المرسل، والرسول، والرسالة، والمرسَل إليه، حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده، المطاع في الملأ الأعلى، الأمين حق الأمين، فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف، ذوي الأقدار والرتب العالية))[٣] .

---

(١) انظر جامع البيان ٣٠/ ٨٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٣) بدائع التفسير ٥/ ١٣٥-١٣٦ .

المبحث الثاني

صفة نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نزول الملك به من الله عز وجل.

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ

المطلب الثالث: المطلب الثالث: تنزلات القرآن الكريم

المطلب الرابع: نزول القرآن الكريم مفرقاً

المطلب الأول: نزول الملك به من الله عز وجل

وردت آيات كثيرة تدل على نزول القرآن من الله عز وجل بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام .

وهذه الآيات وردت بعدة صيغ:

الأولى: التصريح بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[1].

قال ابن كثير: ((أي: القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين تقيم عليه به حجه الله))[2] .

الثانية: التصريح بأن القرآن الكريم من الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[3]،أي: من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور[4] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[5]،وقوله تعالى: ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١١٣ .

(٣) سورة هود الآية (١) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠٣ .

(٥) سورة النمل الآية (٦) .

(٦) سورة المائدة الآية (٦٧) .

الثالثة: التصريح بأن جبريل أخذه من الله عز وجل ونزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، قال ابن كثير: ((من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك))[2] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[4].

الرابعة: التصريح بأنه منزل من الله، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[5]، قال ابن كثير: ((أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين))[6] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٤١ .

(٣) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٥) سورة فصلت الآيتان (٤١، ٤٢) .

(٦) تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٣ .

(٧) سورة الحاقة الآية (٤٣).

إِلَيْهِمْ ﴾[1]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

الخامسة: التصريح بأنه أمر من الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾[3]، قال ابن كثير: ((يعني القرآن))[4] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[5]

السادسة: التصريح بشهادة الملائكة لنزول جبريل به،كما في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6]، قال ابن كثير: ((أي: يشهدون بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله له بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾))[7] .

السابعة: التصريح بأن نزول جبريل بالقرآن بأمر الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ ﴾[8].

و ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة النحل الآية (٤٤) .

(٢) سورة الفرقان الآية (٦) .

(٣) سورة الشورى الآية (٥٢) .

(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ٢١٧ .

(٥) سورة غافر الآية (١٥) .

(٦) سورة النساء الآية (١٦٦) .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٦ .

(٨) سورة مريم الآية (٦٤) .

((يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[١] قال: كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم))[٢] .

ومجموع هذه الآيات تدل على أن القرآن الكريم كلام الله أنزله بواسطة ملك الوحي (جبريل عليه السلام) على محمد صلى الله عليه وسلم في حال اليقظة، وأنه لم ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مناماً أو إلهاماً أو تكليماً من الله بغير واسطة .

وأن نزول جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم توقيفي فليس له من أمر القرآن الكريم إلا النقل، فنزوله كان بأمر الله كما هو صريح قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، أي: الله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسول محض[٤] .

أما قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٥] فمعناه: لقوله المبلِّغ له عن الله عز وجل فذكر ((رسول)) يدل على أنه يبلغ شيئاً أرسل به فنسبته

---

(١) سورة مريم الآية (٦٤) .

(٢) صحيح البخاري ٦: ٤٧١٣، أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٨٨ في كتاب التوحيد باب (ولقد سبقت لكلمتنا لعبادنا المرسلين)، و ٥/ ١٨٨ في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وما نتنزل إلا بأمر ربك) .

(٣) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢ .

(٥) سورة التكوير الآية (١٩) .

إليه نسبة تبليغ لا نسبة إنشاء، فالكلام إذن كلام الله سبحانه وتعالى ألفاظه ومعانيه، وجبريل عليه السلام مبلغ عن الله وبهذا الاعتبار نسب القول له[1]، قال ابن عاشور: ((وفي التعبير بوصف ((رسول)) إيماء إلى أن القول الذي يبلغه هو رسالة من الله مأمور بإبلاغها كما هي))[2] .

(١) انظر: أضواء البيان ٧/ ٧٠٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ

ورد في القرآن الكريم أن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موضعه قلب النبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[2] .

فالقرآن نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فتلاه عليه، ووعاه قلبه منه، ورسخ في عقله رسوخاً كالنقش في الحجر، وسمعته أذناه بدليل تحريك لسانه بعد الملك، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[3] .

وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف[4]، فثبت الذي نزل في قلب النبي صلى الله عليه وسلم حفظاً حتى أداه إلى أمته، قال الفخر الرازي: «(على قلبك) أي: فَهَّمَك إياه، وأَثْبَتَه في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[5] »[6] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٣) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٤) انظر المحرر الوجيز ١: ٤٠٨ .

(٥) سورة الأعلى الآية (٦) .

(٦) تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٦٥، وانظر الكشاف ٤: ٤١٤ .

وفرَّق الزمخشري بين نزول القرآن على السمع أو القلب، فبيَّن أن النزول على القلب يحصل فيه الفهم والحفظ، أما النزول على السمع فقد يكون نزولاً بدون فهم، ولهذا جاء التعبير في القلب لتحقيق الأمرين الفهم والحفظ فقال: ((إن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك، لأنك تفهمه ويفهمه قومك، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات، فإذا كلم بلغته التي لقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كُلِّم بغير تلك اللغة، وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين))[(١)] .

وذكر الآلوسي أن المراد بالقلب: إما الروح وكون الإنزال عليه، لأنه المدرك والمكلف دون الجسد .

وإما العضو المخصوص، وبَيَّن أن تخصيصه بالإنزال عليه للإشارة إلى كمال تعقله صلى الله عليه وسلم وفهمه ذلك المنزل، وقيل للإشارة إلى صلاح قلبه عليه الصلاة والسلام وتقدسه، حيث كان مَنْزِلاً لكلامه تعالى ليعلم منه حال سائر أجزائه صلى الله عليه وسلم فإن القلب رئيس جميع الأعضاء وملكها، ومتى صلح الملك صلحت الرعية، وفي الحديث: ((ألا

(١) الكشاف ٤: ٤١٥ .

وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[١] .

فائدة التعبير بالقلب:

إن تعبير الآيتين بنزول القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن القرآن محفوظ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم متمكن منه، وثابت في وعيه، لأن القلب موضع التمييز ومركز الحواس الروحية، ومحل الإدراك والوعي كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[٢]، وتنديده تعالى بأن قلوب الكفار مغلقة بقوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٤] .

كما أن في ذلك إشارة إلى معجزة كبرى وهي حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن، لأن جبريل إنما يقرؤه عليه عند نزوله مرة واحدة فينتقش في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون المنزل في الدفعة الواحدة طويلاً كسورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة، كما قد يتباعد وقت

(١) انظر روح المعاني ١٩: ١٢٠، ١٢١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩ في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه .

(٢) سورة ق الآية (٣٧) .

(٣) سورة محمد الآية (٢٤) .

(٤) سورة الحج الآية (٤٦)، وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٦٦، ١٦٧، والتفسير المنير ١٩: ٢٢٢ .

النزول بين آية والتي تليها في ترتيب المصحف إلى عشر سنوات فأكثر ومع ذلك لا يضيع منه شيء ولا يختلط عليه ترتيبه وهو الأمي صلى الله عليه وسلم، مع أنه أشد تفلتا من صدور الرجال من الإبل المُعَقَّلة[1] .

فائدة التعبير بالكاف في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾:

عبر في الآية بالكاف دون الياء لفوائد عدة ذكرها المفسرون أذكر منها ما يلي:

١ - لعظمته ورفعة منزلته صلى الله عليه وسلم.

٢ - الإيماء إلى حفظ المنزل بلفظه ومعناه.

٣ - التأكيد على أن القرآن الكريم من الله عز وجل، فلو قال: على قلبي، لقيل هذه دعوى لم يبينها لنا ربك ولم يقلها.

٤ - تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وطمأنة له من أن تزعزعه كثرة تشكيكات أهل الكتاب، فكأن الخطاب من الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم قصداً له، لا لخصومه من أهل الكتاب، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) تهذيب التفسير وتجريد التأويل ١: ٢٥٥، وانظر البحر المحيط ٨: ١٨٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

(٣) سورة هود الآية (١٢٠)، وانظر تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم ٨٨، ١٤٥ .

فائدة التعبير بالحرف ﴿ عَلَىٰ ﴾ في قوله: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾:

أفاد التعبير بـ: ﴿ عَلَىٰ ﴾ عدة معان منها:

١ - الدلالة على أن القرآن الكريم مستعل على القلب، إذ القلب سامع له ومطيع، يمتثل ما أمر به ويجتنب ما نهى عنه[١].

٢ - تمكن هذا المنزل وانصبابه ورسوخه واستقراره على مكان نزوله، فإن الشيء إذا صب من أعلى إلى أسفل رسخ وثبت[٢].

٣ - دلالة ﴿ عَلَىٰ ﴾ على أن الإنزال يكون من أعلى إلى أدنى كما قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾[٣].

---

(١) انظر البحر المحيط ١ / ٥١٣ .

(٢) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٦٤، والتحرير والتنوير ١٩ / ١٨٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية (٨٤) .

المطلب الثالث: تنزلات القرآن الكريم

اختلف العلماء في تنزلات القرآن الكريم على أقوال عدة يمكن إجمالها في الآتي:

القول الأول: أن للقرآن تنزلين:

نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر الليلة المباركة في شهر رمضان المبارك .

ونزوله مفرقاً على الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة .

وممن قال بذلك ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الزركشي في البرهان قائلاً: ((والقول الأول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون))[1] .

ووصفه ابن حجر بأنه الصحيح المعتمد[2] . وقال عنه السيوطي: ((وهو الأصح الأشهر))[3] .

وقال القرطبي: ((لا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوُضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل صلى الله عليه وسلم ينزل به نجماً نجما في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة))[4] .

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٢٨ .

(٢) فتح الباري ٩/ ٣ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٩٧ .

وذكر السيوطي في رسالته ((جواب السيوطي في حق الوحي)) جملة من الأقوال يدل ثالثها على أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ حيث قال: ((وحاصل ما في ذلك أقوال: أحدها أنه ألهمه، والثاني: أنه سمعه من الله، والثالث: أنه حفظه من اللوح المحفوظ))[1] .

أدلة أصحاب هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[4] .

فدل ظاهر هذه الآيات الثلاث أن القرآن الكريم أنزل جملة في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة من شهر رمضان .

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[5]، قال: ((أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض))[6] .

(١) جواب السيوطي في حق الوحي ص ١٣٥ (مخطوط) .

(٢) سورة القدر الآية (١) .

(٣) سورة الدخان الآية (٣) .

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٥) سورة القدر الآية (١) .

(٦) رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٢٢، وقال عنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٣٠٦ .

وما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: حدثنا يزيد _ يعني ابن هارون _ عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزِل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة وقرأ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1]، قال أبو عبيد: ((ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ مشددة أم لا ؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد ﴿ فَرَّقْناه ﴾))[2] .

وما رواه داوود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه))[3] .

وما رواه سعيد بن جبير قال: ((نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة جواب كلام الناس))[4] .

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٦٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢ و ٢/ ٣٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير في فضائل القرآن ص ٣٦ عن أبي عبيد ثم قال: هذا إسناد صحيح .

(٣) أخرجه النسائي في فضائل القرآن ص ٥٩ . والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣٦٨ . والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٢٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣

القول الثاني:

أن للقرآن نزولاً واحداً على وجه التنجيم والتفريق وابتدأ بالنزول ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان .

وممن قال بذلك:

الشعبي[١]، ومحمد بن إسحاق[٢]، والنسفي[٣] .

ومن المتأخرين: القاسمي[٤]، ومحمد عبده[٥]، ومحمد رشيد رضا[٦]،

---

(١) انظر الكشاف ٦/ ٤٠٩، النكت والعيون للماوردي ٦/ ٣١٢، البرهان للزركشي ١/ ٢٢٩، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٨ .

وقد ذكر السخاوي في جمال القراء (١/ ٢٠) أن الشعبي من القائلين بالقول الأول مع ابن عباس وابن جبير بدليل ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ قال: ((بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا)) . انظر تفسير الطبري ٢/ ١٤٥، ٣٠/ ٢٥٨ .

ولكن هذا القول غير دقيق حيث ورد عنه أنه قال في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ قال: ((نزل أول القرآن في ليلة القدر)) . انظر تفسير الطبري ٣٠/ ٢٥٨، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/ ٥١٩ .

وقال ابن حجر: ((والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة . كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي قتيبة بإسناد صحيح)) فتح الباري ٩/ ٥ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ٣/ ٩١ .

(٣) تفسير النسفي ١/ ١١٨ .

(٤) محاسن التأويل ٢/ ٢٤٥ .

(٥) تفسير جزء عم ص ١٢٢، والمدخل لأبي شهبة ص ٥٢ .

(٦) تفسير المنار ٢/ ١٣١ .

والطاهر ابن عاشور[1]، وصبحي الصالح[2] وعبدالقادر شيبة الحمد[3] .

أدلة أصحاب هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[4]، فهذه الآية تدل دلالة صريحة على نزول القرآن الكريم مفرقاً.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[7]، فهي تدل على أنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان .

والصحابة رضوان الله عليهم حينما خوطبوا بهذه الآيات لا يعلمون من نزول القرآن إلا ما ألفوه بينهم من نزوله منجماً مفرقاً في المدد المتطاولة، والأزمنة المختلفة، وليس جملة واحدة في ليلة واحدة من شهر واحد كما

---

(١) التحرير والتنوير ٢/ ١٧٢، ٣٠/ ٤٥٦ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ٥١ .

(٣) تهذيب التفسير وتجريد التأويل ١/ ٤٠٩ -٤١١ .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٥) سورة القدر الآية (١) .

(٦) سورة الدخان الآية (٣) .

(٧) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

زعم ذلك أصحاب القول الأول .

٣- الأدلة المتوافرة من القرآن الكريم على أنه منزل من الله تعالى ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٥] .

و(من) في هذه الآيات لابتداء الغاية، فنزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء من الله عز وجل وليس من اللوح المحفوظ.

٤- الآيات الدالة على أن الله متكلم حقيقة كقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[٧]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام الآية (١١٤) .

(٢) سورة غافر الآيات (١-٣) .

(٣) سورة فصلت الآيتان (١، ٢) .

(٤) سورة السجدة الآيتان (١، ٢) .

(٥) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٦) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٧) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[(١)] يعني القرآن، فهذه تدل على نسبة القرآن وغيره من كلام الله إليه نسبة قول وكلام له تعالى، وبهذا يتضح أن ابتداء القرآن من رب العالمين قولاً، ولم يبق أي لبس في أن القرآن سمعه جبريل من رب العالمين، كما سمع موسى عليه السلام الكلام من الله تعالى حقيقة[(٢)] .

٥- حديث النواس بن سمعان أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة أو قال رِعْدة شديدة خوف أمر الله، فإذا سمع أهل السماوات صُعِقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ؟ ماذا قال ربنا يا جبرائيل ؟ فيقول جبرائيل، قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله)) [(٣)]، وما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم

---

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) انظر الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم ٢، ٣ .

(٣) الحديث أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٢/ ٩١، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٦/ ٥١٦، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٥٠٠ رقم ٤٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٠٣، والطبراني في مسند الشاميين ١/ ٣٣٦ رقم ٥٩١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٤، ٩٥ وقال عنه: ((رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات))، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٩٨ .

بألفاظه وترتيبه الذي بين أيدينا بين دفتي المصحف الشريف، وليس لأحد أيا كان تدخل في ألفاظه أو ترتيبه لا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا جبريل عليه السلام .

إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم أخذه سماعاً من جبريل عليه السلام وجبريل سماعاً من الله عز وجل كما سبق ذكره وبيانه .

القول الثالث:

أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، ينزل الله في كل ليلة منها ما يُقَدِّر إنزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً مدة بعثته عليه السلام .

وممن قال به ابن جريج[1]، وأبو عبيد الله الحسن بن الحسين الحليمي[2]، ومقاتل بن حيان[3]، وبنحوه قال مقاتل بن سليمان[4] .

القول الرابع:

أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٤٤٧، الدر المنثور ١/ ٥٦٣ .

(٢) قاله في المنهاج ذكره أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٩، والزركشي في البرهان ١/ ٢٢٩

(٣) انظر الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٨، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ١/ ١٥٢، ١٥٣ .

(٤) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٩٧، ٣/ ٥٠٣، وانظر هذا القول في نزول القرآن الكريم ٢٥ .

وسلم في عشرين سنة .

وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما _ حكاها عنه الماوردي _ حيث قال: ((نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام))[1] .

القول الخامس:

أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فحفظه جبريل عليه السلام وأملاه على السفرة .

وهذا القول نقله أبو شامة في المرشد الوجيز عن تفسير سهل النيسابوري عن جماعة من العلماء أن جبريل هو من أملاه على السفرة . قال: ((قال جماعة من العلماء: تنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت، يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل عليه السلام، وغُشِيَ على أهل السماء من هيبة كلام الله فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا: ((ماذا قال ربكم قالوا الحق)) يعني القرآن وهو معنى قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾[2] فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه جبريل على السفرة الكتبة . يعني الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ

---

(١) تفسير الماوردي ٦/ ٣١١ .

(٢) سورة سبأ الآية (٢٣) .

﴿١٦﴾))[١] [٢] .

وإلى هذا المعنى ذهب السخاوي في جمال القراء حينما تحدث عن حكمة إنزاله جملة فقال: ((وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم السلام، وإنساخهم إياه وتلاوتهم له))[٣] .

وذهب بعض الباحثين إلى أن القرآن الكريم شمل جميع التنزلات المذكورة في الأقوال السابقة بمعنى أنه نزل إلى اللوح المحفوظ جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤]، ثم تنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة . كما دلت على ذلك الآيات السابقة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام منجماً .

وعلل من قال ذلك بأن تعدد التنزلات تدل على عظم من نزل عليه وإلهاباً للشوق إليه، ومبالغة في نفي الشك عنه حيث سجل في سجلات متعددة[٥] .

---

(١) سورة عبس الآيتان (١٥، ١٦) .

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٣)، وانظر تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠ .

(٣) جمال القراء للسخاوي ١/ ٢٠ .

(٤) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٥) انظر الوحي والقرآن ٣٥، وما بعدها .

التوجيه بين الأقوال:

بعد النظر والتأمل في الأقوال السابقة لحظت أنها تكاد تنحصر في الأول والثاني أما بقية الأقوال فبينها تشابه وتقارب وترجع إلى الأول منها . والأول من الأقوال حضي بالشهرة بين العلماء والباحثين .

والقول الثاني القائل: بأن للقرآن نزولاً واحداً وهو النزول المنجم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان، له وجاهته واعتباره حيث تعضده الأدلة الصريحة الدالة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]، وأن القرآن منزل من عند الله كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[4]، وأن جبريل أخذه من الله سماعاً بلا واسطة وتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[5]

(١) سورة التوبة الآية (٦) .
(٢) سورة الأنعام الآية (١١٤) .
(٣) سورة غافر الآيتان (١، ٢) .
(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .
(٥) سورة النحل الآية (١٠٢) .

بياناً لنزول جبريل به من الله عز وجل، وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[١].

وقالوا بأن الأقوال الأخرى: يترتب على الأخذ بها أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أو من الملائكة، وأنه لم يسمعه من الله عز وجل، وأن القرآن نزل من مخلوق لا من الله .

قال البيهقي: ((وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ يريد به _ والله أعلم _ إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع فيكون الملك متنقلاً من علو إلى سفل))[٢] .

وقال ابن تيمية: ((فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه))، ثم قال: ((فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك))[٣] .

وقد رد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم على جلال الدين السيوطي الذي ذكر جملة أقوال في كيفية إنزال القرآن الكريم من غير رد لها ولا إنكار قائلاً: ((وهذه المقالة اغتر بها كثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٩٣) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٣٦٢ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/ ١٢٦ .

رحمه الله مع طول باعه، وسعة إطلاعه، وكثرة مؤلفاته، ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة . وهذه المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم، وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة . . . ثم قال: والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول خلقه في اللوح المحفوظ وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول خلقه في جبريل، ومنهم من يقول خلقه في محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من أقوالهم)) .

وقال أيضاً: ((فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وإن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم))[(١)] .

وقد أجاب عن دليل أصحاب القول الثالث ابن حجر بقوله: ((وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضاً))[(٢)] .

كما رد ابن العربي في أحكام القرآن على أصحاب القول الرابع حيث قال: ((ومن جهلة المفسرين أنهم قالوا إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد، عليهما السلام في عشرين سنة وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله

---

(١) الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للشيخ محمد بن إبراهيم ص ٢، ٣ .

(٢) فتح الباري ٩/ ٣، وذكره عنه القسطلاني في لطائف الإشارات ١/ ٢٢ .

عليهما واسطة))[١] .

وقد أشار إلى رده القرطبي في تفسيره[٢] .

وقد يقول قائل بأنه ورد آيات تدل على وجود القرآن الكريم في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤]، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٥] .

وقوله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾[٦] .

فيقال له: إن هذا لا يمنع من القول بأن القرآن الكريم موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه فوجود القرآن في اللوح المحفوظ ليس خاصاً به، فاللوح المحفوظ يشمل كل ما علمه الله تعالى وقدره . قال الإمام البيهقي: ((إن الله تعالى نفى عن كلامه الحدث بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦١ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٠ .

(٣) سورة الزخرف الآية (٤) .

(٤) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٥) سورة الواقعة الآيات (٧٧ – ٧٩) .

(٦) سورة عبس الآيات (١١ – ١٦) .

﴿ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] فأخبر أنه موجود مكتوب قبل الحاجة إليه في أم الكتاب. وقوله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] فأخبر أن القرآن كان في اللوح المحفوظ، يريد مكتوباً فيه، وذلك قبل الحاجة إليه، وفيه ما فيه من الأمر والنهي والوعد، والوعيد، والخبر، والاستخبار، وإذا ثبت أنه كان موجوداً قبل الحاجة إليه ثبت أنه لم يزل كذلك))[3].

(١) سورة الزخرف الآية (٤) .

(٢) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٣) الأسماء والصفات ١/ ٣٦١، ٣٦٢ .

المطلب الرابع: نزول القرآن الكريم مفرقاً

تفرد القرآن الكريم بنزوله على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقاً،في مدة استمرت منذ بعثته صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، قدرت بثلاث وعشرين سنة على القول المشهور، وهي المدة التي تفصل بين أول ما نزل وآخر ما نزل .

وكانت الكتب السماوية السابقة نزلت على الأنبياء السابقين جملة واحدة، قال الرازي: ((فما وصل إلينا من ذكر شرائع من سبق من الأنبياء مستفاداً من القرآن الكريم والأخبار يصور لنا بما لا يقبل الشك والجدل أن كلاً منها نزلت على صاحبها وحدة متكاملة في وقت واحد، وأحياناً في موقف واحد، وهذا الحال ينطبق على شريعة نوح التي عبر عنها القرآن الكريم بما وصى به، وكذلك على ما كان من شرائع إبراهيم المعبر عنها بالكتاب والصحف، وشريعة موسى النازلة دفعة واحدة، وعبر عنها بالتوراة والألواح والكتاب والنازلة دفعة واحدة في موقف التكليم على طور سيناء، كما ينطبق على شريعة عيسى المعبر عنها بالإنجيل، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[1] [2] .

---

(١) سورة الشورى الآية (١٣) .

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٨ .

وسأتناول هذا المطلب من خلال العنصرين التاليين:

١- أدلة نزوله مفرقاً .

٢- حكمة نزوله مفرقاً .

١- أدلة نزول القرآن الكريم مفرقاً:

نزل القرآن الكريم مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على القول المشهور.

ومن الأدلة على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[١]، أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقاً، لتقرأه على الناس على مهل، ليتدبروه، ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه، ونزلناه شيئاً فشيئاً، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة[٢]، لما في ذلك من المصلحة، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا .

٢- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[٣]، حيث رد الله سبحانه وتعالى على الكفار الذين شككوا في كون القرآن الكريم صادر عن الله عز وجل بسبب نزوله مفرقاً وأثبت أنه سبحانه نزله على نبيه بحال تختلف عن سابقيه من الأنبياء الذين نزلت عليهم كتبهم جملة،

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٢) انظر تفسير السعدي ص ٤١٩، فتح القدير ٣/ ٢٦٤ .

(٣) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

وهـذه الحـال هـي نزولـه مفرقـاً، ثـم علـل ذلـك بإنـه كـذلك أنزلنـاه على هذه الهيئة لنثبت به فؤادك .

٣- وقـــال تعـــالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، أي: عند تلقيك يا محمد القرآن الكريم على هـذه الهيئـة وهـي النزول مفرقاً لا تتعجل بأخذه فـإن الله يتعهـد لـك بجمعـه في صـدرك وحفظه في لسانك .

٤- ومما يدل أيضاً على نزوله مفرقاً ما ورد عنه صلى الله عليه وسـلم إن أول مـــا نـــزل مـــن القـــرآن قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[2]، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالـت: ((أول مـا بـديء بـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم الرؤيـا الـصالحة، فجاءه الملك، فقـال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾[3] [4] .

ثم نزلت سورة المدثر، ثـم تتـابع الـوحي عـلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، يدلنا على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: وهو

---

(١) سورة القيامة الآيتان (١٦، ١٧) .

(٢) سورة العلق الآيات (١ – ٥) .

(٣) سورة العلق الآيات (١ – ٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٩، في كتاب: التفسير، باب: سورة (أقرأ باسـم ربـك الذي خلق) .

يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: ((بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾[(١)] فحمي الوحي وتتابع))[(٢)] .

٥- نزول آيات من القرآن الكريم في مناسبات وأسباب مختلفة، سواء كانت بسبب حوادث حدثت أو وقائع وقعت فنزل القرآن متحدثاً عنها، أو أسئلة وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات متفاوتة فنزل القرآن مجيباً عليها .

ومن أمثلة الحوادث: حادثة اللعان، والظهار، والإفك، ونحوها .

ومن الوقائع: وقعة بدر، وأحد، وحنين، والأحزاب، وغيرها .

ومن الأسئلة: السؤال عن الخمر، وعن الروح، وعن النفقة، وغيرها.

٢- حكمة نزول القرآن الكريم مفرقاً:

تناول المؤلفون في علوم القرآن الحكمة من نزوله مفرقاً فذكروا جملة من الحكم المتعددة، والمنافع المتنوعة، والأسرار في هذا التنزيل المفرق .

(١) سورة المدثر الآيات (١ - ٥) .

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤ في كتاب: بدء الوحي، باب كيف كان بَدْءُ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جمعوا فيها بين الحكم والفوائد، لذا رأيت أن أجعلها على قسمين:

الأول: حِكَم نزول القرآن مفرقاً .

الثاني: فوائد نزول القرآن مفرقاً

الأول: حِكَم نزول القرآن الكريم مفرقاً:

لقد جاءت الحكم من نزول القرآن الكريم صراحة في آيتين، ولذا سأقتصر عليهما، وما عداهما فهي أقرب إلى أن تكون فوائد استنبطت من هذه الكيفية في التنزيل .

١ - تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[١]، حيث أشارت إلى أن عدم إنزال القرآن الكريم جملة واحدة، وأن إنزاله مفرقاً لتثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم ليتجدد سروره، عند تجدد الاتصال بالملأ الأعلى فيُسَرُّ النبي صلى الله عليه وسلم وينشرح صدره لما يلقاه من العداء الشديد من قومه وإيذائهم له في بداية دعوته، وإعراضهم عن قبولها، فعند نزول الوحي يشعر بعناية الله به، واستمرار تأييده له أمام تكذيب خصومه له ولأتباعه .

ومن ذلك ما حدث من أبي جهل من تهديد للنبي صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الصلاة عند الكعبة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال

(١) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

أبو جهل: (لئن رأيتُ محمداً يُصلي عند الكعبة لأطأنَّ على عنقه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو فَعَلهُ لأخذته الملائكة»)[1].

وذكر المفسرون أن الله أنزل فيه قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾[2].

وحين يفتر الوحي يشق ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فيتلهف على مجيء الوحي، ثم ينزل الوحي بعد طول فترة فيُسر رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي الذي قد تأخر عليه فيزيل كل أثر حزن ألمَّ به .

ويروي لنا الإمام البخاري بسنده عن الأسود بن قيس، وفيه تصوير لحالة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء فترة الوحي فعنه قال: «سمعت جندب بن سليمان رضي الله عنه قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قَرِبَك منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾» [3]، فثبت الله بذلك فؤاده، وتجدد سروره، وتنشط لحمل الرسالة .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٩ في كتاب التفسير، باب: سورة (أقرأ باسم ربك الأعلى . . .) .

(٢) سورة العلق الآيات (٩-١٩)، وانظر جامع البيان ٣٠/ ٢٥٣، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٣٨ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٦ في كتاب: التفسير: باب سورة والضحى.

وكان إذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفا عما يلقاه، إذ كان عليه السلام يحزن ويتحسر على عدم إيمان قومه به وصدودهم عن دعوته، كما قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2] .

فإذا أشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفاً عما يلقاه، وكانت التسلية بعدة أمور منها:

- عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾[5]، وكما قال عز وجل مبينا الحكمة من ذكر قصص الأنبياء: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] .

(١) سورة الكهف الآية (٦)، وباخع نفسك: أي قاتلها هما وحزنا .

(٢) سورة الأنعام الآية (٣٣) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٣٤) .

(٤) سورة الأحقاف الآية (٣٥) .

(٥) سورة الطور الآية (٤٨) .

(٦) سورة هود الآية (١٢٠) .

- عن طريق الوعد بالنصر والتأييد للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣) ﴾[2].
- عن طريق إخبار الرسول باندحار أعدائه وانهزامهم كما قال: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[4].

إذن فتكرر نزول جبريل، وتجدد نزول الوحي فيه تثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وفيه الوعد بنصره وتأييده مما يقوي قلبه لمتابعة الدعوة والمضي في تبليغ الرسالة .

٢- تيسير حفظه وفهمه:

من المعلوم أن العرب كانوا أميين كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[5]، كما كان صلى الله عليه وسلم كذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾[6]، وإن كان الرسول صلى

---

(١) سورة الفتح الآية (٣) .
(٢) سورة الصافات الآيات (١٧١ - ١٧٣) .
(٣): سورة القمر الآية (٤٥) .
(٤) سورة آل عمران الآية (١٢) .
(٥) سورة الجمعة الآية (٢) .
(٦) سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

الله عليه وسلم قد وُعِد بأنه سيعان على الحفظ بحيث لا ينساه، كما قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٣]، فإن المسلمين بحاجة إلى زمن يساعدهم على الحفظ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل كتابه منجماً ليسهل حفظه وفهمه على المسلمين، وقد جاء ذلك صريحاً في قول الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[٤]، أي على مهل وتؤده لكي يحفظه الناس ويفهموا معناه، فالذين نزل عليهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم في حفظه وتلاوته فهم أميون وأدوات الكتابة غير ميسورة لكاتبيهم، فلو نزل جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، وبالتالي عن تدبره وفهمه .

إن نزول القرآن الكريم منجماً أدعى إلى سهولة حفظه وفهمه وأيسر وأوفق بالفطرة البشرية .

---

(١) سورة الأعلى الآية (٦) .

(٢) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٣) سورة طه الآية (١١٤) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

الثاني: فوائد نزول القرآن الكريم مفرقاً:

١- التحدي والإعجاز:

إن نزول القرآن الكريم مفرقاً يجعله في كل نزلة معجزة له، وذلك من خلال ما يلي:

- تحدي الكفار من أن يأتوا بمثل هذا المنزل فهو أعطاهم الفرصة لكي يعرضوا ما ينزل منه فلما عجزوا دل ذلك على الإعجاز .
- إن ما نزل مفرقاً وفي أوقات متباعدة وقد بدت سوره ذات موضوعات متماسكة، ويسود السورة انسجام وائتلاف وكأنها أنزلت مرة واحدة، وقد يكون أول السورة قد نزل بعد آخرها لأكبر دليل على إعجاز القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] فلو كان من كلام البشر وقيل في مناسبات متعددة ووقائع متتالية وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2] .
- قطع الحجة على الكفار، فلو نزل جملة واحدة لقالوا: شيء جاءنا مرة واحدة لا نستطيع معارضته، ولو أنه جاءنا قطعاً قطعاً لعارضناه، فقطع الله عليهم الحجة فأنزله مفرقاً .

---

(١) سورة هود الآية (١) .

(٢) سورة النساء الآية (٨٢) .

٢- التدرج في انتزاع العقائد الباطلة:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله غيره، ويسفكون الدماء، ويشربون الخمر، ويزنون، ويغتصبون الأموال، ويئدون البنات خشية العار، ويقتلون الأولاد خشية الفقر، ويظلمون النساء، ويتزوجون نساء الآباء، ويجمعون بين الأختين، ويتظالمون . . .

ومعلوم أن النفس الإنسانية يشق عليها ترك ما تعودته مرة واحدة والإقلاع عنه بمجرد النهي عنه، فلو نزلت أحكام هذه العقائد جملة واحدة وطالبتهم بالتخلي عما هم عليه لصعب عليهم ذلك، بل قد لا يستجيب أحد لذلك، من هنا كانت الفائدة الكبرى من التدرج معهم في انتزاع هذه العقائد من خلال نزول القرآن الكريم مفرقاً وشيئاً فشيئاً .

٣- التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة:

لقد تدرج نزول القرآن الكريم في بيان العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة، فكان أول ما تناوله القرآن: أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، وكان يأمر بمحاسن الأخلاق وينهى عن الفحشاء والمنكر، ويبين قواعد الحلال والحرام، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في أول حديثها الذي قالت فيه: ((إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً،

ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا))[1].

٤ - التدرج في التشريع:

وذلك أن بعض الأحكام الشرعية قد يكون من الضرورة إنزال حكمها متدرجاً، حتى يتقبل الناس الحكم الشرعي الأخير ومن أوضح الأمثلة في ذلك تحريم الخمر وتشريع الجهاد.

ففي تحريم الخمر جاءت أول إشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]، ففي هذه الآية امتنان من الله بنعمته على عباده، وفيها لفتة إلى قبح وعدم استحسان السكر حيث قوبل بالرزق الموصوف بالحسن دون أن يصفه أو يمدحه. مما يشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾[3]، ففي هذه الآية تصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[4]، في ذلك نهي عن شربها في الأوقات التي

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠١ في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن.

(٢) سورة النحل الآية (٦٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢١٩).

(٤) سورة النساء الآية (٤٣).

يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة .

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]، ففي هذه الآيات تحريم قطعي للخمر في كل الأوقات وبأي قدر وعلى أية صورة .

وهكذا تم التدرج في إنزال الحكم الشرعي بهذه الآفة التي كانت متأصلة في نفوس الناس حتى نزل الحكم النهائي الشافي الكافي بعد أن تمكن الإيمان في النفوس، وأصبحت متهيئة لاستقبال هذا الحكم الشرعي والقضاء على هذا الداء الذي كان مستشرياً بين الناس، وليت الأمة الإسلامية تعي هذا المنهج وتستفيد منه في القضاء على المسكرات والمخدرات التي أعيتها وصرفت عليها الأموال الباهظة دون نتيجة تذكر .

وفي تشريع الجهاد مر بمراحل ثلاث:

- النهي عنه وذلك في أول الدعوة وقبل الهجرة، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، وقولـــــه

(١) سورة المائدة الآيتان (٩٠، ٩١) .

(٢) سورة فصلت الآية (٣٤) .

(٣) سورة المائدة الآية (١٣) .

تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾[1] .

- الإذن به من غير فرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

- الأمر به والتأكيد عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾[4]،وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5] .

٥- مجاراة الحوادث والوقائع وإجابات الأسئلة:

فكلما حدثت حادثة أو وقعت واقعة أو وجه سؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآيات مبينة له .

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٢) سورة الحج الآيتان (٣٩، ٤٠) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٠) .

(٤) سورة التوبة الآية (٣٦) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢١٦) .

فمن الحوادث ما يستجد من أحداث تلامس المسلمين عموماً كالآيات التي نزلت بعد غزوة أحد يعاتبهم الله عز وجل على فشلهم وتنازعهم وعصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والبحث عن الغنائم الدنيوية فقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وما نزل بعد غزوة حنين حين اغتر المسلمون بكثرتهم وضعف اعتمادهم على الله في طلب النصر فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

ومن الأقضية والوقائع ما كان يحدث بين أفراد المسلمين من قضايا تحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي، ومن ذلك ما جاء في حادثة الإفك فقد نزلت فيها آيات بينات تبرئ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتدين من

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٢) .

(٢) سورة التوبة الآيات (٢٥ – ٢٧) .

رموها دون وجه حق فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾﴾[1] .

وأيضاً ما جاء في حاثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فأنزل الله عز وجل بيان حكم الظهار في الإسلام: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ

(١) سورة النور الآيات (١١ – ٢٠) .

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[1].

ومن إجابات الأسئلة ما كان يوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أسئلة سواء كانت من قبل الصحابة غرض الاسترشاد والمعرفة أم من الكفار واليهود للتثبت والتحقق من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن النوع الأول: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[4].

ومن النوع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن

(١) سورة المجادلة الآيات (١ - ٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٩) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢١٩) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢١٥) .

(٥) سورة الإسراء الآية (٨٥) .

ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[١] .

٦- تعميق الأثر في النفس:

إن ربط نزول الآية بالحادثة أو الواقعة يؤدي إلى أن يتذكر الناس جميعاً هذه الآية، ويعمق أثرها في النفس البشرية، لأن الآية عندما تعالج جانباً من حياة الناس عاشوه لحظة بلحظة أدعى إلى أن يتذكر ويبقى أثره في الناس[٢].

(١) سورة الكهف الآية (٨٣) .

(٢) انظر في الحِكَم والفوائد: مناهل العرفان ١/ ٥٣، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ١٠٧، نزول القرآن الكريم د. محمد الشايع ٤٢، تنزلات القرآن وحكمة كل تنزيل ٣٢.

المبحث الثالث

هيئات الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة في المنام

المطلب الثاني: تمثل جبريل في صورته الملكية .

المطلب الثالث: تمثل جبريل في صورة بشر.

المطلب الرابع: النفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة في المنام

وهي أول مراتب الوحي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في منامه الرؤيا وتأتي صالحة صادقة، دل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي حيث قالت: ((أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة _ وفي رواية لمسلم: الرؤيا الصادقة _ في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه _ وهو التعبد _ الليالي ذوات العدد . . .))[١] .

فالرؤيا الصادقة: هي التي ليس فيها ضغث، قال ابن المرابط: ((هي التي ليست ضغثا، ولا من تلبيس الشيطان، ولا فيها ضرب مثلٍ مُشْكِلٍ))[٢] .

وهذه الرؤيا واضحة فقد شبهتها عائشة رضي الله عنها كما في الحديث السابق بفلق الصبح لظهورها الواضح الذي لا شك فيه . وتعد هذه الرؤيا أحد الإرهاصات لظهور نبوته صلى الله عليه وسلم وبعثته وتلقي الوحي في اليقظة، ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس _ صاحب ابن مسعود رضي الله عنه – قال: ((إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام – أي ما يكون في المنام – حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي)) أي: في

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩، ١٤٠ حديث رقم ١٦٠ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٥٠ .

اليقظة[١].

وقال ابن أبي جمرة مبيناً الحكمة منها: ((أن شمس النبوة كانت مباديء أنوارها صحة المرائي وصدقها، فما زال النور يتشعشع ويتسع ويبين حتى بدأ شمسها وهو ما أنزل عليه من الهدى والفرقان))[٢].

وقال القاضي عياض في تعليقه على حديث عائشة رضي الله عنها: ((في هذا: حكمة من الله تعالى وتدريج لنبيه صلى الله عليه وسلم لما أراده الله جل اسمه به، لئلا يفاجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية، فبدأ أمره بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة، من صدق الرؤيا، ثم قال: وفيه: أن الرؤيا الصادقة أحد خصال النبوة وجزءٌ منها وأول منازل الوحي، وأن رؤيا الأنبياء وحي وحقٌ صدقٌ، لا أضغاث فيها ولا سبيل للشيطان إليها))[٣].

ومن الرؤيا الصادقة التي وردت في القرآن الكريم رؤياه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية حيث قال عز وجل: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤].

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤ ونسبه لأبي نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، وذكره الحلبي في السيرة الحلبية ١/ ٢٢٣ .

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ١/ ٨، وانظر فتح الباري ١٢/ ٣١١ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٤٧٩، ٤٨٠، ونقله أبو شامة في شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى ٦٦ .

(٤) سورة الفتح الآية (٢٧) .

وفي هذه الرؤيا دلالة على أن الرؤيا النبوية جزء من الوحي والنبوة للرسول صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك ما رواه أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))(1)، وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة»)(2) .

وينبغي أن يعلم أنه لم ينزل من القرآن شيء عن طريق الرؤيا بالمنام، وما قيل من أن سورة الكوثر نزلت في المنام بدليل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ! قال: ((أنزلت علي آنفاً سورة)) فقرأ: ((بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾))(3)، فهذا ليس بصحيح فإن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم، بل تحمل على التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، ويقال لها بُرَحاء الوحي(4) .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٨ في كتاب التعبير: باب رؤيا الصالحين .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٩ في كتاب التعبير: باب المبشرات .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٠٠ .

(4) انظر الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٨، ٨٩ النوع الخامس .

المطلب الثاني: تمثل جبريل في صورته الملكية

من الحالات التي جاء بها جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم اتيانه على صورته الحقيقية التي خلقه الله عز وجل عليها .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين فقط هما:

١- مرة في الأرض .

٢- مرة في السماء .

ودل على المرة الأولى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[١]، أي عَلَّم جبريلُ _ الذي هو شديد القوى _ النبيَّ صلى الله عليه وسلم القرآن بأن استقام جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، فظهر في الأفق الأعلى، أي في الجهة العليا من السماء، فسد الأفق عندما جاء بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أول ما جاءه بالوحي عند غار حراء، فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم من المسافة قدر قوسين أو أقل منهما، فأوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه من القرآن في تلك النزلة .

ثم أكد الله عز وجل هذه الرؤية بقوله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

---

(١) سورة النجم الآيات (٥ - ١٠) .

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾[1]، أي: ما أنكر فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ما رآه من صورة جبريل، وإنما كان فؤاده صادقاً، فكيف تجادلونه وتكذبونه فيما رآه بعينه رؤية مشاهدة محسوسة من صورة جبريل عليه السلام .

ونظير هذا الدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، أي: رأى محمد جبريل على صورته الحقيقة في مطلع أو أفق الشمس من قبل المشرق، قال ابن كثير: ((وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[3]، والدليل أن المراد بذلك جبريل عليه السلام، أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء))[4] .

ودل على المرة الثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[5]، أي: لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل نازلاً مرة أخرى - أي غير المرة الأولى التي رآه في الأرض -

---

(١) سورة النجم الآيتان (١١، ١٢) .

(٢) سورة التكوير الآيات (١٩ - ٢٣) .

(٣) سورة النجم الآيات (٥ - ١٠) .

(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٥) سورة النجم الآيات (١٣ - ١٥) .

على صورته التي خلقه الله عليها وذلك ليلة الإسراء في السماء عند سدرة المنتهى[١] .

ومما جاء في تمثل جبريل في صورته الملكية في هاتين المرتين:

حديث مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها، فقلت: ألم يقل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾[٢]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء إلى الأرض، ساداً عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء إلى الأرض))[٤].

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((رآه بفؤاده مرتين))[٥] .

وما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة: فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق، وأما الثانية: فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾))[٦] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٥، والتفسير المنير ٢٧/ ١٠١، ١٠٢ .

(٢) سورة التكوير الآيات (٢٣) .

(٣) سورة النجم الآيات (١٣) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٩ حديث رقم ١٧٧ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٨ حديث رقم ١٧٦ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير ١٠/ ٣٣١٨، وأورده ابن كثير في تفسيره ٧/ ٤٤٤ .

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم رؤيته لجبريل عليه السلام لأصحابه رضي الله عنهم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إنه رأى جبريل له ستمائة جناح))[1]، وفي رواية أخرى له ((رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء))[2]، وقالت عائشة رضي الله عنها: ((من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخَلْقِه ساداً ما بين الأفق))[3]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأيت جبريل صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت))[4] .

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه – وهو يحدث عن فترة الوحي –: ((بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبت منه، فرجعت، فقلت: زملوني،زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ فحمي الوحي وتتابع))[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٣ في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين.

(٢) أخرجه البخاري أيضا في صحيحه ٤/ ٨٣، في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٣، في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٦٠ وقال عنه ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي . تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤ كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي .

المطلب الثالث: تمثل جبريل في صورة بشر

ويقصد به أن جبريل عليه السلام كان ينخلع من صورته الملكية إلى الصورة البشرية، فيوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يوحي، والرسول صلى الله عليه وسلم يعي عنه ما يقول والصحابة يسمعون ذلك الكلام ويفهمونه، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الحالة لما سأله الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول))[1] .

ومن الحالات التي أتى بها جبريل في صورة بشر على النبي صلى الله عليه وسلم:

- **مجيئه على هيئة رجل كما دل عليه:**

حديث عمر رضي الله عنه قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٦ حديث رقم ٢٣٣٣ .

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) قال: صدقت . قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه . قال: فأخبرني عن الإيمان . قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) قال: صدقت .، قال: فأخبرني عن الإحسان . قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قال: فأخبرني عن الساعة . قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) قال: فأخبرني عن أماراتها .

قال: ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان))، قال ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي: ((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[1] .

وحديث حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد، فسلمت عليه، ثم أجزت، فلما رجعت وانصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل رأيت الذي كان معي، قلت: نعم، قال: فإنه جبريل، وقد رد عليك السلام[2] .

وحديث الحكم عن القاسم أن حارثة بن النعمان أتى النبي صلى الله

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧، ٣٨، وأخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨ بلفظ آخر في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٥/ ٤٣٣، وقال عنه ابن حجر: إسناده صحيح. الإصابة ٢/ ١٩٠ .

عليه وسلم وهو يناجي رجلاً، فجلس ولم يسلم، فقال جبرائيل: أما إنه لو سلم لرددنا عليه، فقال لجبرائيل: وهل تعرفه ؟ فقال: نعم، هذا من الثمانين الذي صبروا يوم حنين، رزقهم ورزق أولادهم على الجنة[١].

- **مجيئه في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي[٢]، كما دل عليه:**

حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي[٣] .

وحديث أبي عثمان عن سلمان قال: ((أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا ؟ _ أو كما قال _ قالت: هذا دِحْية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم يخبر خبر جبريل – أو كما قال – قال أبي: قلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا ؟ قال: من أسامة بن زيد))[٤] . والمقصود: أن أم سلمة رأت جبريل في صورة دحية الكلبي .

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٩٠ وعزاه لابن شاهين طريق المسعودي .

(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي صحابي مشهور، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل ينزل على صورته، بقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه، انظر الإصابة ٣/ ١٩١ .

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة وعزاه إلى النسائي ٣/ ١٩١، كما ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٠ عزاه أيضاً إلى ابن سعد.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٦، ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٦ رقم ٢٤٥١ .

وحديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلاً جميلاً[1] .

وتمثل جبريل بصورة رجل هي حالة وقتية مراعاة لحال من يرسل إليه. قال ابن حجر: ((والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه))[2] .

---

(١) ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٠ وعزاه إلى الطبراني .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٠ .

المطلب الرابع: النفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم

ويقصد به إلقاء الله المعنى في قلب النبي صلى الله عليه وسلم يقظة من غير مواجهة بين الملك والرسول مع خلق علم ضروري عند النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعاً، ولا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكا(١). وجاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ في آية الشورى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾(٢)، وما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن روح القدس نفث في رُوعي: إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب))(٣) قال أبو عبيد في معنى النفث: ((نفث في رُوعي: هو كالنفث بالفم شبيه بالنفخ، فأما التفل فلا يكون إلا ومعه شيء من الريق)) وقال أيضا في معنى ((رُوعي)): ((معناه كقولك في خلدي ونفسي ونحو ذلك فهذا بضم الراء، وأما الرَّوع _ بالفتح _ فالفزع، وليس من هذا في شيء))(٤) .

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي ٢٧/ ٥٠، ووحي الله للدكتور حسن ضياء الدين عتر ٩٥ .

(٢) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٣) الحديث أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ١٧٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤ عن ابن مسعود .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٨٠، وانظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٨ .

وفي هـذه الحالـة فـإن الرسـول ﷺ يحـس أن معنـى جديـداً لم يـسبق حدوثه له قد وعاه قلبه وعقله، مع عدم المواجهة بين الملـك والرسـول ﷺ، فهو لا يـرى الملـك ولا يـسمع صـوت الـوحي، وإنـما يجـد تلـك المعـارف في نفسه، ويعلـم أن الملك نفثها في رُوعه، وقد عبر عنها بعض الباحثين بأنه ﷺ يتلقى عرفانا يقيناً بغير صوت[1] .

وعلى العموم فإن الوحي بجميع أنواعه يصحبه علـم يقينـي ضروري من النبي ﷺ بأن ما ألقي عليه حق من عند الله، لـيس مـن خطـرات الـنفس ولا من وسوسة الشيطان، وهذا العلم اليقيني لا يحتـاج إلى مقـدمات، وإنـما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش[2] .

وهذه الأدلة التي تحدث عنها النبي ﷺ ورواهـا أصـحابه رضـوان الله عليهم لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الوحي شيء متكلف مصنوع، أو أنه أمر تحضيري يُستجمع له الفكـر والرويـة، بـل هـذه الهيئـات ومـا يـصاحبها مـن مظاهر تظهر عليه ﷺ ويراها أصحابه رضـوان الله علـيهم، لتثبـت يقينـاً أن الوحي إلى النبي ﷺ أمر سوي لا اعتلال معه، إلزامي لا اختيار له فيه، وأنه تلقـين مـن الله العزيـز الحكـيم بقـوة وقـدرة، وهيمنـة وسـيطرة، وحكمـة ورحمة[3] .

---

(١) انظر: الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ١٤٣ وتـاريخ القـرآن لمحمـد حسين الصغير ٣٥ .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ٨٧ .

(٣) انظر وحي الله ١١٠، وعلوم القرآن ١٩ – ٢١ .

المبحث الرابع

مظاهر الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشقة في التلقي.

المطلب الثاني: سـمـاع دوي كـدوي الـنـحـل

المطلب الثالث: ثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: بروك الناقة إذا نزل عليه الوحي وهو عليها

توطئة:

إن نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم يلازمه مظاهر وآثار متنوعة يغلب عليها الشدة والقوة، لما في نزوله من مخالفة لما جرت عليه العادة البشرية، قال ابن حجر: ((معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طاريء على الطباع البشرية))[1] .

وإن مما يصاحب مجيء جبريل عليه السلام صلصلة وهو صوت أشبه بصوت الجرس غير معهود له صلى الله عليه وسلم، مما ينبه على أهمية المرسل وما جاء به من أمر عظيم يحتاج إلى تفريغ القلب عن كل شيء، روت عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) قالت عائشة رضي الله عنها: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا))[2] .

وسأل عبدالله بن عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

(١) فتح الباري ١/ ٢٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢، ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٦ رقم الحديث ٢٣٣٣، فيفصم: أي يُقلع، ويتفصد: أي يرشح عرقاً .

الوحي قائلاً: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تفيض))[1] .

ومن مظاهر الوحي المحسوسة على الرسول صلى الله عليه وسلم ما نقله لنا الصحابة رضوان الله عليهم، وهي آثار كثيرة جمعتها في أربعة أنواع وسأتناولها في المطالب التالية:

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٢٢ .

المطلب الأول: المشقة في التلقي

لاقى النبي صلى الله عليه وسلم من التنزيل شدة ومشقة ومما دل على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[١] أي: ثقيل وقت نزوله من عظمته[٢]، قال ابن عباس: شديداً[٣] .
- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ فالخطاب فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم بوصف حاله التي كان عليها حين خطابه، ومعنى (المدثر) أي: الذي يدثر في ثيابه يستدفيء بها، و(المزمل) أي: المتزمل في ثيابه المتلفف فيها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدثر ويتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل خوفاً وفزعاً منه . قال ابن عقيلة: ((وذلك لشدة الوحي وعظم الخطاب))[٤] .
- حديث جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجَئِثْتُ[٥] منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي

(١) سورة المزمل الآية (٥) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٢٥١ .

(٣) انظر تفسير البغوي ٤/ ٤٠٨، وتفسير الخازن ٧/ ١٦٦، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٧٤ .

(٤) الزيادة والإحسان ١/ ١٣٩ .

(٥) هكذا في هذه الرواية، وفي رواية ((فرعبت)) وقيل في معناها: سقطت على وجهي، وقال أهل اللغة: جئث الرجل فهو مجوث إذا فزع، انظر فتح الباري ٨/ ٥٥٥ .

فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ ﴾[١] - قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان - ثم حمي الوحي وتتابع))[٢] .

- حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: ((كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنْزِل عليه الوحي كُرِبَ لذلك، وتَرَبَّد وجهه))[٣] .
- وحديثه الآخر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابُهُ رُؤسهم، فلما أُتلي عنه رفع رأسه[٤] .
- حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يُمِلُّها عليَّ، قال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفتُ أن ترضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾[٥] .

---

(١) سورة المدثر الآيات (١ - ٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٧٥، ٧٦ في كتاب: التفسير، باب: سورة المدثر .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ رقم الحديث ٢٣٣٤، ومعنى كرب: أي أصابه الكرب . وتربد: أي تغير وصار كلون الرماد .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ رقم الحديث ٢٣٣٥، وأتلي عنه: أي ارتفع عنه الوحي.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٨٢ في كتاب التفسير، باب: كيف كان بدء الوحي .

- حديث عائشة رضي الله عنها في بدء نزول الوحي عندما نزل عليه صلى الله عليه وسلم صدر سورة اقرأ، ومما جاء فيه قوله صلى الله علية وسلم ((فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد)) ولما ذهب إلى خديجة رضي الله عنها يحدثها عما حصل له وهو يرجف فؤاده قال لها: زملوني . . زملوني)) فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر: ((لقد خشيت على نفسي))[1] .
- حديث صفوان بن يعلى بن أمية أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يُنْزَل عليه الوحي، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، وعليه ثوب قد أظل عليه ومعه ناس من أصحابه، إذ جاءه رجل متضمخ[2] بطيب فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم في جُبَّة بعدما تَضَمَّخ بطيب ؟ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو مُحْمَرُّ الوجه يَغُطَّ[3] كذلك ساعة، ثم سُرِّي عنه[4]، فقال: أين الذي يسألني عن العمرة آنفا ؟ فالتُمِس الرجل، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما الطيب الذي بك

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي .

(٢) التضمخ: التلطخ بالطيب والإكثار منه . النهاية ٣/ ٩٩ .

(٣) الغط: الصوت الذي يخرج مع نفس النائم أو المغمى عليه . النهاية ٣/ ٣٧٢ .

(٤) سري عنه: زال عنه ما اعتراه تدريجياً .

فاغسله ثلاث مرات،وأما الجبة فانزِعْها عنك، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك))[١] .

- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[٢] .
- حديث عبيد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((. . . فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ،قال: قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتَّني به حتى ظننتُ أنه الموت . . .))[٣] .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاقي من التنزيل شدة ويظهر ذلك عليه صلى الله عليه وسلم في نفسه، وجسمه، وقوله .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: نزل القرآن بلسان قريش .

(٢) سورة القيامة الآيتان (١٦، ١٧) .

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٣، والطبري في تاريخه ٢/ ١٣، والنمط: رعاء كالسفط، وغتني: الغت: حبس النفس .

المطلب الثاني: سمـاع دوي كـدوي الـنـحـل

ومن مظاهر وآثار الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فعن عبدالرحمن ابن عَبْدٍ القارِّيِّ، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ثم قال: ((لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة))، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)﴾[1] [2] .

---

(١) سورة المؤمنون الآيات (١ - ١٠) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٤، والترمذي في سننه ٥/ ٣٢٦ في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون، والنسائي في سننه الكبرى ١/ ٤٥٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٥، وصححه ووافقه الذهبي .

المطلب الثالث: ثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان مما يصاحب مجيء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتلقيه عنه، ثقل جسمه صلى الله عليه وسلم حتى يكاد يَرِضُّ فَخِذُه فخذَ الجالس إلى جنبه، ثبت عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(١)، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت _ وكان أعمى _ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفَخِذُه على فَخِذي، فثقلت عليَّ حتى خفتُ أن ترضّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾(٢).

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: ((كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا نزل عليه أخذته بُرَحَاء شديدة، وعَرِق عرقاً شديداً مثل الجُمَان، ثم سُرِّي عنه، فكنتُ أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، وهو يُمْلي عليّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس))(٣) .

---

(١) سورة النساء الآية (٩٥) .

(٢) الحديث سبق تخريجه وهو في صحيح البخاري ٥/ ١٨٢، وأحمد في مسنده ٥/ ١٨٤، وأبو داود في سننه ٢/ ١٤ في كتاب: الجهاد، باب: في الرخصة في القعود من العذر .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٥٤٤، والبرحاء: شدة الحمى، والجمان: اللؤلؤ .

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كـان صـلى الله عليـه وسلم إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربَّد له جلده))[١] .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٦/ ٢٤٢، وأخرجه بنحوه البخاري عن عبادة بن الصامت وقد مَرّ في المطلب الثاني .

المطلب الرابع: بروك الناقة إذا نزل عليه الوحي وهو عليها

ومن مظاهر وآثار نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا نزل عليه وهو على ناقته صلى الله عليه وسلم بركت ناقته وهوت إلى الأرض من ثقل ما يوحى إليه، وقد وصف لنا الصحابة رضوان الله عليهم مشاهدتهم لذلك:

- قالت عائشة رضي الله عنها: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فلم تستطع أن تتحرك وتلت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] [2] .

  وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرى عنه))[3].

- وقالت عائشة رضي الله عنها: ((إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها))[4] .

- وقال عروة بن الزبير ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسَرَّى

(١) سورة المزمل الآية (٥) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٩ وصححه ووافقه الذهبي، والجران: باطن العنق.

(٣) أخرجه ابن راهويه في مسنده ٢/ ٢٥٤ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١١٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٠ وقال عنه: رجاله رجال الصحيح .

عنه))[1] .

- كما حدثت أم عمرو بنت عبس عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة))[2] .
- وقال أبو أروى الدوسي: رأيت الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، وربما قامت مُوَتَّدَة يديها، حتى يُسَرّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان))[3] .

إذن فآثار الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم يمتد تأثيرها إلى ما يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم أو يلامسه من بشر أو دابة فصلى الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد عانى من حوله فكيف به صلوات ربي وسلامه عليه .

ويمكن أن نستجلي من هذه الآثار دلائل ومعان أوجزها في الآتي:

- أن المُلْقى بهذه الكيفية وهذه الحال سينغرس في نفس الملقى عليه، وينتقش في قلبه نقشاً، لما في لحظات الإلقاء وما يصاحبها من أحوال لا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/ ١٢٧، وابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٥١، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٥٥ وقال عنه: ثابت .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٥٢ .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١٥٥، فترغو: أي صوتت فضجت، قال ابن منظور: ((وهذا دأب الإبل عند رفع الأحمال عليها))، وتفتل يديها: أي تلويها . لسان العرب ١٤/ ٣٢٩ مادة ((رغا))، ١١/ ٥١٤ مادة ((فتل)) .

يمكن نسيانها أو تفلت شيء منها .

- أن المقدمات التي تصاحب هذا المجيء تجعل النفس تطمئن للمُلقي وتدفع التوهم أن يكون غيره .
- عظم شأن المُلْقى وأهميته وأنه ليس ككل كلام، فهو كلام الجبار العظيم المتعال عز وجل، فالكلام له هيبته وإجلاله، التي ينبغي أن تصاحب أيضا المتلقي والمتقدم لحفظه وتلاوته .

المبحث الخامس
حال الصحابة عند نزول الوحي

لقد كان لنزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم حالات كثيرة وهو بلا شك غير مرتبط بإرادته ورغبته، أو مكان وجوده وعلى أي حال هو، بل ربما يكون في بيته فينهض والبِشْر على مُحياه وقد نزلت عليه سورة، كما في نزول سورة الكوثر، ومن القرآن ما نزل في هزيع الليل كآية التوبة على الثلاثة الذين خلفوا وهي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(١)] حيث نزلت وقد بقي من الليل ثلثه وصلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها[(٢)]، وآية ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[(٣)] فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم في خيمته والحرس حوله، فأخرج الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه من الخيمة فقال: ((يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله))[(٤)] .

---

(١) سورة التوبة الآية (١١٨) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٠٨ في كتاب: التفسير، باب: سورة التوبة، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم ٢٧٦٩ .

(٣) سورة المائدة الآية (٦٧) .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣ وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٨ .

ومن هنا كثرت أحوال نزول القرآن وبحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيعاً [١] .

وكانت هذه الأحوال معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أحس كثير منهم بنزول الوحي ورأوا مظاهره رأي العين وتلقوا ثمرته وهو هذا القرآن العظيم الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه عنه صحابته رضوان الله عليهم وكتبوه وعلموه من جاء بعدهم [٢] .

فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، وإن جبينه ليتفصد عرقاً)) [٣] .

كما وصفت حاله وقد تنزل عليه الوحي في بيتها قائلة: ((فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه . فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه ...)) [٤] .

ويمكن أن أوجز حال الصحابة عند نزول الوحي من خلال ما اطلعت عليه من آثار عنهم بالآتي:

١- أدبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند مجيء الوحي له، فإذا جاء

(١) انظر علوم القرآن لنور الدين عتر ٢٤ .

(٢) انظر محاضرات في علوم القرآن للقدوري ٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩ في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النور، ومعنى (رام) فارق، (البرحاء) شدة الحمى، (الجمان) اللؤلؤ .

فليس لأحد أن يرفع طرفه إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي، روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي))[(١)]

٢- نزول السكينة والاطمئنان في قلوب الصحابة واستقرار إيمانهم وزيادة محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما ورد في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ((بينما رسول الله بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تجلس ؟ قال: بلى، قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض، فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، وأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له،وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته، واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد فيم كنت أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة، قال: وما رأيتني فعلت ؟ قال: رأيتك

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٦، رقم الحديث ١٧٨٠، وأحمد في مسنده ٢/ ٥٣٨.

تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحركت إليه، وتركتني، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: وفطنت لذلك ؟ قال عثمان: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني رسول الله آنفا، وأنت جالس، قال: رسول الله ؟ قال: نعم، قال: فما قال لك ؟ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً))[2] .

وأيضا ما قاله عتيبة بن عتيبة التميمي الذي شهد حنينا مع المشركين، فلما رأى المسلمين انفضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نُصِر برغم ذلك علم أنه جبريل عليه السلام النازل بإذن الله بالنصر فثمّ أعلن إسلامه:

فضاربوا الناس حتى لم يــروا أحداً حــول النبـي إلى أن جَنَّـهُ الغـسق
ثـمـة نـزل جـبـريــل يـنـصرهم مــن الـسماء فمهـزوم ومـعتنق
مـنـا ولــو غـيـر جبريل يقـاتلـنا لمنعتنا إذن أسيافـنـا العـُتُق[3].

٣- رؤيـتهم أو اعتيـادهم لـبعض العلامـات الحـسية المـصاحبة لمجـيء الوحي، ومن ذلك:

(١) سورة النحل الآية (٩٠) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣١٨ .
(٣) انظر تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم ٨١ .

- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام فقال: أَوَقد وضعتم السلاح ؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بني قريظة، فقالت عائشة رضي الله عنها: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار))[1] .
- وما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى غبار ساطع في سكة بني غَنْم موكب جبريل[2] .
- وما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر _ يعني أُحُداً _ قال: ((ما أُحِبُّ أنه يُحَوَّل لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لِدَيْنٍ، ثم قال: إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا – وأشار أبو شهاب – أحد رواة الحديث بين يديه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم . وقال: ((مكانك)) وتقدم غير بعيد، فسمعت صوتاً، فأردت أن آتيهُ، ثم ذكرتُ قوله: ((مكانك حتى آتيك)) فلما جاء، قلت: يا رسول الله، الذي سمعت، أو قال: الصوت الذي سمعت، قال: ((وهل سمعتَ ؟)) قلت: نعم، قال: ((أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٠ في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة .

دخل الجنة، قلت: وإن فعل كذا وكذا ؟ قال: نعم))[1] .

٤- وصفهم لحال الرسول صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي ومن ذلك ما ورد في الروايات السابقة من العبارات التي تدل على ذلك ومنها ((برحاء الوحي))، ((فيفصم عنه))، ((يتفصد عرقا))، ((كُرِب لذلك))، ((تَرَبَّد وجهه))، ((مُحْمَّر الوجه))، ((يغط))، ((يرجف فؤاده)) .

٥- عدم إمكان رؤيتهم لجبريل بصورته الحقيقة، فلم يثبت ذلك، وإنما يمكن أن يروه إذا تمثل لهم بصورة بشر، قال النووي في تعليقه على حديث أم سلمة رضي الله عنها حيث رأت جبريل على صورة دحية الكلبي: ((فيه جواز رؤية البشر الملائكة، ووقوع ذلك على صورة الآدميين، لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم))[2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٨٢ في كتاب: الاستقراض، باب: أداء الديون .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٨ .

المبحث السادس
قطعية الوحي ودلالاتها

مما لا شك فيه أن الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاه من جبريل عليه السلام الذي أخذه من الله عز وجل مباشرة كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(١) فَوَصْفُ المُلْقي بالحكمة والعلم فيه دلالة على قطعية المُلْقى(٢) .

وقد وصف الله عز وجل هيئة مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله علية وسلم عند بدء إبلاغه الوحي القرآني وصفاً دقيقاً قاطعاً، وتمثل ذلك في سورة النجم، التي بدأت بتنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال في علمه والغي في قصده، وأنه صاحب لقومه معروف عندهم بالصدق والهداية والأمانة ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾(٣)، وأن ما ينطق به ليس صادراً عن هوى نفسه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾(٤)، وأن ما أتى به ما هو إلا وحي أوحاه الله إليه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٥)، ثم وصف هذا الملك الذي

---

(١) سورة النمل الآية (٦) .

(٢) ورد للمفسرين قولان في عود الضمير فمنهم من قال: إنه يعود إلى الله عز وجل، ومنهم من قال: إنه يعود إلى جبريل عليه السلام . انظر: تفسير ابن كثير ٦/ ١٧٨، وروح المعاني ١٩/ ١٥٨، والتحرير والتنوير ١٩/ ٢٢٣ .

(٣) سورة النجم الآية (٢) .

(٤) سورة النجم الآية (٣) .

(٥) سورة النجم الآية (٤) .

جاء بالوحي بأوصاف دقيقة تدل على مكانته وقوته ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾[1]، ثم بين كيفية مجيئه الأول على هيئته التي خلقه الله عليها مبتدئاً بأول القرآن الكريم نزولاً ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2]، ثم اقترب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم لإيصال الوحي إليه ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾[3] مما يدل على كمال مباشرته للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام، ثم باشر مهمته ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[4] .

ثم أكد هذا الإلتقاء وصَدَّقه، وأنه لا شك فيه ولا شبهه ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[5] [6]، ثم يُلقي ملك الوحي القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كما أمره الله أن يقرأه، وأن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق سمعه ولا يحرك لسانه حتى ينتهي جبريل من قراءته عليه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[7]، وأن الله تكفل بحفظه وجمعه في صدرك ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ

(١) سورة النجم الآيتان (٥، ٦) .
(٢) سورة النجم الآية (٧) .
(٣) سورة النجم الآيتان (٨، ٩) .
(٤) سورة النجم الآية (١٠) .
(٥) سورة النجم الآية (١١) .
(٦) انظر تفسير السعدي ٧٦٠ .
(٧) سورة القيامة الآية (١٦) .

﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[1] .

ثم أكد الله بأن ما قرأه جبريل عليه السلام هو اللفظ الذي أراد الله أن يقرأه، ولذلك نسب الله تعالى الفعل إلى ذاته العلية ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾[2]، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ما يقرأه جبريل عليه السلام ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[3] .

كما أمر الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم بعدم العجلة بتلقف القرآن حين يتلوه عليه جبريل، وأمره بالصبر حتى يفرغ من إلقائه جبريل عليه السلام ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾[4] ، وهنا أسند الوحي إلى الله عز وجل مما يدل على أن الوحي منه قطعاً .

والقرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تبين أن القرآن الكريم من عند الله، وأنه وحي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

(١) سورة القيامة الآية (١٧) .
(٢) سورة القيامة الآية (١٨) .
(٣) سورة القيامة الآية (١٨) .
(٤) سورة طه الآية (١١٤) .
(٥) سورة الاحقاف الآية (٩) .

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[1].

كما يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له في القرآن من عمل إلا الحفظ والتبليغ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) ﴾[2].

كما أكدت آيات القرآن الكريم على أن الله هو الذي أنزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾[5].

وفي الأحاديث الشريفة توكيد لهذا، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن هذا القرآن الذي يتلوه على الناس ليس من تأليفه إنما هو كلام الله

(١) سورة النساء الآية (١٦٣).

(٢) سورة يونس الآيتان (١٥، ١٦).

(٣) سورة آل عمران الآيتان (٢، ٣).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٥) سورة الإنسان الآية (٢٣).

تعالى، روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه))[2]، ويعني بالكتاب القرآن الكريم ومثله يعني السنة .

ومن الدلالات على قطعية القرآن الكريم:

١- الحفظ الإلهي لألفاظ القرآن الكريم، فقد تكفل الله عز وجل بالحفظ المطلق للقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، وهذا الحفظ للقرآن الكريم جاء تصريحاً لا تلويحا، ثم جاء التصريح بنزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وبلسان عربي مبين ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[4] مما يدل على نزوله بألفاظه وكلماته، قال الزمخشري: ((ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها))[5] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٦١٠ حديث رقم ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده ٤/ ١٣١ .

(٣) سورة الحجر الآية (٩) .

(٤) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٥) .

(٥) الكشاف ٤/ ٤١٥ .

وقال ابن عطية: ((وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، وعلل النزول على قلبه بكونه من المنذرين، لأنه لا يمكن أن ينذر به إلا بعد حفظه[1] .

وقال أبو حيان: ((وخص القلب، والمعنى عليك، لأنه محل الوعي والتثبيت، وليعلم أن المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ، لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير))[2] .

٢- إثبات حفظه وفهمه وتثبيته في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بشر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه سيقرئه القرآن ولا ينساه، فقال عز وجل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[4] .

كما أن قراءته صلى الله عليه وسلم له بفضل الله وقوته، كما قال عز وجل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[5]، قال ابن حجر: ((لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته))[6] .

٣- تلقي الوحي تلقي استماع لصوت متكلم بأحرف وتتابع لكلمات على

(١) المحرر الوجيز ١١/ ١٤٨ .
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٨ .
(٣) سورة الأعلى الآية (٦) .
(٤) سورة القيامة الآية (١٧) .
(٥) سورة العلق الآية (١) .
(٦) فتح البري ١/ ٢٢ .

هيئة التعليم، فتصل ألفاظه ومعانيه إلى قلبه صلى الله عليه وسلم بعد سماعه، ومما دل على ذلك، قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[3]، وورد في بعض ألفاظ الأحاديث والآثار التي سبق إيرادها في هذا البحث ((فيعلمني)) و ((فيكلمني)) . . .

٤- مدارسة جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما نزل عليه من القرآن في شهر رمضان من كل عام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة))[4].

فهذه المدارسة ثمرة لتمكين حفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حفظاً لا حظ للنسيان فيه .

(١) سورة القيامة الآيات (١٦ - ١٩) .

(٢) سورة طه الآية (١١٤) .

(٣) سورة النجم الآية (٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.

الفصل الرابع

أصول الشبه حول الوحي وأثرها على المعاصرين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصول الشبه حول الوحي

المبحث الثاني: أثر أصول الشبه على المعاصرين .

المبحث الثالث: موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات.

توطئة:

إن سنة الله تعالى جرت على أن يؤيد الله تعالى كل رسول من رسله بمعجزة خارقة للعادة، وخارجة عن حدود المألوف للناس، حتى يحمل المعاندين المكابرين على الإيمان بهم، والإذعان لهم، وكانت معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: القرآن الكريم، وهي من جنس ما برع فيه قومه وهم العرب، وتحداهم به فعجزوا أن يعارضوه حتى في أقصر سورة منه مع توفر دواعيهم لمعارضته، فقد كانوا فرسان البلاغة وأمراء البيان والفصاحة، فما كان منهم إلا أن أثاروا الشبه والتشكيك فيه وفي مصدره، وقد جاء في القرآن الكريم التوضيح الشافي لتلك المزاعم وما ادعوه بهتانا وكذباً نحو القرآن تارة، ومصدره تارة أخرى، والرسول تارة ثالثة، وإن ما حصل من مشركي العرب ورَدِّ القرآن عليهم هو أساس ما أثاره المستشرقون ومن تأثر بهم من المعاصرين في عصورنا المتأخرة فقد حاكوا من سبقهم في كثير مما أثاروه وإن صبغوا ذلك بصبغة علمية كما قالوا .

ولذلك سأكتفي بالشبه التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعد هي أصول الشبه الواردة حول الوحي ومصدريته .

وسيكون ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

أصول الشبه حول الوحي

لقد أثار المشركون المعاصرون لنزول الوحي شبهات حول الوحي ومصدره، وتعددت آراءهم بل تضاربت . ويمكن أن أوجزها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنه أساطير الأولين

زعم المشركون أن الوحي مصدره أساطير الأولين وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [1]، وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ [4]، قالوا ذلك حينما عجزوا عن تعيين وتحديد مُعَلِّم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكلما حددوا شخصاً قامت عليهم الحجة فآثروا أن يوجهوا الأمر إلى مجهول، فشبهوا القرآن بأساطير الأولين ويقصدون بها الحكايات

(١) سورة الفرقان الآية (٥) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٢٥) .

(٣) سورة النحل الآية (٢٤) .

(٤) سورة المطففين الآيتان (١٢، ١٣) .

التاريخية وقصص وأخبار الماضين الذين سطروها في كتبهم سواء كانت صدقاً أو كذبا، ويقولون إن محمداً استنسخها بوساطة أهل الكتاب فهي تُقْرأ عليه صباح مساء ليحفظها فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

وأقول: إن هذا محض افتراء وبعد عن الحق ومكابرة، فهم قد عرفوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وبعده عن الكذب مدة أربعين عاما قبل بعثته حتى لقبوه بالأمين، فلما أكرمه الله بالرسالة عادوه واتهموه بما هو بريء منه . وقد أجابهم الله تعالى على هذه التهمة بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] فالقرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين أنزله الذي يعلم غيب السماوات والأرض ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، ثم إنه صلى الله عليه وسلم لو كان أخذه من أحد لتمكن المشركون أيضاً من أخذه، كما تمكن محمد صلى الله عليه وسلم، فهلا عارضوه، فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي الله وكلامه[2] .

(١) سورة الفرقان الآية (٥) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٩٣، ٩٤، وتفسير التحرير والتنوير ٧/ ١٨٢، والتفسير المنير ١٩/ ١٦، ١٧ .

المطلب الثاني: أنه مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد زعم المشركون المعاصرون لنزول القرآن الكريم افتراء الرسول الكذب على ربه كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[1] أو أنه وضع القرآن بعلمه وثقافته المكتسبة ثم نسبه إلى الله، فقالوا إن القرآن الكريم من تأليف وإنشاء الرسول صلى الله عليه وسلم أو أنه أعانه عليه آخرون، وهم بذلك يستكثرون حتى أن يكون من إنتاجه وحده، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[2]، وقالوا فيما حكاه الله عنهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

وقد اختلفوا في من هم القوم الآخرون الذين ادعو أنهم أعانوه:

- فمنهم قال إنه غلام رومي أعجمي حداد يصنع السيوف في مكة حيث كان ملما بالقراءة والكتابة ويعلم شيئاً من الكتاب .
- ومنهم من قال إنه بحيرا النصراني الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق بصرى بالشام .
- ومنهم من قال إنه ورقة بن نوفل أحد علماء النصرانية وقريب السيدة خديجة إذ لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة إثر نزول

---

(١) سورة ص الآية (٧) .

(٢) سورة الفرقان الآية (٤) .

(٣) سورة النحل الآية (١٠٣) .

الوحي عليه أول مرة .

- ومنهم من قال هم من لقيهم من اليهود والنصارى .
- ومنهم من قال أخذه عمن أسلم من أهل الكتاب(١) .

وأقول: إن اتهامهم للرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء والكذب ينقضه تقريراتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فكانوا يصفونه بالصادق الأمين، ولما قال لهم: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا))(٢).

وفي استجواب هرقل لأبي سفيان بالسؤال عن حال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال: لا))، وفي نهاية الحوار قال له: ((لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله))(٣) .

ثم إنه إذا كان كما زعموا أنه ﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ فلماذا لم يعارضه البلغاء والشعراء والحكماء وقد تحداهم، فعجزهم يدل على كذبهم وتناقض أقوالهم . وقولهم ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ يناقض قولهم إنه ﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾(٤).

---

(١) انظر النكت والعيون ٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٧٧ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦، ١٧ في كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾الشعراء: ٢١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥، ٦ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ١٤، ١٥ .

وقد رد الله عليهم هذه الفرية بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وما قالوه بأنه أعانه عليه الغلام الرومي فقد رد الله ذلك بقوله: ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[3].

وما قالوه بأنه بحيرا النصراني فقد كان لقاؤه به في حضرة رجال القافلة وعمره حينئذ لا يتجاوز اثنتي عشر سنة، وكان سريعا محدوداً، فطبيعة ذلك تنفي تعلم النبي صلى الله عليه وسلم منه، بل لم تشر الروايات إلى التعلم، وتؤكد بأن بحيرا قال لعمه أبي طالب: ((هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين))[4]، وهل يعقل أن بحيرا كلم هذا الطفل ؟ ولماذا اختاره بين أفراد القافلة ؟ ثم لماذا لم يقم هو بنفسه بما زعموا أنه علمه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولماذا تأخر النبي صلى الله عليه وسلم في نشر ما تعلمه إن كان ذلك صحيحاً ؟ .

وما قالوه بأنه ورقة بن نوفل فهذا أيضا متهافت فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصل به إلا بعد مجيء الوحي إليه، وكانت فكرة الاتصال وردت من

---

(١) سورة السجدة الآية (٣) .

(٢) سورة هود الآية (٤٩) .

(٣) سورة النحل الآية (١٠٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٩٠ حديث رقم ٣٦٢٠ في كتاب: المناقب، باب: ما جاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقال عنه حديث حسن غريب .

زوجه خديجة رضي الله عنها، ثم إن موقف ورقة من ذلك اللقاء موقف المستفسر لما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء لا موقف المعلم، وبعد أن سمع منه قال ورقة: ((هذا الناموس - أي أمين الوحي -الذي نَزّل الله على موسى))[1] ولم يلبث أن توفي ورقة .

وما قالوه بأنه أخذه عن أهل الكتاب فإنه لم يكن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم توراة ولا إنجيل، كما أنهما لم يظهرا باللغة العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، كما أنه لا يوجد من أهل الكتاب أحد في مكة سوى ورقة بن نوفل الذي توفي قبل أن يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة، كما أن القرآن الكريم استمر نزوله حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من الأحداث والأحكام التي وقعت بعد وفاة ورقة بسنين طويلة فكيف يكون أخذه منه أو علمه إياه . ثم إن اليهود كانوا يتحدون الرسول بالأسئلة ويطلبون منه الإجابة عليها ولو كانوا يعلمون أنهم قاموا بتعليمه لما تحدوه بذلك، بل كشف القرآن الكريم خيانتهم وتزويرهم وتحريفهم لكتبهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق وكتم العلم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.
(٢) سورة آل عمران الآية (٦٥) .

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1].

وما قالوه إنه أخذه عمن آمن من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام فلا يعقل أن يعلموه وهم الذين أسلموا على يديه، وسلَّموا بنبوته[2] .

(١) سورة البقرة الآية (٧٩) .

(٢) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٤١ – ٥٥ .

المطلب الثالث: أنه قول شاعر أو كاهن أو مجنون أو ساحر

ومن شبهاتهم لإنكار الوحي وصفهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف مقذعة:

فوصفوه بقول الشعر، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[١]، قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾[٣].

ووصفوه بالكهانة كما في قول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥]، والكاهن هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية وقد تكون مستمدة من الجن.

ووصفوه بالجنون، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[٦]، وبقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾[٧]، وبقوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ

(١) سورة الأنبياء الآية (٥).

(٢) سورة الصافات الآية (٣٦).

(٣) سورة الطور الآية (٣٠).

(٤) سورة الطور الآية (٢٩).

(٥) سورة الحاقة الآية (٤٢).

(٦) سورة الدخان الآية (١٤).

(٧) سورة المؤمنون الآية (٢٥).

عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[1].

ووصفوه بالسحر، فحكى الله عنهم بقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2]، وبقوله: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[3]، وبقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[4]، وبقوله: ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[5].

وبقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[6]، كما زعموا أن معجزة انشقاق القمر سحر ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾[7]، كما زعم الوليد بن المغيرة أن القرآن سحر ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[8].

---

(١) سورة الحجر الآية (٦).

(٢) سورة الصفات الآيتان (١٤، ١٥).

(٣) سورة ص الآيتان (٤، ٥).

(٤) سورة الزخرف الآية (٣٠).

(٥) سورة هود الآية (٧).

(٦) سورة الأنعام الآية (٧).

(٧) سورة القمر الآيتان (١، ٢).

(٨) سورة المدثر الآية (٢٤).

وأقول: إن قولهم بأنه شاعر فإنه لم يعهد عنه قول الشعر أو مجالسة الشعراء في أنديتهم وأسواقهم، بل الذي في القرآن الكريم التعنيف على الشعراء غير المؤمنين كما في قول الله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾[(١)]، كما أن هناك فروق جوهرية بين القرآن الكريم وبين الشعر، وقد رد الله عليهم هذه التهمة بقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾[(٢)] حتى إن الفصحاء منهم عرفوا أن ليس في القرآن شيء من الشعر، وأن أسلوبه يعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول بشر . .

وقولهم بأنه كاهن، فهل سُمِع بأن كاهناً وضع كتاباً فضلاً أن يضع قرآناً ؟ ومن المعلوم بداهة أن الكاهن لا يكوِّن أمة وحضارة بل كان يعيش في وسط ضيق بدائي ومعزول يعيش على الكذب والخداع، ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتردد على الكهنة طيلة حياته قبل النبوة وبعدها، ثم لو كان كذلك لما حارب الكهان وحرم على أمته مراجعتهم وتصديقهم، قالت عائشة رضي الله عنها سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ عن

---

(١) سورة الشعراء الآيات (٢٢٤ – ٢٢٧) .

(٢) سورة الحاقة الآيات (٣٨ – ٤٣) .

الكهان، فقال: ((ليسوا بشيء)) فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيُقِرُّها في إذن وليّه، فيخلطون معها مائة كذبة))[1]، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] .

وقولهم بأنه مجنون، فإن كانوا صادقين بذلك فلماذا حَكَّموه في وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء البيت، وهم يعلمون أن المجنون لا يُحَكَّم ولا يتبعه عاقل . وقد نفى الله عز وجل عنه الكهانة والجنون كما في قوله عز وجل: ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[4]، وبقوله: ﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾[5]، كما لفت الأنظار إلى سمات الرسول صلى الله عليه وسلم ومهمته فقال عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[6] .

---

(١) انظر النبوة والعصر ٢٣، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٨ في كتاب: الطب، باب: الكهانة، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٥٠ حديث رقم ٢٢٢٨ .

(٢) سورة الحاقة الآيتان (٤٢، ٤٣) .

(٣) سورة الطور الآية (٢٩) .

(٤) سورة التكوير الآية (٢٢) .

(٥) سورة القلم الآيتان (١، ٢) .

(٦) سورة الأعراف الآية (١٨٤) .

وقولهم بأنه ساحر، فكيف يكون كذلك والرسول صلى الله عليه وسلم حمل على السحرة والكهنة، فلو كان متصلاً بهم وناقلاً عنهم لما صدر منه مهاجمتهم ولا تحقيرهم، كما أنه لو كان ساحراً كما زعموا لسحر أشد أعدائه وضمهم إلى صفه، ثم إن الخوارق التي تحصل بأفعال الملائكة تختص بالأنبياء، ولذلك أخبر الله تعالى أن القرآن إنما أنزله الله بمَلِكٍ من عنده ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[١] .

أما أصحاب السحر والكهانة فيستعينون بالجن والشياطين ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[٢]، كما أن آيات الأنبياء لا يقدر على إبطالها إنس ولا جان فهي خارجة عن مقدورهم قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣]، بالإضافة إلى أن معجزات الأنبياء لا تنال بالكسب وبذل الجهد فأمرها عائد إلى الله، ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤]، أما السحر والكهانة فتنال بالكسب والتعلم[٥] .

---

(١) سورة التكوير الآيتان (١٩، ٢٠) .

(٢) سورة الشعراء الآيات (٢٢١ – ٢٢٣) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٤) سورة العنكبوت الآية (٥٠) .

(٥) انظر وحي الله ٦٩ .

ومن هنا يتبين اضطرابهم في موقفهم من نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذين رموه بالشعر والكهانة والجنون والسحر هم الذين نفوا عنه هذه الدعاوى[1] بل نجدهم يضطربون وتتضارب آراؤهم وتتبلبل أفكارهم بصورة لا يستطيعون أن يثبتوا على تهمة يقول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾[2]، فنلحظ أنهم ردوا مصدر القرآن تارة إلى الأحلام ورؤى المنامات، وتارة أخرى إلى الكذب والافتراء، وتارة ثالثة إلى الشعر والخيال، ألا ساء ما يحكمون .

(١) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ١٥، ١٦ .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٥) .

المبحث الثاني
أثر أصول الشبه على المعاصرين

لقد تناول بعض الباحثين وبخاصة بعض المستشرقين آراء المشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول الوحي والرسول، وتوسعوا فيها مُدَّعين أنهم ألبسوها ثوب البحث العلمي، مع أنها تكرار لآراء المشركين نفسها، فاغترفوا منها من غير تثبت ولا روية، وغيَّروا فيها حسب ما تمليه عليه أهواؤهم ورغباتهم، فجاءت مزاعمهم متهالكة ممجوجة لا يقبلها صاحب العقل المنصف .

لقد عمدوا على تزيين الكلام وتنميقه وربطه - زعماً - بالبحث العلمي وهو عنه بعيد، فتراهم يزعمون ويفترون ويختلقون بهدف تشويش الأذهان، والتشكيك في القرآن، ثم الإيحاء بأن الإسلام ليس من عند الله بل هو من أفكار محمد صلى الله عليه وسلم .

وبتتبع هذه الآراء والشبه يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

الأول: إبطال الوحي والادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى القرآن من عند نفسه، جاء في دائرة المعارف الإسلامية ((القرآن ليس من عند الله)) .

وقال غوساف لوبون: ((القرآن من عند محمد: من تأليفه)) .

وقال هـ . ج . ويلز: ((محمد هو الذي صنع القرآن))[1] .

أما كيف صنعه فقد زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان ساحراً

---

(١) انظر أقوالهم في: آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٣٢ .

لبقاً، أو أنه نظمه شعراً، أو أنه جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين .

وهذه الآراء والشبه هي ما كان يتداوله مشركو العرب ولكنها ألبست ثوباً جديداً فهم تأثروا بما قيل فيه سابقا .

ويمكن الرد عليهم بما سبق في أصول الشبه ويضاف إلى ذلك ما يلي:

١ - أن كلامهم غير صحيح فلو كان الوحي من عند محمد لجعله يوافق هواه، ويضمنه أحاديثه، ويسرد فيه حياته، ويوافق رأيه في كل شيء وخاصة المواقف التي جاء القرآن الكريم معاتباً له فيها، كموقفه من عبدالله بن أم مكتوم بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾[1] ومسألة أسرى بدر بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾[2] وغيرهما .

٢ - اختلاف أسلوب القرآن الكريم عن أسلوب قولِ وحديثِ الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه، فلو كان القرآن الكريم من عنده لما اختلف الأسلوبان .

٣- تضمن القرآن الكريم نبؤات غيبية وأحكام تشريعية وإشارات علمية دقيقة

---

(١) سورة عبس الآيتان (١، ٢) .

(٢) سورة الانفال الآيتان (٦٧، ٦٨) .

كل ذلك ينفي أن القرآن مصدره بشر .

٤- مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من المواقف الشديدة التي تحتاج أن ينزل القرآن الكريم ويحسمها، كما حصل لزوجه عائشة رضي الله عنها وحادثة الإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع الأمر من أول وهلة[١] .

الثاني: اتهام الرسول بأنه تلقى القرآن من عند غيره[٢] كالحداد الرومي، وبحيرا النصراني، وورقة بن نوفل، وتلقاه من أهل الكتاب، وأخذه ممن أسلم منهم، وذلك على اختلاف فيما بينهم، وهم بذلك يرددون ما ردده أسلافهم من المشركين أثناء نزول القرآن الكريم .

يقول مونتغمري واط: ((يبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد صلى الله عليه وسلم لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة . . . ومن الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة))[٣] .

ويقول جولد زيهر: ((فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه

(١) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٣٦ .

(٢) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ١٧، ١٨ .

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ١٦٤ .

عاطفة دينية صادقة))[1] .

وقال جوتين: ((من النزاع القائم بين النبي وبين الذين رفضوا الإيمان برسالته إشارة إلى إن المصدر الأصلي لمعلومات محمد هو بعض رجال بني إسرائيل، كما هو واضح من أقوال أهل مكة))[2] .

وقال فيليب حتي: ((إن محمداً صلى الله عليه وسلم استقى الكثير من المعلومات عمن أسلم من اليهود والنصارى أمثال سلمان الفارسي وعبدالله بن سلام ومارية القبطية وغيرهم))[3] .

وهذه الآراء كما نلاحظ هي ما سبق أن قاله وردده أسلافهم من المشركين ويرد عليهم بما سبق أن رددنا به عليهم، ونضيف هنا:

١- أن الحداد الرومي والذي كان يعمل حداداً بمكة رجل عامي، أعجمي اللسان، والقرآن عربي، يقول الله تعالى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[4] .

٢- أما قولهم بأنه تلقاه عن بحيرا الراهب بالشام أثناء تجارته لخديجة بنت خويلد، فإن اللقاء الذي تم كان عابراً وقصيراً لا يكفي لأن يأتي بهذا القرآن المعجز، ثم لو كان هذا الراهب هو مصدر القرآن لكان هو الأولى

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٣١، وانظر أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ١٧، ١٨ .

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٤١ .

(٣) الإسلام والمستشرقون ٣١ .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٣) .

به من محمد صلى الله عليه وسلم، ولادعى لنفسه النبوة بدلاً من أن يؤثر بها غيره، كما أن بحيرا أخبر أبا طالب بأنه سيكون لابن أخيه شأن عظيم، فلا يعقل أن يبشره بالنبوة ثم ينصب نفسه أستاذاً لهذا النبي، وهذا عدا الخلاف الواضح بين القرآن وما ينتمي إليه هذا الراهب[١] .

٣- أن قولهم أنه تعلم عن ورقة بن نوفل فهذا غير صحيح البتة فإن الروايات الصحيحة تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصل بورقة إلا بعد أن جاءه الوحي في غار حراء للسؤال عما رأى وسمع، وبحضور السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فلما أخبره كان موقفه المبشر والمصدق والمؤيد لنبوته، كما أن ورقة لم يدم طويلاً بعد هذا اللقاء، إذ توفي بعد ذلك بوقت قصير ومما قاله ورقة: ((هذا الناموس الذي نَزّل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك)) قالت عائشة: ((ثم لم ينشب ورقة أن توفي))[٢]، ثم إن القرآن الكريم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والوقائع فمن أين لورقة معرفة هذه الحوادث قبل وقوعها[٣] .

٤- أما قولهم إنه تلقاه من أهل الكتاب اليهود والنصارى الموجودين في

---

(١) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٧١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي .

(٣) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٧٣، ٤٧٤ .

جزيرة العرب فينقصه تحديد هؤلاء، ومتى تم لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بهم ؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت أنه التقى أحداً من اليهود والنصارى قبل البعثة إلا بحيرا الراهب وقد مضى بطلان تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم عنه.

ثم إن اليهود لم يكونوا في مكة والقرآن الكريم أكثره نزل في مكة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بينه وبينهم اتصال إلا بعد هجرته إلى المدينة حيث وجدوا، وقد كشف القرآن الكريم خيانتهم وتزويرهم وتحريفهم لكتبهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق وكتم العلم، حيث لا يبذلون لطالبيه حتى ظنوا به على أبنائهم، فهل يمكن أن يقال بعد ذلك إنهم عَلَّموا النبي صلى الله عليه وسلم ؟[1]

٥- وقولهم إنه أخذ القرآن عمن أسلم من اليهود والنصارى فهو قول باطل فإسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي، ولو كان كما يقولون إنه تتلمذ على يديهم لانفضوا من حوله، ولعادوا إلى دينهم، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الإسلام[2]، ثم إن سلمان الفارسي رضي الله عنه لم يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد الهجرة، وعبدالله بن سلام كان تلميذاً للرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم منه ويتلقى عنه فكان تابعاً لا متبوعاً .

(١) انظر النبأ العظيم ٦٩، ٧٢ .

(٢) انظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٣٥ .

يقول محمد دراز: ((أما الادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم تلقى علمه من ابن سلام هذا، فلا ينطوي ذلك على تحريف للحقائق التاريخية فحسب بالخلط بين دور التابع والمتبوع، وإنما ينطوي أيضا على قلب في ترتيب الأحداث التاريخية المعروفة، لأن جوهر حقائق التوراة كله كان قد أعلن بدقة في مكة وقبل أن تتاح الفرصة لأمثال عبدالله بن سلام أن يروا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، والجدير بالملاحظة أن الآيات القليلة التي نزلت بالمدينة تتعلق في أغلبها بالحقائق الدينية المسيحية التي ينكرها اليهود تماماً))[١] .

ومن هنا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلق علماً من أحد من الناس، ولم يجلس إلى عالم قط، فكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة فلم يبق إلا أن يكون القرآن الكريم ليس من عنده بل هو وحي أوحاه الله إليه .

الثالث: أن القرآن الكريم من إبداع محمد صلى الله عليه وسلم جاء به من عند نفسه بطريق الإلهام وهو ما يسمونه بـ: ((الوحي النفسي)) .

يقول مونتغمري واط: ((لا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيباً فيما يقول بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك مخطئاً، إذن فمحمد مخطيء في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بواسطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه، وتلك الجهة هي اللا شعور الجماعي))[٢] .

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٢٩، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٨٥ .

ويقول جو ستاف لوبون: ((ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات، ولا أهمية لذلك، فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤن الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر))(1).

ويقول جولد زيهر: ((ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قَدَّم بها محمد الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي))(2) .

وبعضهم يصف الحالة التي كانت تصيب محمداً صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بأنها حالة صرع واضطرابات عصبية، يقول جوستاف فيل: ((إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية))(3) .

ويقول نولدكة: ((إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع))(4).

وهذه الدعاوى هي أشبه بدعوى المشركين باتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون حيث زعموا أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه

(1) مناهج المستشرقين 1/ 29، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية 492 .

(2) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي 58 .

(3) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي 60 .

(4) أضواء على مواقف المستشرقين 6 .

رسول، يقول عتبة بن ربيعة: ((. . . وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه ولا تستطيع رَدَّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه))[1]، وزعم بعضهم أن الشياطين هي التي نزلت به كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[2]، والظاهر أن التهمتين واحدة اللهم إلا أن التعبير اختلف فكل عبر بحسب فهمه، فالمعاصرون من المستشرقين وغيرهم عبروا عنه بالوحي النفسي والأوهام والخيالات، والمشركون عبروا عنه بالجن، ويجاب عنهم بما سبق بالرد على شبه المشركين، وأضيف هنا ببعض ما قاله بعض المنصفين منهم:

فقال ماركس مايرهوف: ((أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول))[3] .

وقال بلاتونوف: ((وغاية ما نَقْدِر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض))[4] .

---

(١) سيرة بن هشام ١/ ٣١٣، والرئي: ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٢) سورة الشعراء الآيات (٢١٠ - ٢١٢) .

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ١/ ٤٠٣، والإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ١٦٢، والأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٧ .

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ١/ ٤٠٣ .

وقال ادوارد مونتيه: ((كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه))[1] .

كما أن الأدلة النقلية والعقلية تؤكد انتفاء أن يكون الوحي من داخل نفسه صلى الله عليه وسلم، فمن الأدلة النقلية على أن لفظه ومعناه من الله وليس من عند نفسه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2]، ومن الأدلة على أن الوحي إلى محمد مثل الوحي إلى سائر الأنبياء قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[3] .

ومن الأدلة العقلية أن أعراض الوحي الظاهرة عليه صلى الله عليه وسلم لا دخل له فيها فهي خارجة عن قدرته وذاته، بل كان يتلقى القرآن الكريم من أمين الوحي على عجل، يحرك لسانه وشفتيه طلباً لحفظه وعدم نسيانه، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[5]، فلو

---

(١) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ٩٤، وانظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٦١ .

(٢) سورة النجم الآيتان (٣، ٤) .

(٣): سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٤) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٥) سورة طه الآية (١١٤) .

كان القرآن نابعاً من نفسه لجرى على لسانه في كلامه العادي.

كما أن موقفه المليء بالخشية والتقديس للقرآن الكريم يؤكد أنه ليس من عند نفسه كما يقولون[١] .

وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته في صحة وعافية مميزة، ولم يطرأ عليه خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل بلغ الكمال في عقله وفي عمله وفي نشر دعوته، وفي إنشاء دولته وتأسيس نظامها . فلو كان مصاباً بأمراض نفسية أو الصرع ونحوه هل يقوى على ذلك ؟

يقول عبدالكريم الخطيب: ((أمجنون مصروع يبني دولة، وينشيء نظاماً، ويقيم دينا يعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل))[٢] .

وهكذا نلحظ أن شبهات المستشرقين ومن سار على نهجهم ترديد لشبهات المشركين إلا أنهم ألبسوها لباساً جديداً وعرضوها عرضاً مزركشاً مدعين الموضوعية والبحث العلمي، ولا أدل على ذلك من تخبطهم وتضاد آرائهم، فهم كلما وضعوا أيديهم على رأي لم يثبتوا عليه طويلاً، لأنه لم يحقق هدفهم، لذا فهم يظهرون كل الفروض والتقديرات التي يرون أنها تشكك أو تزرع شوكاً أمام حقيقة الوحي، نسأل الله أن يلهمنا الصواب في القول والعمل .

---

(١) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٧ .

(٢) النبي محمد ١٣٩، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٨ .

المبحث الثالث
موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات

بعد أن قدمنا أصول الشبه والرد عليها وأثرها على المعاصرين، نبين هنا موقف القرآن الكريم من هذه الشبه عموما وذلك بنهجه منهجاً سديداً سواء مع النبي صلى الله عليه وسلم المتلقي للقرآن الكريم بتثبيته وأمره بالصبر على ما يلاقيه من أذى وإنكار لما نزل عليه من الوحي، أم بالتأكيد على أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، أم بالرد المباشر على الشبه والافتراءات التي ألصقت بالقرآن الكريم ومصدره:

أولاً: تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتذكيره بأن ما رمي به حل بالأنبياء السابقين، فقال عز وجل: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾[2] .

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] .

كما أمر الله عز وجل نبيه بالصبر والتحمل وعدم التأثر بما يقولون

(١) سورة فصلت الآية (٤٣) .

(٢) سورة الحج الآيات (٤٢ – ٤٤) .

(٣) سورة الأنعام الآية (١٠) .

والثبات على ما أوصى الله به فقال عز وجل: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1] .

وأمره بالتمسك بالقرآن بقوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

وأمره بعدم الحزن لما يقولون بقوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[3] .

ثانياً: التأكيد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم على أن القرآن الكريم حق منزل من عند الله عز وجل ، فقال عز وجل: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[4]،وقال عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[5]، وقال عز وجل: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾[6] .

---

(١) سورة الروم الآية (٦٠) .

(٢) سورة الزخرف الآية (٤٣) .

(٣) سورة يس الآية (٧٦) .

(٤) سورة الفرقان الآية (٦) .

(٥) سورة السجدة الآيات (١ – ٣) .

(٦) سورة الزمر الآيتان (١، ٢) .

ثالثاً: التهديد الشديد والوعيد العظيم والعذاب الأليم لمن كذب بالقرآن بأي طريق كان، فقال عز وجل: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾[(1)]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾[(2)].

رابعاً: الرد على الشبه التي أثارها المنكرون الجاحدون، ودفع التهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من وحي، وقد سبق بيان شيء من ذلك، وأضيف هنا أدلة أخرى فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[(3)]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[(4)]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[(5)]، وقال عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ

(١) سورة القلم الآيتان (٤٤، ٤٥) .

(٢) سورة المطففين الآيات (١٢ – ١٧) .

(٣) سورة الشعراء الآيات (٢١٠ – ٢١٢) .

(٤) سورة سبأ الآية (٤٦) .

(٥) سورة يس الآية (٦٩) .

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] [3] .

وهكذا فإن القرآن الكريم لم يغفل إثبات حقيقته، ولا من نزل عليه، ورد على المبطلين له الشاكين المشككين فيه ومن خلال ما عرضنا في هذا الموضوع يتأكد لنا أن القرآن الكريم أمر غيبي آت من غير جهة إنسانية، خارج عن إرادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعن رغبته وعلمه واجتهاده، فهو رباني المبدأ، ملائكي النقل، بشري التبليغ .

والعاقل من يمسك عن كنه الوحي، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، والتفكير في ذلك قد يوصل إلى ما وصل إليه المشركون ومن تابعهم من المعاصرين المستشرقين وغيرهم فهم لم يفرقوا بين المُلْقي والمُتَلقي فوقعوا فيما وقعوا فيه، لذا كان لزاماً على كل عاقل أن يدرك أن الوحي حقيقة لا خيال، صدق لا كذب، تنزيل من حكيم حميد .

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأشكره على ما تفضل وأنعم، والحمد له أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله وأمينه على وحيه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة النجم الآيات (١ – ٥) .

(٢) سورة التكوير الآيات (٢٢ – ٢٧) .

(٣) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٣٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . . وبعد:

فإني أشكر الله تعالى الذي أنعم ويسر إعداد وكتابة هذا البحث المتعلق بالقرآن الكريم: مصدره، وكيفية وصوله إلينا، وأصول الشبه المثارة حوله، والرد عليها، وقد خلصت منه إلى النتائج التالية:

١- أن الوحي له عدة تعريفات تعود في جملتها إلى مفهوم الوحي وإطلاقاته .

٢- أن هناك فرق بين الوحي وبين الإلهام والكشف .

٣- أن ورود لفظة الوحي في القرآن الكريم لها عدة إطلاقات تختلف بحسب ورود كل منها .

٤- أن الوحي أنواع ثلاثة: وحي الله إلى الملائكة، ووحي الله إلى رسله دون واسطة، ووحي الله إلى رسله بواسطة الملك، وهو ما يسمى وحي الملك إلى الرسول، وهو أكثر أنواع الوحي وروداً في القرآن الكريم .

٥- أن الوسيط في نزول القرآن الكريم من الله تعالى هو: أمين الوحي جبريل عليه السلام، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم باسمه ووصفه في عدة مواضع أوجزتها في عشرة أسماء وأوصاف .

٦- أن صفة نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تتمثل في نزول الملك به من الله عز وجل، وأن نزوله كان على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تنزل القرآن الكريم إما أن يكون له تنزلين: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ومفرقاً على الرسول

صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة .

وإما أن يكون له نزولاً واحداً على وجه التفريق، فالرسول صلى الله عليه وسلم أخذه سماعاً من جبريل عليه السلام، وجبريل سماعاً من الله عز وجل.

وقد ذكرت أدلة كل وجه، وكيف أن القول الأول حضي بالشهرة وكثرة القائلين به، وأن الثاني له وجاهته واعتباره لتعضيد الأدلة له .

وذكرت أن من صفته: الاتفاق على أن نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان مفرقاً، ولذلك أدلته وحِكَمه وفوائده، تناولتها مفصلة في ثنايا البحث .

٧- تناولت هيئات الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي: الرؤية الصادقة في المنام، وتمثل جبريل في صورته الملكية، وتمثل جبريل في صورة بشر، والنفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم .

٨- تحدثت عن مظاهر الوحي المحسوسة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهي المشقة في التلقي، وسماع دوي كدوي النحل، وثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وبروك الناقة إذا نزل الوحي والرسول صلى الله عليه وسلم جالس عليها .

٩- بينت أيضا حال الصحابة رضي الله عنهم عند نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أدبهم في ذلك عند رؤيتهم لبعض العلامات الحسية المصاحبة لمجيء الوحي، ووصفهم لحال الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٠-أكدت على قطعية الوحي بالأدلة الظاهرة الصريحة من القرآن الكريم

وما قررته السنة في ذلك، ودلالات تلك القطعية .

١١-عرضت لأصول الشبه التي وردت في القرآن الكريم حول الوحي ومصدريته والرد عليها وهي زعمهم بأنه أساطير الأولين، وأنه مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قول شاعر أو كاهن أو مجنون أو ساحر .

١٢-بينت أثر أصول الشبه على المعاصرين وتلقفهم لها، والتوسع في عرضها، وإلباسها ثوباً جديداً لما كان يتناوله مشركو العرب، وتتركز في: إبطال الوحي والإدعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى القرآن من عند نفسه، واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه تلقى القرآن من عند غيره، وأن القرآن الكريم من إبداع محمد صلى الله عليه وسلم جاء به من عند نفسه عن طريق الإلهام أو ما يسمونه ((الوحي النفسي)) .

١٣-تناولت موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات سواء مع النبي صلى الله عليه وسلم المتلقي للقرآن الكريم بتثبيته وأمره بالصبر على ما يلاقيه من أذى وإنكار لما نزل عليه من الوحي، أم بالتأكيد على أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، أم بالرد المباشر على الشبه والافتراءات التي ألصقت بالقرآن الكريم ومصدره .

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

قائمة المصادر و المراجع

- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر إبراهيم رضوان، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، إدريس حامد محمد، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: علي البجاوي،نشر: دار المعرفة للطباعة ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢هـ .
- الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى عبدالكريم مرعي، نشر: دار الفرقان بعمان سنة ١٤١١هـ .
- أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ .
- الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبدالله الحاشدي، نشر: مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .
- الأسماء والصفات، للبيهقي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي،نشر: محمد بن لادن، وطبع دار الأصفهاني بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨هـ .

- أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د. شوقي خليل، نشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ليبيا، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد القسطلاني، ضبط: محمد عبدالعزيز الخالدي، نشر: دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى ببيروت سنة ١٤١٦هـ.
- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ.
- الإسلام والمستشرقون، نخبة من العلماء، نشر: عالم المعرفة بجدة سنة ١٤٠٥هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ، نشر: دار الوفاء بالمنصورة.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، نشر: دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، تحقيق: يحيى إسماعيل.

- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، عناية: صدقي محمد جميل، نشر: المكتبة التجارية مصطفى الباز مكة المكرمة .
- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ .
- البداية والنهاية، لابن كثير، نشر: مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م .
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .
- بهجة النفوس شرح صحيح البخاري، لابن أبي جمرة الأندلسي، نشر: دار الجيل، الطبعة الثالثة .
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: د. ضاحي عبدالباقي، الطبعة الأولى بالكويت سنة ١٤٢٢هـ .
- تاريخ القرآن، لمحمد حسين الصغير، نشر: الدار العالمية للطباعة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .
- التبيان في تفسير القرآن للطوسي، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، نشر: مكتبة الأمين بالنجف سنة ١٣٦٧هـ .
- تخريج أحاديث مشكلة الفقر، للألباني، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م .
- تفسير جزء عم، لمحمد عبده، الطبعة الثالثة سنة ١٣٤١هـ، نشر: الجمعية الخيرية الإسلامية .
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي الخازن الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥هـ، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٦هـ .
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، نشر: مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ .
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ .
- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. عبدالله شحاته، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة .
- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لعبدالله بن أحمد النسفي، نشر: المكتبة الأموية بدمشق .
- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: أبو الأشبال، نشر: دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم، عبدالسلام مقبل المجيدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، الرباط سنة ١٣٨٧هـ .
- تنزلات القرآن وحكمة كل تنزيل، د. السيد إسماعيل علي، نشر: دار الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ .
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل، للشيخ عبدالقادر بن شيبة الحمد، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، عناية: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ .
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبدالله درويش، نشر: الدار المصرية سنة ١٣٨٤هـ .
- التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق: د. عبدالعزيز الشهوان،نشر: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، طبع: شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، نشر: دار الكتاب العربي بالقاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ .
- جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: مكتبة التراث بمكة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- جواب السيوطي في حق الوحي، نسخة خطية مصورة من المكتبة السليمانية باستانبول .
- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ضبط: محمد عبدالسلام شاهين، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ
- الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد خليل هراس، نشر: دار الكتب الحديثة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .
- رسالة التوحيد، لمحمد عبده، نشر: دار الكتب العلمية بيروت .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، نشر: مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ .
- السنة، لابن أبي عاصم، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .
- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر: دار الجنان ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ .
- السنن الكبرى، للبيهقي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- سنن النسائي، لأبي عبدالرحمن النسائي، طبع: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- السيرة الحلبية، لعلي برهان الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٩هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا والأبياري وشلبي، نشر:

دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .

- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لأبي شامة، تعليق: جمال عزون، نشر: مكتبة العمرين العلمية بالشارقة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ .
- شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر: المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٧٩م .
- صحيح تاريخ الطبري، تحقيق: محمد البرزنجي، نشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ .
- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٤٠٠هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، شرح أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- الضوء المنير على التفسير، لابن القيم، جمع: علي الحمد الصالحي، نشر: مؤسسة النور بالرياض .
- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، وطبعة أخرى نشر: دار صادر ببيروت .

- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، نشر: دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- علوم القرآن، لنور الدين عتر، نشر: دار الخير سنة ١٤١٤هـ .
- علوم القرآن والتفسير، لمحمود شحاتة، نشر: دار الاعتصام بمصر سنة ١٩٨٠هـ .
- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية .
- فتح القدير، للشوكاني، نشر: شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ .
- فضائل القرآن، لابن الضريس، تحقيق: د. مسفر بن سعيد الغامدي، نشر دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- فضائل القرآن، لابن كثير، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، نشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- فضائل القرآن، لأبي عبدالقاسم بن سلام، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.
- فضائل القرآن، للنسائي، تحقيق: سمير الخولي، نشر: مؤسسة

الكتب الثقافية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لجارالله الزمخشري، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ .
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.
- لسان العرب، لابن منظور، نشر: دار لسان العرب ببيروت .
- لطائف الإشارات، للقسطلاني، تحقيق: إبراهيم بسيوني، نشر: دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ .
- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤م .
- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي الفضل بن الحسن، تحقيق: هاشم الرسولي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت سنة ١٣٧٩هـ .
- مجمع الزوائد، للهيثمي، نشر: دار الكتاب ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن محمد القاسم، طبع سنة ١٣٩٨هـ .
- محاسن التأويل، للقاسمي، تصحيح وتخريج: محمد فؤاد عبدالباقي،نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ.

- محاضرات في علوم القرآن، لغانم القدوري، نشر: دار عمار بالأردن، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق ابن عطية، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرون، طبعة وزارة الأوقاف بقطر،الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .
- مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبدالله دراز، نشر: دار القلم بالكويت سنة ١٤٠٤هـ .
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، نشر: دار اللواء بالرياض .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: طيار آلي قولاج، نشر: دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ .
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسبوري، نشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.
- مسند إسحاق بن راهوية، تحقيق: عبدالغفور البلوشي، نشر: مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ .
- مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .
- مسند الشهاب للقضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: مؤسسة

الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق: جمال عيتاني، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ .
- معالم التنزيل للبغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، نشر: دار إحياء الكتب العربية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ .
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، نشر: شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨١هـ.
- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، نشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة، بحث للتهامي نقرة .
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، طبع: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة .
- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي أبي عبدالله الحسين بن الحسن، تحقيق: حلمي محمد فودة، نشر: دار الفكر .
- النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، عناية: عبدالحميد الدخاخني، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ .

- النبوة والعصر، لمحمد رشدي عبيد، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ .
- النبي محمد، عبدالكريم الخطيب، نشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ .
- نزول القرآن الكريم، لمحمد بن عبدالرحمن الشايع، الطبعة الأولى سنة١٤١٨هـ .
- النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .
- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ .
- وحي الله، لحسن ضياء الدين عتر، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ .
- الوحي عند الصوفية، بحث منشور في مجلة ((بين النهرين))العدد ٢٩ ص ٢١٢ .
- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، نشر: دار المنار بالقاهرة، الطبعة الخامسة سنة ١٣٦٧هـ .
- الوحي والقرآن، عبدالحميد إبراهيم سرحان، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م .
- الوحي والقرآن الكريم، لمحمد حسين الذهبي، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .

- الـوحي ودلالاتـه في القـرآن والفكـر الإسـلامي، د. سـتار جـبر الأعرجي، نـشر: دار الكتـب العلميـة ببـيروت، الطبعـة الأولى سـنة ١٤٢١هـ.
- الوسـيط في تفـسير القـرآن المجيـد، للواحـدي، تحقيـق: عـادل عبدالموجود وآخـرون، نـشر: دار الكتـب العلميـة ببـيروت، الطبعـة الأولى سنة ١٤١٥هـ.

مسيرة علم التفسير
من منظور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في
كتابه :"التفسير ورجاله"

د. عبد الرحمن حللي بن محمد حسني

د. عبدالرحمن حللي بن محمد حسني

- عضو الهيئة التدريسية في قسم أصول الدين بكلية الشريعة بجامعة حلب.
- حصل على شهادة الدراسات المعمقة في أصول الدين (ماجستير) من جامعة الزيتونة بتونس.
- حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الإنسانية من جامعة الزيتونة بتونس (تخصص التفسير).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه، وبعد، فإن هذه الدراسة الموسومة بـ **"مسيرة علم التفسير من منظور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه:التفسير ورجاله"** تتناول بالتحليل والنقد رؤية العلامة التونسي المرحوم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ابن المفسر المشهور الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، لتاريخ علم التفسير والمراحل التي مر بها، مع استخراج المنطلقات التي يستند إليها، وتسجيل بعض الملاحظات النقدية التي يمكن تسجيلها على رؤى الشيخ الفاضل في هذا المجال، ويعتمد التحليل على كتابه في هذا المجال "التفسير ورجاله" وينتظم البحث ضمن المحاور الآتية:

تمهيد: عين على العِلم وعين على العلَم

أولاً-المنطلقات العلمية:أفكار تأسيسية في مسار علم التفسير

ثانياً- المحطات التاريخية:المراحل التي مر بها تفسير القرآن منذ عهد التدوين

ثالثاً-المراجعات العلمية:رؤى نقدية في "التفسير ورجاله"

الخاتمة:

تمهيد:

عين على العِلم وعين على العلَم

تمثل الحركة العلمية لكل علم من العلوم نسقاً خاصاً في الحضارة الإسلامية، وتأريخ كل نسق من هذه الأنساق وفهم مساراته هو تخصص بحد ذاته، ولئن درج المصنفون على تأريخ طبقات كل علم وترجمة أعلامه، فإن الحلقة الناقصة في هذه المصنفات هي التناول النقدي لهذا التاريخ من خلال رؤية كلية وبنيوية لمسيرة كل نسق من العلوم، وهذه الرؤية لا تتجلى إلا لمن جمع بين التأريخ العلمي للعلوم، والوعي بالنسق الحضاري الذي سارت فيه حركة التأليف فيها، ونجد من الأقدمين الذين تمكنوا من هذا الجانب ابن خلدون، الذي أرَّخ للعلوم في سياقها الحضاري وليس من منظور التاريخ البحت المعزول عن دور هذا النسق العلمي أو ذاك في الحراك الحضاري، أما حديثاً فيمثل العلامة محمد الفاضل ابن عاشور[1]

(١) محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٢٧ - ١٣٩٠ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٧٠ م) عاش في حياة أبيه مسترشدا بتوجيهه ومعتمدا على مكتبته الحافلة بالنفائس، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة، في تونس، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذاً فيه فعميداً، كان من أنشط أقرانه دؤوباً على مكافحة الاستعمار، شغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، كان من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة، ألقى محاضرات في جامعات السوربون واسطنبول وعليكره في الهند، شارك في ندوات علمية كثيرة وفي بعض مؤتمرات المستشرقين، من كتبه:(أركان الحياة العلمية بتونس، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ
=

نموذجاً في مقاربة أنساق العلوم برؤية كلية متماسكة لا تنفصل بتاريخ العلم عن سياقه الحضاري، بل يمكن القول إن منهج ابن خلدون الذي كان موضع اهتمام الفاضل ابن عاشور يتجلى بعمق في مقارباته.

هذا الوصف الذي يلف مختلف مقاربات الشيخ الفاضل نلحظه بصورة بارقة في مقاربته لمسيرة علم التفسير، والتي سبكها في متن محكم سماه "التفسير ورجاله"، وسيكون موضوع هذه الدراسة التي نعرض فيها رؤيته لمسار علم التفسير الذي قدمه من خلال مراحل سنحددها، كما سنناقش ونحلل بعض القضايا التي تطرق إليها في مقاربته.

ولئن كان حجم الكتاب صغيراً فإنه –كما يرى بعض الباحثين[1]- "على إيجازه يغني عن الكثير من المطولات من ناحية ما تتضمن من الحقائق التاريخية الممتدة على توالي العصور".

ومن ناحية المضمون فإن الكتاب يكثِّف معلومات مهمة وعميقة، فقد عمل في الكتاب على تجريد المراحل، وبيان التطورات، والوقوف على

= المغرب العربي، تراجم الأعلام، التفسير ورجاله، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصطلح الفقهي في المذهب المالكي)، من مصادر ترجمته:"الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ومسيرة التحرير والتنوير" أعمال ندوة نشرت ضمن سلسلة آفاق إسلامية، من إصدار وزارة الشؤون الدينية بتونس ، سبتمبر١٩٩٢م، خير الدين الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣٢٥-٣٢٦.

(١) محمد رجب البيومي، محمد الفاضل بن عاشور:بحَّاثة ذو رسالة، وكاتب ذو بيان، نشر في طبعة التفسير ورجاله التي صدرت هدية من مجلة الأزهر في شهري جمادى الآخرة ورجب لسنة ١٤٢٥هـ .

مصادر علم التفسير، فرجع إلى التفاسير الخطية والمطبوعة، ورَسَم لدارس التفسير خطاً بيانياً واضحاً جلياً، يكشف له عن جميع المراحل، ويبين الميزات والخصائص، ويعتني بالمقومات العلمية والفكرية لشخصية المفسر، وقد قدَّمه كنتيجة لدراسة طويلة، فكان قد حضر دروس والده في التحرير والتنوير، واشتغل بتدريس هذه المادة سنين طويلة بجامع الزيتونة الأعظم، فكان الكتاب ملخص محاضرات ألقاها في نحو ثلاث سنوات، كما ألقيت سماعاً في الإذاعة طوال نصف عام[1].

هذه الميزات تجعل من كتاب "التفسير ورجاله" مادة صالحة للدرس العلمي من ناحيتين، الأولى: ما يخص علم التفسير وآراء الفاضل فيه، والناحية الثانية: ما يكشفه الكتاب من الجانب العلمي في شخصية العلامة الفاضل ابن عاشور.

فأهمية الكتاب من الناحية التخصصية، أنه يمثل عيناً فاحصة على علم التفسير، تتجلى من خلاله مقاربة متقدمة في تأريخ علم التفسير ونقده، أو ما أصبح يعرف اليوم بـ"مناهج المفسرين"، فلم يكد يفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة قبل الفاضل ابن عاشور، إلا ما كان من معاصره المصري المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي، الذي قدم أطروحة دكتوراه بعنوان: "التفسير والمفسرون" عام ١٩٤٦م، وطبعت عام ١٩٧٦م في ثلاثة أجزاء، وتمثل موسوعة في موضوعها، ولا تبدو أي إشارة لاطلاع أحدهما

(١) انظر: محمد الحبيب بن الخوجه، تقديم كتاب "التفسير ورجاله"، م.س، التقديم.

على عمل الآخر أو صلته به، كما أن المنهج بينهما مختلف، فبينما يتجه عمل الذهبي إلى الموسوعية والتأريخ والشمول، يتجه عمل الفاضل إلى الانتقاء المنظم والإيجاز المحكم والربط العميق بين المنهج التفسيري الخاص والنسق العام للمعرفة في كل عصر، هذا الربط خلا منه عمل الذهبي الذي بدا مفككاً ضعيف الصلة بين مختلف حلقات ومراحل علم التفسير على أهمية الجهد العلمي الذي قام به ومرجعيته، لذا فإن العملين يتكاملان ولا يغني أحدهما عن الآخر، وبالأخص ما أضافه ابن عاشور مما يتصل بالتفسير في الغرب الإسلامي والذي لم يطلع عليه الذهبي كفاية، على أن البحث العلمي كشف عن معطيات جديدة في تاريخ علم التفسير لم يتطرق إليها لا ابن عاشور ولا الذهبي.

أولاً-المنطلقات العلمية:

أفكار تأسيسية في مسار علم التفسير

نعرض في هذا المحور من البحث المنطلقات التي سجلها الفاضل ابن عاشور والتي تكشف عن رؤى تأسيسية يتبناها فيما يخص علم التفسير، وهي رؤى تتعلق بمنطلقات النظر إلى التفسير كعلم، والموقف من النص القرآني وتفسيره، ونلخص هذه الرؤى في المحاور التالية:

١ -مرجعية القرآن: أصالة المعنى في النص:

يبتدئ الفاضل ابن عاشور كتابه بالحديث عن "نشأة التفسير"، مفتتحاً هذا الفصل بوصفين للقرآن يعبران عن المنطلق الذي يضبط تفسيره، وهما

"كونه **وحياً إلهياً** نزل على محمد صلى الله عليه وسلم"، وكونه "قرآناً **عربياً** بلسان عربي مبين" ويُتبع هذين الوصفين بما يؤكد مرجعية القرآن، التي صنع المسلمون من خلالها التاريخ الإسلامي، وما كان ليتم ذلك لو لم يكن القرآن كلاماً مفهوماً ممن قبِله أو أعرَض عنه.

من هذه المقدمات يؤكد ابن عاشور أصالة المعنى في النص القرآني فيقول:"انعقد إجماع الأمة الإسلامية على أن كل لفظ في القرآن له معناه الإفرادي، وكل كلام له معناه التركيبي، وأنه **لم يرد في القرآن ما لا معنى له،** ولم يرد فيه نصوص لها معان لا تفهم إلا بالتوقيف عليها من طرف شخص معين، بل إن كل ما فيه يدل على معاني ظاهرة، دلالته عليها بحسب **الوضع اللغوي العربي، وقوانين التركيب العربي.**"[1]، ويقرر هذا المنطلق للرد على الذين قرروا معنى لا يفهم في القرآن، والباطنية الذين عطلوا دلالة التراكيب، وأنكروا أن تكون المعاني مستفادة منها بطريق الوضع اللغوي، والتأليف النحوي والبلاغي، فجنحوا إلى المنحى الإشاري وأسقطوا على النص معنى خارجياً، وسائر التيارات المعطلة للمعنى القرآني.

ومن هذه المعطيات ندرك أن الفاضل ابن عاشور يؤكد أن النص القرآني مرجع ينبغي أن يستنطق من خلال قوانين التركيب العربي، وكأنه إذ يربط هذا البعد بالرد تاريخياً على من خرج على هذا المنطلق في فهم القرآن، ينبه إلى تأويلات قد تتجدد تحاول إفراغ النص من معناه أو تحاول الإسقاط فيه،

---

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٨

لاسيما من يتوسل لذلك عناوين كالمقاصد وغيرها، بوعي أو بدونه، ولم يخل عصر ابن عاشور ممن توسل هذه الأدوات في العلمنة والخروج عن النص باسمه، وبدعوى الوفاء له، وكان لهذا التيار أثره في حاضر ما يسمى اليوم الدراسات الحضارية في بلاده.

٢-لِمَ يحتاج القرآن إلى التفسير؟

القرآن كلام دال على معانيه، دلالة مأخوذة بالطريق الواضح العادي لدلالة الكلام العربي، فليس القرآن - بناء ذلك - بمحتاج إلى التفسير احتياجاً أصلياً، ولكن الحاجة إلى تفسير القرآن إنما هي **حاجة عارضة** نشأت من سببين:

السبب الأول: الحاجة إلى العلوم الأثرية النقلية المتصلة بالسيرة، وضبط تواريخ النزول وتفاصيل الأحوال العامة والخاصة، وذلك لفهم القرآن **ضرورة كون ترتيبه التعبدي (ترتيب التلاوة) غير ترتيب النزول (الترتيب التاريخي)** المؤقت والزائل بزوال ملابساته من الوقائع والأزمنة والأمكنة. فكان انقراض تلك الملابسات الوقتية محوجاً إلى معرفتها معرفة نقلية تصورية ليتمكن الآتون من استعمال القرائن والدوال، التي اهتدى بها إلى معاني التراكيب القرآنية سابقوهم.

وأما السبب الثاني: فهو أن دلالات القرآن الأصلية، التي هي واضحة بوضوح ما يقتضيه من الألفاظ والتراكيب، تتبعها معان تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام، إذ يكون التركيب صالحاً على

الترديد لمعان متباينة يتصور فيها معناه الأصلي ولا يتبين المراد منها، كأن يقع التعبير عن ذات بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خواصها، أو أحد لوازمها، على الطرائق البيانية المعهودة في اللغة العربية وغيرها، فينشأ عن ذلك إجمال، فيطلب بياناً، أو إبهام يتطلب تعييناً كما يقع ذلك في الكلام بصفة عامة(١).

فالفاضل يرى في **النص القرآني كلاماً مكتفياً بذاته**، والمعنى فيه واضح لا يحتاج إلى تفسير إلا باعتبار خارجي وليس ذاتياً، وذلك **لحاجة المفسر وليس لحاجة النص**، ولعله لهذا السبب لم يذكر الحاجة اللغوية إذ هي مشكلة القارئ وضعفه في اللغة وليست حاجة متصلة بالنص، ولعله بتعليله هذا يفسر قلة الحاجة إلى التفسير في العهد الأول، إذ محور الحاجة لم يكن موجوداً فمعرفة ملابسات النزول ما تزال قائمة، وكذلك مبهمات النص ومجملاته.

٣-"التفسير بالمأثور": ضبط المصطلح:

يحصر الفاضل ابن عاشور "التفسير المأثور" بأنه مادة نقلية إخبارية تتكون من عنصرين:

العنصر الأول: العلوم الأثرية النقلية المتصلة بالسيرة، وضبط تواريخ النزول وتفاصيل الأحوال العامة والخاصة.

العنصر الثاني:تعين المجملات والمبهمات في القرآن، والتي ترجع إلى

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله ، ص٢٠-٢٢

الدلالات التبعية للتراكيب القرآنية، أو احتمال التركيب لأكثر من معنى. وهي لا تعم جميع أجزاء القرآن.

وحاجة المفسر للمأثور إنما هي للاستعانة بذلك على استيضاح المعاني المقصودة من التركيب **استعانة فقط**، لأن **للتراكيب دلالاتها الذاتية**، التي لا تحددها، ولا تتحكم في تكييفها، تلك المناسبات وإن كانت معينة على استجلائها، إلا أن الحاجة أكثر تأكداً للعنصر الثاني، لأن العنصر الأول يعين على فهم لم يكن متوقفاً عليه، وأما هذا العنصر الثاني فإن تحقيق محامل الألفاظ على المقاصد التابعة لمعاني الكلام الأصلية يتوقف عليه توقفاً مطلقاً[(١)].

ويرى أنه شعبة مستقلة من الحديث (تخضع لقواعد النقد للأخبار)، تمتاز بغاياتها المرتبطة بفهم القرآن، وهي شعبة الأخبار التفسيرية أو التفسير بالمأثور، فيما يرجع إلى فرعي "أسباب النزول" و"مبهمات القرآن"[(٢)].

ويسجل **ملاحظة نقدية مهمة** حول ما شاع وأضيف إلى "التفسير المأثور" لاعتبار نقله عن الصحابة، كالمأثور عن ابن عباس رضي الله عنه من الفهم اللغوي المعتمد على الشعر الجاهلي، ومصادر أهل الكتاب، **فكلاهما لا يعتبران عنده من التفسير المأثور**[(٣)]، ويعلل ذلك بقوله:"ومن الظاهر أن هذين العنصرين، وإن وجدا في بعض كلام ابن عباس، لا يصح اعتبارهما

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٠-٢٢

(٢) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٥

(٣) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٦

من التفسير بالمأثور، لأن **مرجعها إلى الفهم وإلى المعرفة العامة** مما يجوز أن يكون محل خلاف مقبول من طرف من يفهم فهماً غير الفهم الذي ارتضاه ابن عباس، اعتماداً على شاهد غير الذي اعتمد عليه، أو جنوحاً إلى تخريج للتركيب على غير ما خرجه عليه؛ أو يكون محل خلاف معتبر أيضاً من طرف من عنده معرفة أمر من التواريخ أو أخبار الكتب السماوية القديمة يختلف عما عند ابن عباس، ويمكن توسيع المفاد القرآني به على خلاف ما رأى ابن عباس في توسيع المفاد القرآني بما لديه من المعرفة، ومن هنالك بدأ التفسير بالمأثور، يختلف بلون آخر من التفسير: يقبل اختلاف الأفهام، واختلاف التقادير، واختلاف الاجتهاد في استنباط المعنى، تبعاً لاختلاف ما يرجع إليه الاستنباط: من فهم لغوي، أو معرفة تاريخية لم تؤثر في السنة النبوية."[1].

فالفاضل هنا **يميز بدقة بين نقل الصحابي ما لا يمكن أن يكون محلاً للرأي**، وقد ضبط ذلك في عنصرين فقط (أسباب النزول والمبهمات)، وبين توظيف الصحابي للغة والمعرفة العامة في التفسير، والتي اعتبرها محل اجتهاد[2]، ولعله لهذا الاعتبار لم يصنف تفسير القرآن بالقرآن على أنه جزء

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٧-٢٨

(٢) كون التفسير اللغوي للصحابي من قبيل الاجتهاد لا يخرجه عن كونه من تفسير الصحابة الذي ينقل فيتحول إلى واحد من المأثورات في التفسير، ويتعامل معه كما هو منهج التعامل مع المأثور من اجتهادات الصحابة والتابعين في التفسير، ففرق بين المأثور الذي له حكم المرفوع الذي قصده الفاضل ابن عاشور وبين المأثور عن الصحابة من اجتهادات.

من التفسير المأثور، كما فعل الدكتور الذهبي[١]، إذ هو اجتهاد في تفسير الآية بآيات أخرى، هذا فضلاً عن عدم إضافته تفسير التابعي إلى التفسير بالمأثور.

٤ -"مناسبات للنزول" لا "أسباب النزول":

يعلل الفاضل ابن عاشور الترتيب التاريخي لنزول القرآن (التنجيم) بأنه "كان منظوراً فيه إلى مناسبة الظروف والوقائع، مناسبة ترجع إلى ركن من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[٢]، فيصف المعارف التي تسمى "أسباب النزول" وصفاً دقيقاً بقوله:"ما هي إلا مناسبات، لا أسباب حقيقية. وإن سميت أسباباً على طريق التسامح والتجوز، فإن العلماء متفقون على أن ما يدل عليه الكلام القرآني، هو الذي يؤخذ به، على ما في دلالته من شمول واتساع، لا يضيق منهما مراعاة الملابسات الظرفية التي اتصلت بتاريخ نزوله"[٣]، وبالتالي فرؤيته للنص القرآني هي رؤية مطلقة، إن اقتضت الرجوع إلى أسباب النزول، فذلك لاستكمال أوجه المعنى وتنزله التاريخي، لا لاستنباطه من النص الذي تتحكم به لغة النص

---

(١) انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، د.ط، د.ت، ج١ ص١٥٢، وانظر: عبد الرحمن حللي، «التفسير المأثور» الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم، صحيفة الحياة/ لندن ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٩.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٩.

(٣) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢١.

وصياغته، فالدلالة لا ترتبط بما هو خارج النص، وهو بهذه الرؤية **يقطع الطريق على أي تأويل تاريخي للنص يستند إلى أسباب النزول،** التي لا تقدم أكثر من معرفة مقتضى الحال الذي نزل النص بشأنه.

ثانياً- المحطات التاريخية:

المراحل التي مر بها تفسير القرآن منذ عهد التدوين

عرض الفاضل ابن عاشور إحدى عشرة مرحلة مركزية مر بها علم التفسير وتطور من خلالها، بدءاً من عصر التدوين إلى عصره، وأبرز في كل مرحلة العنوان الأبرز فيها، والأثر الذي تركه في سياق عصره ومن بعده، والإضافة التي تجلت فيه، مع لحظ صلة كلٍ بالمرحلة الحضارية التي مر بها المفسر والمنطقة الجغرافية التي عاش فيها، وأثر النمط المعرفي السائد في تجديد المنهج التفسيري عنده، دون أن يغفل عن المقارنة عندما يقتضي الأمر، وسألخص هذه المحطات وما لاحظه في كل منها، معتمداً على عبارته ما أمكن لأنها الأقدر على الوفاء بالمعنى، وسيكون هذا المحور من المقاربة خلاصة لرؤية الفاضل لتاريخ علم التفسير، وسأضيف مرحلة جديدة هي تفسير والده، استناداً إلى معطيات النظر التي أسسها في المراحل السابقة:

المرحلة الأولى:بدايات التدوين للتفسير:(عبد الملك ابن جريج، ت:١٤٩هـ):

يتابع الفاضل والده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في التأريخ لبدايات

عصر التدوين في علم التفسير، فيعتبران أنَّ أول شخصية أدخلت التفسير ميدان التدوين هو عبد الملك بن جريج(ت:١٤٩هـ) الذي جمع الأخبار في كتاب فكان أول من ألف في المأثور، لكن ذلك تم دون تحر أو تمييز بين الصحيح والسقيم[1]. ولعل حكمهما بهذا الشأن تنقصه الدقة العلمية، إذ كشفت المخطوطات والأبحاث عن مدونات أقدم من ابن جريج قد وصلت إلينا وسنشير إلى ذلك لاحقاً.

أما الظروف والسياق الذي مهد لتطور التفسير في النصف الثاني من القرن الثاني، فيمكن تلخيصها من وجهة نظر الفاضل ابن عاشور فيما يلي:

- حاجة التفسير إلى الإلمام بما تحتاجه أخبار التفسير من النواحي: الأثرية واللغوية والعلمية، **مع لحظ ما لكل ناحية من أثر في الأخرى وتعديل لها.**
- الحاجة إلى **موقف من الأخبار التفسيرية** يشبه موقف مصنفي السنّة من مختلف الحديث.
- الحاجة إلى **موقف الفقهاء** من متعارض فتاوى فقهاء الصحابة والتابعين، وهذا يستدعي إدخال عناصر جديدة من المعارف المتصلة بتوضيح البحث.
- إدخال عنصر شخصي من **النقد والتقدير**، والإسقاط والتحصيل، أو الجمع والتأويل، ينتهي إلى حكم موضوعي فاصل بحسب اجتهاد المؤلف،

---

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٠-٣١، وقد عرض الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لذلك في المقدمة الأولى من تفسيره، انظر:محمد الطاهر ابن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير"، المقدمة الأولى، ط:الدار التونسية للنشر ١٩٨٤، ج١ ص١٤.

وتقديره، تتخذ له تلك الأخبار المتخالفة أسانيد ومقومات للاستنتاج[١].

-دخول عنصرين يتصلان مباشرة باللفظ القرآني هما: **عنصر القراءة** (بترجيح أحد المعنيين لقوة القراءة أو ترجيح إحدى القراءتين لقوة المعنى)[٢] **وعنصر الإعراب** (وقد اعتمد عليه في اقتلاع كثير مما علق بالتفسير المأثور من الأخبار الواهية، أو الدعاوى التي لا بينات عليها)[٣].

هذه العناصر كانت مكونات لمنتج المرحلة الثانية من مراحل التدوين في علم التفسير.

المرحلة الثانية: حلقة الوصل المغفلة بين ابن جريج والطبري: (يحيى بن سلّام، ت:٢٠٠هـ):

يكاد ينفرد الفاضل ابن عاشور بين الباحثين المحدثين في إعادة الاعتبار للحلقة المجهولة بين عصر الطبري وبدايات عصر التدوين في علم التفسير، وهي حلقة يحيى بن سلام التميمي البصري الأفريقي المتوفى سنة ٢٠٠هـ، والتي يتم بها اتصال السلسلة، وقد ضاعت -كما يلاحظ- عن الكاتبين المحدثين قي تاريخ التفسير: من المستشرقين وغير المستشرقين، وهي حلقة أفريقية تونسية، ولعل هذه الخاصية هي التي ساعدته في اكتشافها لما لدى الفاضل من حرص على التأريخ العلمي لبلاده بالخصوص (تونس)،

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣١، ٣٣

(٢) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٥

(٣) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٧

ولتوفر المخطوطات لهذا التفسير التي مكنته من الإلمام بمحتواه، ويرى أنه بالوقوف على هذه الحلقة "يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مديناً له بذلك **المنهج الأثري النظري** الذي درج عليه في تفسيره العظيم". ويلخص **ميزات تفسير ابن سلام**، بأنه[1]:

- "أقدم التفاسير الموجودة على الإطلاق"[2] [وسنناقش هذا التعميم؟].
- يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري التي سار عليها بعده الطبري واشتهر بها.
- مبني على إيراد الأخبار مسندة، ثم تعقبها بالنقد والاختيار.
- ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي.
- ويتدرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه.

المرحلة الثالثة: الخروج من دائرة الحديث (الإمام الطبري، ت: ٣١٠هـ)، ونقد المأثور التفسيري (الإمام البخاري، ت٢٥٦هـ):

اصطبغ التفسير على يد الإمام الطبري صبغة جديدة بحق، لعلها هي التي سمحت له أن يختار، للدلالة على صنيعه، كلمة ما كان يختارها متعاطو

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٧-٣٨

(٢) هذا الإطلاق مقيد بالمعطيات التي وصل إليها، وإلا فقد وصل ما هو أقدم من ابن سلام، وأصبح متداولاً اليوم.

التفسير من قبله وهي كلمة "التأويل" فسمى تفسيره باسم: **"جامع البيان عن تأويل القرآن"** والتزم كلمة التأويل في ترجمة كل فصل من فصوله من المقدمات الواسعة المبسوطة إلى كلامه في تأويل الاستعاذة ثم تأويل البسملة، إلى فيوض بياناته على الآيات معنوناً كلاً منها على طريقة ملتزمة مطردة بقوله: "القول في تأويل قوله تعالى كذا". ويبرز أثره في وحدة الأسلوب وطرق التفسير منذ عهده إلى القرن الرابع عشر، فهو يفصح ببيانه عن المعنى المراد معتمداً ربط السياق، والعود بمراجع الكلام إلى معاقدها الواردة في مواضع أخرى من القرآن العظيم، والتمسك بما يدور عليه المعنى من دلالة المفردات اللغوية على المعاني التي هي مستعملة فيها، ببيان المعنى الأصلي للمفرد، والمعنى المنقول إليه، مع بيان مناسبة النقل، والاستشهاد بالشعر العربي، على ما يثبت استعمال اللفظ في المعنى الذي حمله عليه، ويكون في ذلك جازماً غير متردد، مستقلاً غير مقلد، ودعم ما ذهب إليه بما ينقل عن المتكلمين في التفسير من قبله، فيورد الأسانيد مسلسلة عن شيوخه، وإذا كان الأمر راجعاً إلى اختلاف في تعيين فهم لا يتوقف على تعيينه المعنى أشار إلى الخلاف في ذلك بعد تقرير المعنى الذي لا يختلف باختلاف تقدير المعنيين، ففصل الأقوال وأورد على كل قول منها ما يثبت عزوه من الأسانيد، ثم يعقب ذلك كله ببيان أن ليس له غناء في فهم معنى الكلام، ولا تأثير في اختلاف تقديره.

وهو في كثير من صور انتقاده للأحاديث المسندة قوي الاعتماد على الفقه وملاءمة الأمصار من الأقوال، فكثيراً ما يُرد حديثاً في تأويل آية بأنه خلاف

ما تقرر عند الفقهاء من الحكم. كما أنه في صور أخرى قوي **الاستناد إلى ما بين النحويين من كلام في تخريج التراكيب**، وكثيراً ما يجعل التخريج النحوي الراجح توجيهاً للقراءة وبياناً لأولويتها ويستخرج من رجحان القراءة وتوجيهها اختيار المعنى أو الحكم الذي يأخذ به، تبعاً لاختيار القراءة واختيار الوجه النحوي الذي خرجت عليه، فيقول: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك" وربما يؤكد جزمه بالاختيار فيقول: "والقراءة التي لا أختار غيرها"[١].

ويصحح الفاضل ابن عاشور النظر إلى تفسير الطبري ويعيد الاعتبار له ولمكانته بما يسجله من ملاحظات على تفسيره، حتى **اعتبره تحولاً في منهج التفسير ذا أثر بعيد**، فمما يلاحظه:

- يغلب فيه جانب الأنظار، غلبة واضحة، على جانب الآثار.
- قطع به التفسير ما كان يربطه إلى علم الحديث من تبعية ملتزمة.
- جعل العنصر الذي كان علم الحديث يسيطر به على التفسير أقل عناصر التفسير أهمية وذلك هو عنصر تفسير المبهمات ومعرفة أسباب النزول.
- جعل العنصر الذي لا غنى للتفسير فيه عن النقل، وهو عنصر بيان الأحكام معتمداً على فتاوى الفقهاء معتضداً بمعاقد الإجماع.

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٤٢ وما بعدها.

وينقد الذين يعتبرون تفسير الطبري تفسيراً أثرياً، أو من صنف التفسير بالمأثور، بأنهم "إنما يقتصرون على النظر إلى ظاهره بما فيه من كثرة الحديث والإسناد، ولا يتدبرون في طريقته وغايته التي يصرح بها من إيراد تلك الأسانيد المصنفة المرتبة الممحصة"، وممن ينقدهم في هذا المجال ابن خلدون، فيقول:"والعجب كل العجب من ابن خلدون حين راجت عليه هذه الشبهة، فعده من مدوني الآثار المنقولة مثل الواقدي والثعالبي، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن تفسير الطبري، كان منذ قرون، مفقوداً أو في حكم المفقود" [1].

لكن رغم جهود الإمام الطبري في انتزاع التفسير من دائرة الحديث وإيلاء عناصر التفسير مكانها إلى جانب المأثور، فإن جهوده لم تشكل تحولاً لدى معاصريه في نقد المأثور التفسيري وإعمال العناصر الأخرى في التفسير، فاستمرت الرواية غير الممحصة وغير المسندة في التفسير، واعتبر كل مذكور مأثوراً، فتحرك أهل الأثر لنقد مرويات التفسير بالمأثور، وتنقيحه، وكان على رأسهم الإمام البخاري (المعاصر للطبري تقريباً)، "فجعل البخاري أساس عمله في التفسير: اللغة بتحقيق معاني الألفاظ المحتاجة إلى بيان، وضبط مراجع اشتقاقها، ومواقع استعمالها، وتحري ما هو مأثور عن الصحابة، أو مرفوع للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من قول في معاني الآيات يجعله معلقاً على الثبوت من طرق ثبوت الحديث عنده،

(١)الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٤٦-٤٧

بشروطه الضيقة الدقيقة في المتن والإسناد. فإن ورد بذلك الطريق التزمه وحدث به بأسانيده، وإلا أبقاه على تعليقه غير ملتزم الأخذ به، كما فعل ذلك بالنسبة إلى أخبار السنة، وإن كان عمله هذا في أخبار التفسير أوسع"[1].

وقد ألف على هذا المنهج تأليفاً مستقلاً سماه **(التفسير الكبير)** لم يصل إلينا، ولا إلى أهل القرون التي مرت قبلنا، وقد ذكره صاحب كشف الظنون، وأسند ذكره إلى صاحب البخاري الإمام محمد بن يوسف الفربري.

ولكن الذي وصل إلينا من عمل الإمام البخاري في التفسير: هو ما اشتمل عليه **جامعه الصحيح**، فقد أورد فيه شيئاً كثيراً من أخبار التفسير، حتى كانت الأحاديث المرفوعة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك، **بين معلق وموصول، أكثر من ألف حديث**، منها ما أخرجه في كتاب خاص معقود لذلك، من كتب جامعه الصحيح: هو **كتاب التفسير**، الذي رتبه على سور القرآن مترجماً لكل سورة بترجمة، وهو يعادل في **مقداره عُشر الجامع الصحيح**، ومنها ما تفرق بين الكتب الأخرى من كتب الأحكام وغيرها بمناسبة ما يدخل في مواضيعها من الآيات.

فحصر الأحاديث المعتد بها في التفسير، فحكم على ما وراءها بالطرح وعدم الاعتداد، وزاد فأوقف على ما حصره من ذلك على ما هو صحيح الرفع فوصله، وعلى ما هو ليس بذلك فأبقاه معلقاً، وهو الكثير الغالب من

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٥١

تلك الآثار[1].

وإبراز الفاضل ابن عاشور لدور البخاري في علم التفسير هو إضافة مهمة والتفاتة لم يلحظها كثير من مؤرخي علم التفسير، إذ عرف البخاري محدثاً، ولم يشتهر بمكانته في التفسير والتي تتجاوز نقده المأثور التفسيري سنداً إلى تفعيل عناصر التفسير الأخرى، فقد أودع البخاري في كتابه (الجامع) مباحث ليست من موضوع علم الحديث، إنما هي لصيقة بالتفسير وعلوم القرآن، كغريب الحديث والمباحث اللغوية والصرفية ذات الصلة[2]، وغير ذلك مما وظفه البخاري في تفسير الآيات، هذا فضلاً عن كتابه المستقل "التفسير الكبير" والذي ما يزال في عالم المخطوطات المجهولة.

المرحلة الرابعة: نشأة التفسير النظري (جهود المعتزلة):

هذا الغالب غير الصحيح من التفسير المأثور **مكّن أهل الطريقة العلمية أن يتذرعوا إلى الحط من شأن الطريقة الأثرية**، بنقد أعلامها بأنفسهم، لما هو شائع بين الناس من ضعيف الأسانيد وسقيمها. وكان للمعتزلة الدور الأبرز في ذلك، **إذ كان لأصولهم أكبر الأثر في دفع التفسير العلمي**، لاسيما في مسألة تأويل متشابه القرآن، فكان هناك ارتباط بين الاعتزال ونشأة التفسير النظري، على يد معاصري الطبري من المعتزلة كأبي مسلم

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٥١-٥٢

(٢) انظر: سيد أحمد الإمام بن خطري، منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه "الصحيح"، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.

الأصفهاني (٣٢٢هـ)، وأبي علي الجبائي (٣٢١ هـ)، إلى الشريف المرتضى في القرن الخامس، ولقد أعان ما توفر للكثيرين منهم من رسوخ القدم في علم العربية، بكونهم بصريين، وطول الباع في العلوم الحكمية بكونهم متكلمين، على أن يبلغوا في ما قصدوا إليه من التأويل وتخريج أوجه المحامل مبلغاً عجيباً، وقد ساعدهم في ذلك ضلوعهم في العربية والعلوم الحكمية.

ويسجل الفاضل ابن عاشور نقداً للمعتزلة بقوله:"ولكن نزعة من العصبية الغالية قد أوغلت بهم في مسالك التعسف كلما كانت المحامل الواضحة، التي يستدعيها السياق ويقتضيها التركيب، مخالفة لمذاهبهم الكلامية في المعاني الاعتقادية، ونزعة من الغرور الذميم أركبتهم مركب ادعاء: أن آلة التأويل وقف عليهم، لا يحسن غيرهم أن يتعاطاها، بما اشتهر من براعة الشريف المرتضى التي شهدت بها مجالسه المشهورة أو أماليه"، ويتابع الحديث عن دور أهل السنة في هذه المرحلة وتخطيهم المعتزلة واستثمارهم الجانب المنهجي الذي اعتمدوه، "فكانت هبة السُنيين في القرن الرابع حين استشعروا أن الآلات العلمية التي كان المعتزلة يختصون بها ليست وقفاً عليهم، ولا هي كفيلة بنصرة مذهبهم نصرة مطلقة كما يتوهمون، أو يوهمون، عاملاً في أن يتعاطوا مناهج التأويل والبحث والنظر، وأن يبرزوا معاني القرآن محللة مفصلة مثل ما أبرزها المعتزلة، أو خيراً وأتقن مما أبرزوها، بدون أن يكون ذلك مستتبعاً نصرة الاعتزال، وتصحيح مذاهبه، بل إن في المحامل الصحيحة والمباحث الرشيقة دفعاً لما كانوا به

يصولون". [1]

فمثَّل القرن الرابع الهجري المرحلة الرابعة من مراحل التفسير إذ تبلور فيها نسقان علميان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، أحدهما تصحيح للتفسير المأثور والثاني تعميق وتأصيل للتفسير النظري العلمي، فكان الأول قد مهد له أهم علم في مدرسة الحديث (البخاري) والثاني عززته أهم مدرسة فكرية (المعتزلة).

المرحلة الخامسة: الدرس البلاغي في القرن الخامس والسادس: (من الجرجاني إلى الزمخشري وابن عطية):

استقرت نظرية الإعجاز القرآني عند المعتزلة منذ القرن الثالث، فجعلها الجاحظ في الإيجاز، وجعلها الواسطي في النظم، وجعلها الرماني في البديع، وأصبحت مسائل البلاغة من آلات الكشف عن نظرية إعجاز القرآن، وجاءت مقاربة الباقلاني في توظيف البلاغة في الكشف عن الإعجاز القرآني، وأكمل جهده الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، فضبط مراجع اختلاف طرق التعبير عن المعنى، وفتح باب بيان الوجه البلاغي المعجز من كل تركيب قرآني، وجعل ذلك الوجه ملاك المعنى المستفاد من التركيب[2].

وقد ظهر أثر الجرجاني في جهد علمين بارزين متعاصرين، الزمخشري

---

(1) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٥٣-٥٤

(2) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٥٨.

(٥٣٨هـ) في شرقي آسيا، وابن عطية (٥٤٢هـ) في غربي أوربا، ويحلل الفاضل ابن عاشور بدقة أن ابن عطية لم يستفد من الزمخشري أو يطلع على عمله، فقد اعتمدا على أصول مشتركة، فكانا أثرين مستقلين متحدين في الموضوع والمنهج والعصر(١). وكان بينهما اختلاف في المذهب العقدي والفقهي والبيئة الجغرافية، مع ملاحظة كتابة ابن عطية تفسيره في مرحلة الشباب والزمخشري في مرحلة الشيخوخة، وفي المسائل الخلافية بين السنة والمعتزلة كان الزمخشري مدافعاً وابن عطية مهاجماً(٢).

وفي هذه المحطة نلحظ دور ابن عاشور في إبراز مكانة ابن عطية، ومقارنة منهجه مع منهج الزمخشري، وإبراز أثر النسق الحضاري والعلمي الذي ينتمي إليه كل منهما، وهذه المقارنة والربط هي سنة منهجية في كتابه، وميزة تبرز ضلوعه في تتبع التاريخ العملي والجغرافي والحضاري لعلم التفسير.

المرحلة السادسة:نزع التفسير من سيطرة المحدثين والأدباء: استقرار الثقافة الإسلامية والجمع بين المعارف الحكمية والمعارف الدينية:(الإمام الرازي، ت:٦٠٦هـ):

قرأ الفاضل ابن عاشور تفسير الرازي، وسجل من خلاله ملاحظات حول ترجمة الإمام الرازي لم تذكر في تراجمه كرحلاته إلى العراق والشام من

---

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٦٠

(٢) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٧١

تفسيره[1]، كما حلل بدقة معالم كتابه والجديد فيه ضمن مسار علم التفسير، ويمكن أن نلخص ما سجله من ميزات وخصائص تفسير الرازي ضمن العناصر التالية[2]:

- غايته أن يضع القرآن العظيم موضع الدراسة والبحث والتحليل على منهج يرى **تفوق الحكمة القرآنية** على سائر الطرائق الفلسفية.
- آمن فخر الدين الرازي أن الحكمة القرآنية أسمى وأسلم من جميع الطرائق الكلامية، والمذاهب الفلسفية فانطلق يقرر فكرته للناس.
- حرر التفسير النظري من سيطرة المعتزلة عليه، وغلبة القشور على بحوثهم من النحو والبلاغة مما حجب الحكمة القرآنية عن دارسيه.
- اعتبر الناحية اللفظية من تفسير القرآن آخذة حظها وزيادة، في التفاسير الأخرى، فجاء يولي عنايته الغاية المقصودة من ورائها، وهي روح الهداية التي جاء القرآن ينير بها العقول، ويشرح لها الصدور.
- اعتنى الرازي بالإعجاز العلمي والغيبي، وهما وجهان من الإعجاز تكفل بهما الرازي، وبهما تعم حجة إعجاز القرآن جميع أهل العقول والمعارف، من العرب وغيرهم.
- المطلوب الأول، إنما هو معنى الآية، إذ يأخذ في بيان مفادها الأصلي.

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٧٧.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٧٩-٨٥.

- يستخرج البيان من تركيب الآية بحسب قوانين العربية، ونكت بلاغتها، مقتصداً في ذلك.
- يبين ويفصل مجتهداً في ربط أوصال الكلام، وإحكام تسلسل المعاني، والتنبيه على تولد بعضها من بعض، حتى تنتهي بذاتها إلى المساس بمطالب حكمية، ومسائل علمية، يسوقها حينئذ على أنها حلق متممة سلسلة المعنى المرتبط بأصل المفاد القرآني، على أحكم وجه من الربط.

وإذ سجل هذه الملاحظات، انتقد الفاضل كلمة صدرت عن غير روية ولا تحقق، وراجت في مجالس العلماء، قديماً وحديثاً، من أن "تفسير الرازي قد اشتمل على كل علم إلا التفسير"[1]. ويرد على هذه المقولة بالملاحظات الآتية:

- بما أشار إليه فخر الدين نفسه: من تلك الطريقة المألوفة التي التزمت في التفسير من قبله وهي طريقة تحليل التركيب والغوص على مناحي الاستنباط منه.
- أنها طريقة لا غنى عنها لطالب التفسير على وجهه الأكمل.
- أنها ليست هي كل التفسير، بل تدخل في مقدمات التفسير لا في نتائجه.
- أن الغض من تفسير الرازي مطمح كثير من المتعصبين لتفسير

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٨٥.

الكشاف.

- لعل الإمام الرازي، قد اعتبر الناحية اللفظية من تفسير القرآن آخذة حظها وزيادة، في التفاسير الأخرى.
- أن الفخر الرازي لم يكن يقصد الاستكثار والاستطراد، وإنما تأتي المطالب الحكمية، والمسائل علمية، على أنها حلق متممة سلسلة المعنى المرتبط بأصل المفاد القرآني.

ويسجل موقفاً علمياً محصاً من الاختلاف في نسبة التفسير للإمام الرازي وإكماله فيقول:"والذي يبدو في نظرنا فيصلاً بين ذلك كله: أن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي وبقي شيء في الأمالي والمسودات بيد بعض تلاميذه، فأقبل على تصنيفه وتحريره، وألحق في ذلك الفرع بالأصل. **فالكتاب بروحه هو للرازي كله وبتحريره**، هو من وضعه في الأول ووضع تلميذه الخوبي في الآخر. على أن تحقيق محل الفصل بين التحريرين أمر لا دليل عليه ولا سبيل إلى تحقيقه بالقطع"[(1)].

(1) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٩٥، وانظر في تأكيد هذا المعنى، محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، ط:دار الحرية-بغداد ١٩٧٤، ص٦٢، عبادة بن أيوب الكبيسي، شبهات حول تفسير الرازي:عرض ومناقشة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي، العدد:١٦-١٩٩٨ ص٦٤.

المرحلة السابعة: جهود رجال الأصلين (أصول الدين وأصول الفقه): تقارب مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على الطريقة الأعجمية: (البيضاوي ت: ٦٨٥هـ):

بعد أن استقرت الثقافة الإسلامية في القرن السادس تم الجمع بين عناصرها في القرن السابع، والذي تم فيه الجمع بين أصول الدين وأصول الفقه، وضم علوم العربية والأدب إلى علوم الشريعة والحكمة[١]. وكان الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) نموذجاً في هذا الجمع:

- فاعتمد على الكشاف في بيان الألفاظ والتراكيب وتحليل المباني لاستخراج نكت المعاني.
- واعتمد على الرازي في إبراز روح الحكمة القرآنية وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة وأصول الدين وأصول الفقه.
- واعتمد على الراغب الأصفهاني في استجلاء نكت الإشارات إلى دقائق المعارف.
- واستقل وانفرد ببعض التحقيقات مع جمع الأوجه وتحقيقها والترجيح بينها[٢].

"وكان المنهج المتبع في تصنيف البيضاوي، والأسلوب المحتذى في تحريره: هما المنهج والأسلوب اللذين جرى عليهما مصطلح التآليف العلمية في

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٩٨.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٠٠-١٠١.

عامة الفنون، من أول القرن السابع: من حيث الاختصار، ودقة التعبير، والتزام المصطلح العلمي، والإشارة إلى ما يتفرع عن التعبير من معان يُكتفى بحضورها في الذهن عن ذكرها، ثم تؤخذ مباني لما يأتي به التعبير بعدها.."[1].

فأصبحت دراسة البيضاوي دراسة للكشاف بالواسطة، فتأخرت حواشي الكشاف إلى القرن الثامن وما بعده مستنيرة بالبيضاوي وتآليفه، وأصبحت متمازجة مع حواشي البيضاوي، حتى أصبح تدريس تفسير البيضاوي منتهى مبلغ الهمم العالية، وميزان الملكات والمواهب، فوضع في أعلى الهيكل الهرمي لمواد التخرج في العلوم الإسلامية، وعمت منزلته تلك أقطار الإسلام في المشارق والمغارب، فتأصلت منزلته أولاً في الشرق الأوسط، والشرق الأقصى، وانتظم في المناهج الدراسية ببلاد فارس، وبلاد الأفغان، والأقطار الهندية، ثم كان في جملة ما تسرب من الملتزمات التعليمية من البلاد الفارسية إلى آسيا الصغرى وعموم الممالك العثمانية واشتهر بمصر من قبل الفتح العثماني إذ كان من الكاتبين عليه من العلماء المصريين، في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، القاضي زكريا الأنصاري، والإمام السيوطي، وعظم شأنه في القرن العاشر بانتظام أهم معاهد العلم في البلاد العربية في تاج الخلافة العثمانية، وخاصة الجامع الأزهر، وجامع الزيتونة. وبذلك **تقاربت مناهج التعليم، بين البلاد الإسلامية كلها، على الطريقة الأعجمية،**

---

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٠٣.

فأصبح تفسير البيضاوي ملتزم التدريس من أقاصي الهند إلى المغرب الأقصى[١].

"على أن القاضي البيضاوي لم يسلم من أمر وقع فيه قبله صاحب الكشاف، وتهاون بأمره العلماء بعد القرن الثامن: وهو عدم التحري في درجة الأحاديث التي يوردها، معرضاً بما عليها من النقد والتزييف، وما يتصل بها من مباحث التجريح والتعديل، وذلك أمر أخذ عليه بحق"[٢].

المرحلة الثامنة:الطريقة المغربية في التفسير (ابن عرفة ت:٨٠٣هـ):

كما أشرنا من قبل فإن من أهم ميزات عمل ابن عاشور المقارنة العلمية والمنهجية بين مختلف المراحل وأبعادها الحضارية والجغرافية، ومن ملاحظاته في هذا المجال والتي غفل عنها مؤرخو التفسير بشكل عام إبراز مكانة المدرسة المغربية في التفسير، "فكان منهج التدريس الشرقي شرحاً للكتب وتقريراً وتعليقاً، وكان **منهج التدريس المغربي دراسة للعلوم وبحثاً وإملاء**، وكانت بلاد الشرق العربي ملتقى لهذين المنهجين يتناظران بها حول الجامع الأزهر الشريف متجهاً أحدهما إلى الضفة الشرقية لوادي النيل ومتجهاً الآخر إلى الضفة الغربية له"[٣].

"وكان ابن عرفة يسلك مسلك الجمع والتحليل والإملاء فتُتلى الآية أو

---

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٠٥-١٠٧.

(٢)الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٠٨.

(٣) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١١٠.

الآيات بين يديه ثم يأخذ معناها بتحليل التركيب وإيراد كلام أئمة اللغة أو النحو على معاني المفردات ومفاد التراكيب منشداً على ذلك الشواهد ومورداً الأمثال والأحاديث. ويهتم بالتخريج والتأويل حتى تتضح دلالة الآية مستقيمة على المعنى الذي يتعلق به ويرد ما عسى أن يكون قد وقع من تخريج بعيد أو تأويل غير مقبول بتطبيق القواعد اللغوية والنكت البلاغية أو بإثارة ما يتعلق بالمفاد من مباحث أصولية ترجع إلى أصول الدين أو أصول الفقه"(١).

وعلى هذه الطريقة، تكوَّن من دَرسِ ابن عرفة تفسير نفيس: حي المباحث، مستقل الأنظار، متين المباني، غزير الفوائد. ولم يتول الشيخ ابن عرفة بنفسه كتابة هذا التفسير المتضمن خلاصة دروسه القيمة، ولكن طلبته من الأجيال المتعاقبة هم الذين اضطلعوا بذلك فقيدوا أمالي شيخهم وفوائده حتى خرجت تفسيراً ينسب إليه وإن لم يكن من تحرير قلمه فلذلك يسند إليه الكلام بطريق النقل ويرمز إلى اسمه بحرف العين، وأشهر الذين عرفوا بتدوين هذا التفسير هم ثلاثة من أكابر أصحابه تونسي وجزائري ومغربي. أما التونسي فهو أكبر أصحاب ابن عرفة وأخصهم به وهو الشيخ محمد الأبي، وأما الجزائري فهو الشيخ أحمد البسيلي، وأما المغربي فهو الشيخ أبو القاسم السلاوي(٢).

---

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١١٢.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١١٣.

المرحلة التاسعة:الجمع بين الكشاف والبيضاوي (الدور العثماني): (أبو السعود، ت:٩٨٢هـ):

أصبح لخصائص المنهج الأعجمي في التأليف والتدريس امتداد إلى بلاد السلطنة العثمانية بالأناضول، فاتسع بذلك مجال البحث حول تفسيري الكشاف والبيضاوي، والتزمت طريقة تتبع أحدهما بالآخر فأثمرت بحوثاً وتقريرات شاقة مضنية، ولما كانت نزعة الجمع والتلخيص والمحاكمة قد شاعت بين العلماء العثمانيين الذين كادت أن تغمرهم أمواج البحوث الزاحفة عليهم من البلاد الفارسية، فإن التطلع إلى وضع تفسير جديد يجمع بين الكشاف والبيضاوي ويريح من عناء تسليط كلام ذلك على هذا وتلخيص المهم من المباحث المعلقة عليها قد أصبح تطلعاً شائعاً في بيئة العلم العثمانية الفتية. فكان الذي انتدب لتحقيق هذه الرغبة، والاستجابة لذلك التطلع، هو العلامة شيخ الإسلام أبو السعود العمادي المتوفى أواخر القرن العاشر سنة ٩٨٢هـ.

وكانت عناية أبي السعود بالتدريس والتقرير، على الطريقة الأعجمية، تحبب إليه أن يخرج تفسيراً متناسباً مع خصائص تلك الطريقة التدريسية مثل تفسير البيضاوي، يكون قد ردَّ على البيضاوي ما تركه من مباحث الكشاف، وأضاف إليه نتائج البحوث الجديدة التي تعلقت بهما، وخلاصة الآراء المبتكرة التي تبدو له في مواضع من التفسير، فأخرج على هذا المنوال تفسيره الذي سار ذكره وعظمت شهرته وهو التفسير الذي سماه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العظيم"[(١)].

(١) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١١٧-١١٨.

ويصف الفاضل مكانة الكتاب وانتشاره فيقول:" تلقفه الناس منذ بروزه بالاعتناء، ونظروا إليه بالإعجاب، فشاعت نسخته الخطية شرقاً وغرباً وأصبح مقاسماً للبيضاوي عناية الناس به، وملأ برامج التعليم في معاهد البلاد الإسلامية قاطبة بعد أن نظمت العظمة العثمانية تلك البلاد في سلك واحد، اتسق به سير التعليم الإسلامي في المشرق والمغرب منذ القرن العاشر إلى قرننا الحاضر"(١).

المرحلة العاشرة:عودة العراق إلى الإشعاع العلمي: (الأشعرية الحنفية والسنية الصوفية) مجمع أنهر المعارف: (الشهاب الألوسي، ت: ١٢٧٠هـ):

نشأت البيئة السنية الجديدة لتواجه البيئة المتمكنة في العراق من قبلها، مواجهة قوية عنيفة بما تمكن للبيئة الناشئة من عوامل القوة والحصانة في ظل الحكم التركي العثماني، إذ انتظم فيها المذهب الحنفي مع العقيدة الأشعرية والطريقة الصوفية(٢).

فنشأ العلامة شهاب الدين محمود الآلوسي ببغداد، وقد عرفت الأمن والاستقرار، بعد طول العهد بهما، فتكونت فيها بيئة علمية سنية إلى جنب البيئة العلمية الشيعية، التي كانت قد ازدهرت من قبل، بما وجدت في حمى الحكم الصفوي الإيراني من مقام منعة وجلال. وتكونت له مع الخلافة

---

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٢٠.

(٢) انظر:الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٢٨.

العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني صلة أكيدة، يرعى كل من الطرفين حرمتها ويقابل رعاية الطرف الآخر لها بأحسن منها[١].

وقد ظهر تفسيره في ظل التنافس العلمي والتنازع المذهبي بين السنيين والشيعة الإمامية، وفي أوج انتشار كتب تفاسير الفريقين مع تفاسير الصوفية، فلم يكن في التفاسير السنية المنتشرة مرجع مكتف بنفسه عن غيره، كما كانت النزعة الباطنية في التفاسير الصوفية والشيعية[٢]، فكان على ملتقى تيارات فكرية متباينة المنابع مختلفة المجاري، فالمذهب الجعفري بأصوله وطرائقه، والحكمة العقلية والطبيعية الممتزجة بعلم الكلام السني كانت في درجة سموها، والفقه كان قد تأثر بانتشار المذهب الحنفي، وعلم التصوف كان قد ساد وجند عقول العامة والخاصة، حتى لم يبق لغيره معه من مجال، وعلوم اللغة العربية كانت سائرة على المنهج التحليلي، الذي عليه أعاظم الأعاجم وعلماء الروم، والأدب الفارسي من جهته كان قد سما بالحكمة الصوفية، **وكان الألوسي قد ورد كل نهر من تلك الأنهار المتلاقية،** فبهذه الثروة الواسعة من المعارف، وبالأسلوب الجامع بينها في **الدراسة على الطريقة العثمانية الجديدة،** التي كانت قوام البيئة العلمية في بغداد، تقدم الشيخ محمود الألوسي لتحرير تفسيره الذي جاء في تسع مجلدات ضخمة تتألف من أكثر من خمسة آلاف صفحة مطبوعة من القالب الكبير[٣].

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٣٤.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٤٢-١٤٥.

فسلك فيه مسلك التفسير اللغوي ينتقل إلى المفاد معتمداً على الأحاديث وأسباب النزول متحرياً في ذلك يتجنب الأخبار الواهية ويحرص على الإسناد المعتد به، كما يحرص على إيراد الأنظار الأصلية والفرعية، فيناقش الاستدلالات ويتعقب الأقوال ويعتمد على مقابلة الرأي بالرأي، وكثيراً ما يخوض المباحث الفلسفية أو الرياضية أو الطبيعية لمناقضة المذاهب غير الإسلامية، معتمداً في ذلك على أحدث ما انتهت إليه المعارف في بيئته، ونازعاً في ذلك المنازع العجيبة في الاستدلال، وهو في كل هذه المباحث يجري في مجال واسع من الأنظار والمعارف[1].

ولقد استطاع الألوسي أن **يقيم حداً فاصلاً بين معرفته العلمية والصوفية،** فاعتبر الألوسي معاني الآيات هي التي تقتضيها دلالة ألفاظها وتراكيبها ومستبطناتها للمعاني الحُكمية والحكمية التي تتناسب مع تلك الدلالات، ولكنه جعل بعد الفراغ من تفسير كل طائفة من الآيات، فصلاً خاصاً بما ذكره الصوفية في تلك الآيات من المعاني الذوقية، وتحاشى الادعاء بأن المعاني الصوفية هي المقصود الأصلي، حتى يكون المعنى الظاهر غير مراد، وحكم على ذلك بأنه اعتقاد الباطنية الملاحدة، وتجنب أن يجعل تلك المعاني الصوفية تفسيراً[2].

ويسجل الفاضل نقداً علمياً على الألوسي في هذه النقطة، بأن هذا

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٤٦.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٤٧-١٤٨.

الاحتياط لم ينفعه لأنه في إيراد إشارات، متجنباً استفادتها من دلالة اللفظ قد فتح خرقاً جديداً يقتضي أن هنالك طريقاً لاستفادة المراد غير مقتضى الألفاظ، وهو خروج عن قاعدة أهل السنة: في أن الالهام ليس من أسباب المعرفة. وإذا كانت تلك المعاني مقصودة فكأن غيرها حائل دونها، وبذلك صح له أن يسمي الفقهاء والعلماء في كثير من المقامات بأهل الحجاب، وذلك هو ما أثار على تفسير الألوسي الطامة الكبرى من العلماء المتمسكين بالمبادئ الأصلية، المدركين ما في تلك الخروق من الأخطار، يقول:"وقد كان أستاذنا الأعظم شيخ الإسلام سيدي محمد بن يوسف قدس الله روحه شديد النكير عليه، عظيم التحذير منه، لا يكاد يتسامح لأحد طلبته بالرجوع إليه، بله الاعتماد عليه، لهذا المعنى من التفسير بالإشارة زيادة على ما للألوسي من نزعة خاصة في الاستدلال الفقهي لم يكن شيخنا ابن يوسف ـ رحمه الله ـ ميالاً إليها". وينتهي إلى أن تفسير الألوسي لو جرد عن قسم التفسير بالإشارة لكان أليق بمقامه العلمي السامي، ولكن من نظر إلى التيارات التي تلاقت في تكوينه وتكوين البيئة العلمية التي أنجبته، التمس له عذراً، وأيقن بأن **تعلق الأفكار بتلك المناهج من التفسير لم يكن يحتمل** إلغاءها لأنها تستقل حينئذ بتوجيه الناس، ولذلك أوردها إلى جنب التحقيقات العلمية الكفيلة بردها أو حجزها عند وضع يقصرها على حدها[1].

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٤٨-١٤٩.

فكان تفسير الألوسي واحداً من جملة الجهود الفكرية التي سارت في فروع الحياة الإسلامية عامة منطلقة بسيرها ذلك من أصل الحياة وقوامها وهو **التفكير الديني المؤسس على القرآن وتفسيره**[1]، وكأن الفاضل يصنف تفسير الألوسي في سياق بدايات التفكير الإصلاحي المنهجي القائم على مرجعية القرآن.

المرحلة الحادية عشرة:النهضة الإسلامية ومرجعية القرآن للإصلاح الديني:مدرسة المنار(الأفغاني-عبده- رضا):

آل حال العالم الإسلامي إلى التنافر بين مثله العليا وبين واقعه المحسوس، أواخر القرن الهجري الثالث عشر[2]، فلما هبَّ المجتمع الإسلامي من نومته، على فجر النهضة في أواخر القرن الماضي، وجد الأحكام الإسلامية والحكم القرآنية محصورة وراء سور مضروب عليها، من البدع والعوائد، لا تستطيع أن تتعداه إلى المحيط الواسع، والحقل الخصب، إلا إذا اقتدت بنور التفكير الديني يهديها إلى طريق تخلص به من سور البدع المحيط بها حتى تتحرك حرة طليقة، ويرى الوجود صورتها النقية مجردة عما كان يرين عليها في محبسها وراء سد البدع والعادات، وكانت هناك محاولات أخرى منصبة إليه من الغرب ومن الشرق تتجه إلى قطع أمله من تجديد كيانه

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٥٥

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٥٨.

الإسلامي[١].

فكان الذي تحقق فيه أمل العالم الإسلامي، في بروز دعوة دينية هادية، على يد **جمال الدين الأفغاني**، الذي استكمل جهازه العلمي في العربية والفارسية من علوم لسانية وأدبية ودينية وعقلية، فبلغ فيها المنتهى على ما هو شأن أهل القطر الذي نشأ فيه، ويطيل الشيخ الفاضل الحديث عن الأفغاني ورحلاته، ويركز بالخصوص على إقامته في مصر ثماني سنين، كانت هي طور بروز حكمته ومعرفته، والإصداع بدعوته في الإصلاح الديني، بما لها من أثر جديد في توجيه تفسير القرآن، فبعث ما كان مهجوراً من مواد الثقافة الإسلامية وطرائقها بتدريس الكلام والحكمة والرياضيات وتحريك مثارات المباحث، وفتح مسالك النظر وتهيئة فرصة التقرير والتحرير وصقل ملكاتها بالنقد والمران، وكان ينبه إلى ما في الإعراض عن الدراسات الحكمية من علمية وصوفية من نقص في العالم الإسلامي يجعل نتاجه العلمي ضئيلاً منقوصاً[٢]، وكان كتب في الهند بعد خروجه من مصر رسالة باللغة الفارسية، كانت **دستور المنهج الإصلاحي الديني** الذي سارت عليه من بعده الدراسات الدينية والقرآنية في مجلة المنار وآثار الشيخ محمد عبده. وقارن فيها أطوار تواريخ الأمم بما نالت من سعادة في التدين وما أصابها من شر بالتورط في المذاهب الإلحادية[٣]. هذه الرسالة هي التي

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٦٦.

(٣) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٦٨.

حرر ترجمتها فيما بعد الشيخ محمد عبده، بعنوان "**الرد على الدهريين**"، وكان في مقدمة المنتسبين إليه والآخذين عنه. "فلم يكن الشيخ **محمد عبده** في الحقيقة إلا أثراً من آثار السيد الأفغاني، لم ينفذ إلى لباب المعارف إلا بتوجيهه، ولم يتذوق روح حكمتها إلا بنفحاته"[1].

وكان **توجهه إلى القرآن بعد خيبة الإصلاح السياسي**، فإنه إذا كان بالمسلمين فساد في الوضع السياسي، أفليس في هدى القرآن، الذي هدى من كان قبلهم ممن هم أجهل منهم وأضل، ما هو كفيل بإصلاح ذلك الفساد، فما بال الأولين اهتدوا بهدى الكتاب المبين فأصلحوا ما بهم من فاسد، وقوموا ما بهم من منحرف وهؤلاء الآخرون عجزوا عن إصلاح فسادهم، وعلاج دائهم، مع أن الدواء الذي عالج أوائلهم بالأمس موجود بين يديهم اليوم، فكانوا كالذي يتجرع الغصص من آلامه، والدواء في بيته، وهو لا يتناوله.

فكان القرآن حينئذ، على ما رآه الشيخ محمد عبده، الدواء الشافي للمسلمين مما هم فيه، عن طريق التعليم الصحيح للإسلام، والتفسير الحكيم للقرآن[2]. فابتدأ في بيروت منهج تقرير العقيدة الدينية وتفسير القرآن تقريراً وتفسيراً يتجردان عما ربط به كل منهما: من الطرائق الملتزمة، والأنظار غير المسلَّمة، فابتدأ في الجامع العمري ببيروت يعقد مجلساً

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٧٣.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٧٤.

للتفسير، ثلاث ليال في الأسبوع، لا يتبع فيه الطريقة الملتزمة يومئذ من الاعتماد على كتاب يقرر كلامه ويدور البحث حول مسائله وعباراته، ولكنه كان يقرأ الآية من القرآن ويفيض في شرح معانيها، واستخراج أسرار حكمتها، على طريقة لم يسبق إليها، ويلتفت على نور تلك الحكمة القرآنية، إلى أحوال المسلمين وأوضاعهم مبيناً فسادها بالمقارنة، ومستمداً من الهدى القرآني ما يوضح ضررها، ويشير إلى ما يدفع خطرها[(١)].

وعاود درس تفسير القرآن العظيم بالجامع الأزهر أوائل سنة ١٣١٧هـ فاستمر على ذلك الدرس ست سنين بطريقته العجيبة، وكان تلميذه السيد **محمد رشيد رضا** يلخص تلك الدروس، وينشرها في مجلته الإسلامية الكبرى: مجلة المنار، ولذلك اشتهر التفسير باسم (**تفسير المنار**)[(٢)]. فالتفسير المسمى بـ" تفسير المنار "يقوم في حقيقة أمره على **ثلاثة رجال**: أولهم السيد **جمال الدين الأفغاني** الذي انقدحت عن فكره نظرية وجوب إصلاح المجتمع الإسلامي، برجوع المسلمين إلى منبع الدين وتلقيه من هنالك صافياً مبرأ عما اتصل به من الشوائب، والرجل الثاني، من الثلاثة الذين قام على كاهلهم تفسير المنار، هو الشيخ **محمد عبده** الذي باشر فعلاً تفسير القرآن العظيم على طريقة تطبيق النظرية التي دعا إليها السيد جمال الدين الأفغاني، وكان ذلك في الدروس التي قام بها الشيخ محمد عبده في بيروت،

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٧٥.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٧٧.

بين سنة ١٣٠١هـ وسنة ١٣٠٣هـ ثم الدروس التي قام بها في مصر في الست سنين الأخيرة من حياته: ما بين سنة ١٣١٧هـ وسنة ١٣٢٣هـ وتناولت من أول القرآن العظيم إلى نهاية الآية السادسة والعشرين بعد المائة من السورة الرابعة، سورة النساء: وهي قوله تعالى:"وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً" (النساء:١٢٦)، والرجل الثالث الذي تمت به سلسلة الثلاثة الذين يصح أن ينسب إليهم تفسير المنار هو أبو عذرته حقاً، وأعني به الشيخ **محمد رشيد رضا**، الذي كان الداعي للشيخ محمد عبده إلى أن يواصل، في مصر بجهد ذي بال، ما كان ابتدأ به في بيروت بجهد ضعيف، ثم كان هو المتولي لتقييد ما يمليه الشيخ محمد عبده وتلخيصه، ثم لنشره تباعاً في مجلته: مجلة المنار التي اشتهر التفسير باسمها، ثم كان الشيخ رشيد أخيراً هو المكمل للتفسير: بما يدرجه من عمله وبيانه أثناء تلخيص ما قرره الشيخ محمد عبده، وبما وصل به الكتاب من حيث انتهى الشيخ محمد عبده من تتمة التفسير استقلالاً بما كمل به المجلد الخامس وتتابعت عليه بقية المجلدات حتى المجلد الثاني عشر[١].

فكان درس التفسير الذي يلقيه محمد عبده سائراً على منهج الاعتناء بحاجة العصر وعدم التقيد بما هو موجود في كتب التفسير، وتدارك ما خلت منه من مرامي الحكمة الإسلامية الجديرة بالإبراز والتقرير. وكان رشيد رضا يكتب في أثناء الإلقاء مذكرات مقتضبة، ثم يعود إلى تبييضها

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٧٨-١٧٩.

وإعدادها بما في ذاكرته من الدرس، ولم يشرع في نشر الخلاصات التي يكتبها إلا بعد عام من الشروع في الدرس، وكان الشيخ عبده يطلع على ما سينشر، بعد التصفيف في المطبعة وقبل الإخراج فربما ينقح فيه بزيادة قليلة، أو حذف كلمة أو كلمات.

على أن صاحب المنار لم يكن يتحرى حكاية أو تلخيصاً لما يقوله الأستاذ الإمام، بل كان يكتب ما يجده في نفسه من إدراك لمعنى الآية بما ثار في فكره، أو انساق إليه علمه مما يوضح معنى الآية، ويحتفل لإيراد ما اختص ببيانه الأستاذ من المعاني المبتكرة المستجدة، فيعزو ذلك إليه صراحة، وكان الأستاذ الإمام يطلع على ذلك كله ويقره لما كان حياً[١].

ومنذ أن توفى الأستاذ الإمام، واستمرت مجلة المنار تنشر دروس التفسير التي كان ألقاها في حياته، أصبح التحرير واضحاً في التفرقة بين ما هو منقول عنه وبين ما هو من بيان الكاتب، ثم لما انتهى النشر إلى حيث أدركت الوفاة الأستاذ الإمام، استقل الشيخ رشيد بأعباء التفسير وحده فأكمل منه إلى نهاية الجزء الثاني عند قوله تعالى:"وَأَنَّ اللهَّ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ" (يوسف:٥٢)، فكان ما كتبه الشيخ رشيد، مستقلاً، أكثر من سبعة أجزاء، وما كتبه، اعتماداً على أستاذه واستمداداً منه، أقل من خمسة أجزاء فكان حظه في المجموع أغلب، وكان بانتساب هذا التفسير إليه أحق.

ويتابع الفاضل حديثه عن المنار فيقول: إن روح التفسير اختلفت في بعض

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٨٤.

عناصرها، بين ما كان يكتب منه في حياة الأستاذ الإمام، وما كتب بعده مما استقل به الشيخ رشيد. وذلك **الاختلاف يبدو جلياً في العنصر الذي يعبر عنه الشيخ رشيد بـ (الأثري)**. ولكن مع ما اختلف بين الطرفين في المنهج العلمي، فإن **الغاية بقيت متحدة، والروح بقيت متحدة كذلك**، بحيث إن (تفسير المنار) في جملته يعتبر تفسيراً ذا منهج مطرد، وأفكار متناسقة، وهذا المنهج المطرد قد يقع الاتجاه إليه من مسالك البحوث الأصلية النظرية، أحياناً، وقد يقع الاتجاه إليه من مسالك النقول الأثرية تارات أخرى[1]. وينتهي الفاضل إلى القول:"فبرزت من مجموع ذلك الوحدة التي جعلت من تفسير المنار مداد روح النهضة الإسلامية الحديثة وقوام التفكير الإسلامي المجدد، في هذا القرن الرابع عشر"[2].

المرحلة الثانية عشرة:الجمع المنظم بين طرق التعليم والوسائل والمقاصد:(التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور):

لم يتحدث الفاضل ابن عاشور عن تفسير والده الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، إذ توقف عند تفسير المنار، ويمكن عزو ذلك إلى **احتمال عدم اكتمال تفسير والده عند إتمامه كتابه** ومحاضراته عن "التفسير ورجاله"، رغم اطلاعه على تفسيره من خلاله حضوره دروس التفسير التي كان

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص١٨٧.

يلقيها والده، فلعله كان ينتظر اكتماله حتى يكتب عنه، **ولا ندري إن كان كتب عنه بشكل مستقل أو ملحق لم يطلع عليه**، ولا يمكن الجزم تاريخياً بهذا الاحتمال لأن **طبعات "التفسير ورجاله" لا تتضمن أي تاريخ للتأليف يمكن الاعتماد عليه في هذا المجال**، لكن معرفة كونه محاضرات ألقيت على الطلاب وأذيعت في الإذاعة يشير إلى امتداد فترة تأليفه، وغياب ذكر تفسير والده أو الإشارة إليه من قريب أو بعيد يرجح تقدم إعداده زمنياً، لكنه لا يعني بحال غياب تصوره لما يقوم به والده من عمل موسوعي في التفسير كان يتابعه، فقد كان واعياً بدقة رؤية والده ومعايشاً لمنهجه في التفسير، وكأنه يرى أن لا يتحدث عنه إلا بعد اكتماله ليأخذ حقه بالتعريف.

ويمكن استخلاص تصوره حول تفسير والده من خلال ملاحظاته على تاريخ علم التفسير وأنساقه العلمية وتنزلاتها الحضارية، فمن ذلك:

- إشارة الفاضل ابن عاشور إلى **الطريقة المغربية والطريقة الأعجمية في التفسير**، من خلال حديثه عن سلسلتين: مشرقية لاقت اشتهاراً واسعاً تعتمد الطريقة الأعجمية تطورت مع الزمن (الطبري، الزمخشري، الرازي، البيضاوي، أبو السعود، الألوسي)، وسلسلة مغربية لم تلق حظها وأعاد الاعتبار لها في التأريخ لعلم التفسير كانت تناظر الأخرى وذكر منها: (ابن سلام، ابن عطية، ابن عرفة)، مع ملاحظته شهرة وانتشار الطريقة الأعجمية في الغرب الإسلامي، وتوفر مخطوطات مؤلفي الطريقة المغربية في تونس بالخصوص، فضلاً عن كونهم عاشوا فيها أو من أبنائها، **هذان**

المساران كان لهما التقاء في تفسير التحرير والتنوير.

- إشارة الفاضل إلى **توطن الفكر الإصلاحي في تونس وأصالته فيه،** وتواصل هذا الفكر مع الحركة الإصلاحية المشرقية، والتي تجلت باللقاء بين والده الطاهر والشيخ محمد عبده عند زيارته لتونس، وقد أرخ الفاضل للحركة الإصلاحية في تونس في محاضراته عن "الحركة الأدبية والفكرية في تونس" وغيره من الكتب، وبالتالي لم تكن إشادة الفاضل ابن عاشور بالأثر العلمي بالخصوص للحركة الإصلاحية التي قادها الأفغاني على التفسير[1] إلا في سياق وعيه بمسار علمي ترك أثره في حركة علم التفسير في العصر الحديث، ولا شك أن إشادته بالحركة الإصلاحية في سياقها العام والتونسي بشكل خاص، يستتبع **اعتباره تفسير والده من المستفيدين من هذا الحراك الإصلاحي.**

- لا يخفى على الفاضل جهود والده في **إصلاح التعليم عموماً** والزيتوني خصوصاً، من خلال كتابه: "أليس الصبح بقريب؟"[2]، بل إنه عايش هذا الإصلاح ومعاناته، بل كان واحداً من مطبقيه من خلال عمادته للكلية الزيتونية، ولم يغب عن كتابه "التفسير ورجاله" الصلة بين طرق التعليم ومناهج التفسير، وبالتالي **فلن تغيب هذه الرؤية عن تفسير والده.**

---

(١) نلحظ تحفظ الفاضل ابن عاشور في كتابه عن التعليق بصواب أو خطأ على حركة جمال الدين الأفغاني عموماً، انظر: الفاضل ابن عاشور، "التفسير ورجاله"، م.س، ص١٦٧.

(٢) صدرت طبعة حديثة للكتاب (٢٠٠٩) عن دار الملتقى بحلب، بتحقيق وشرح الدكتور محمد الطاهر الميساوي.

- تحدث الفاضل عن جهد والده الطاهر في مجال علم المقاصد، (في محاضرة مسجلة)، **ولم تكن مقاصد الشريعة معزولة عن منظور ابن عاشور في التفسير**[1]، حيث نلمس تطبيقات لذلك في تفسيره، وبالتالي فجانب المقاصد سيكون حاضراً في تقييم الفاضل لتفسير والده.

وبناء على هذه المعطيات يمكن اعتبار **محطة تفسير التحرير والتنوير** – من منظور الفاضل ابن عاشور - **هي الجامعة لما سبق من اتجاهات في التفسير والمكملة لها،** من حيث الجمع بين الطريقة المغربية والأعجمية في التأليف والتعليم، والبحث عن الحكمة القرآنية من خلال مقاصد الشريعة، والجمع بين تاريخ العلم وصلته بالحاضر من خلال البعد الإصلاحي في فكر ابن عاشور، ولعل اختياره "التحرير والتنوير" اسماً للتفسير خير معبر عن هذا التوجه وهذه الإضافة.

ثالثاً-المراجعات العلمية:

رؤى نقدية في "التفسير ورجاله"

نخصص هذا القسم الثالث من البحث لإلقاء الضوء على بعض الرؤى النقدية المهمة التي سجلها الفاضل في كتابه، أو الجوانب المنهجية التي يمكن لحظها في عمله، أو تلك القضايا التي يمكن استدراكها عليه،

---

(١) انظر:سامر رشواني، "الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور"، بحث منشور في مجلة "إسلامية المعرفة"، العدد:٢٣، شتاء ٢٠٠٠.

وبذلك تكتمل الصورة التي يجليها متن "التفسير ورجاله"، ويكون هذا القسم بمثابة الخلاصة، التي تتمحور في العناوين التالية:

- **تحرير فهم القرآن من التفاسير الدخيلة الحافة به:**
- **البعد الحضاري في قراءة العلم وتاريخه:**
- **البعد المنهجي في كتابه:**
- **معيار من اختارهم من المفسرين:**
- **أقدم من ألف في التفسير، وأقدم ما وصل إلينا من التفاسير:**

١ -تحرير فهم القرآن من التفاسير الدخيلة الحافة به:

سيطر وهيمن على تاريخ علم التفسير ومناهجه "التفسير بالمأثور" بما يشتمله هذا العنوان من توسع يشمل الصحيح والسقيم من التفاسير، وقد تمدد هذا المفهوم تاريخياً وأصبح يغطي مساحة تشمل السنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، وربما تابعي التابعين، مع استمرار ما يحمله هذا التعبير بشموليته من سلطة معنوية على المفسر، رغم الإقرار العلمي بفوارق واسعة بين مختلف المستويات، لكن الفاضل ابن عاشور قد عالج هذه المسألة بإحكام شديد من نواح عدة[١]:

الأولى: ضبط المصطلح، وذلك بحصر التفسير بالمأثور، بموضوعين هما: "أسباب النزول" و"مبهمات القرآن".

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٥ وما بعدها.

الثانية:اعتبار هذا المأثور شعبة مستقلة من الحديث، **تخضع لقواعد النقد للأخبار**، وقد أفرد للإمام البخاري محطة في سلسلة علم التفسير لمكانته في نقد الأخبار.

الثالثة:**اعتبار أقوال الصحابة** المستندة إلى اللغة والشعر أو أخبار أهل الكتاب **من قبيل الرأي**.

الرابعة:**ربط المعنى بتركيب النص**، فضبط طبيعة الحاجة إلى المأثور – لاسيما ما يتعلق بمناسبات النزول – بأنها للاستعانة بذلك على استيضاح المعاني المقصودة من التركيب **استعانة فقط**، لأن **للتراكيب دلالاتها الذاتية**[١].

الخامسة: **بيان أثر** الاعتماد على **الإعراب** في اقتلاع كثير مما علق بالتفسير المأثور من الأخبار الواهية، أو الدعاوى التي لا بينات عليها.

٢-البعد الحضاري في قراءة العلم وتاريخه:

مما تميز به كتاب "التفسير ورجاله" أنه ليس كتاب تاريخ علم فقط، أو تراجم رجال علم التفسير، إنما يحمل بعداً حضارياً **يجلِّي مسار المعرفة في الحضارة الإسلامية**، من خلال نموذج علم التفسير، ولم يتمكن من هذا البعد إلا لكونه مؤرخاً مهتماً بالبعد الحضاري[٢]، قبل أن يكون مؤرخاً للعلم أو العلماء، ففي قراءته، تمكن من الكشف في كتابه عن عدة معطيات

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٢٠-٢٢

(٢) نشير في هذا المجال إلى رسالة له بعنوان:"روح الحضارة الإسلامية"وأبحاثه الأخرى المتصلة بالحضارة.

حـضارية، لعـل أبرزهـا **المقارنـة بـين الوحـدات الإقليميـة في الحـضارة الإسلامية، مع إلمامه بالجغرافيا الطبيعية والعلمية**، فكتابه الـذي لم يتجاوز إحدى وثلاثين ألف كلمة تضمن ذكر أكثر من مئة وعشرين موقعاً جغرافياً، تواتر منها بالخصوص مناطق النفوذ العلمي، لاسيما المشرق والمغرب، حيث كان يحمل **هاجس إبراز حق من هضم حقه من العلماء**، لاسيما أبناء بلاده تونس، ومن أقام فيها، لذلك كان له الفضل في الكشف عن مكانة ابن سلام وابن عرفة، وكذلك مكانة ابن عطية من خلال المقارنة الدقيقة بينه وبين الزمخشري، حيث انتهى من المقارنة إلى ترجيح عدم تأثر ابن عطية بالزمخشري[1].

ومن ناحية أخرى أبرز كتابه **أنساق التأليف والتعليم عبر التاريخ والمؤثرات فيها**، فتتبع مسار **الطريقة الأعجمية** في التأليف والتعليم والتي استقرت مع أبي السعود، في مقابل **الطريقة المغربية** في التعليم والتأليف والتي تميز بها ابن عرفة، ولم يغفل عن **أثر المدارس الإسلامية في تطور العلم** سواء بالعمل به كجهد المعتزلة في التفسير النظري والإعجاز، أو تحفيز ذلك لدى الآخرين كالتنافس العلمي الذي فرضته جهود الشيعة والمتصوفة في العراق والتي نافست السنية الأشعرية، فبرز الألوسي في أتون ذلك التنافس.

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٦٠ وما بعدها.

٣-البعد المنهجي في كتابه:

- ما يتعلق بصياغة الكتاب: من يقرأ الكتاب يشعر أنه يقرأ قطعة أدبية محكمة، لما في صياغته من ضبط في التعبير وإيجاز يقود القارئ إلى المقصود بأوجز وأجمل عبارة، ويمكن أن يفهم هذا الأسلوب – فضلاً عن مُكنَة المؤلف في اللغة والخطابة والفصاحة- إذا لاحظنا كون الكتاب إنما هو مجموعة محاضرات ألقيت على الطلبة على مدار ثلاث سنوات وألقيت في مسامرات إذاعية، فصياغته كأنها هي الصياغة التي ألقيت في الإذاعة، بما تكتنزه عبارتها من معان، ولعل هذا يفسر غياب التفقير والترتيب المدرسي في الكتاب، أو فصل بعض العناوين المتصلة ببعضها إلى عناوين مستقلة رغم ترابطها مع بعضها، بحيث يناسب كل عنوان موضوع محاضرة أو لقاء مستقل، فمثلاً فصل الحديث عن الإمام الرازي عن الحديث عن تفسيره، عن الحديث عن نسبة الكتاب إليه، وكذلك ما يتعلق بالألوسي وتفسيره، وكذلك حركة الإصلاح وتفسير المنار.

-ما يتعلق بمصادر الكتاب: لم يذكر الفاضل ابن عاشور مصادر يحيل عليها المعلومات التي سجلها وحيث يحيل إلى مصدر اقتبس منه يذكره داخل النص، أو ينسب القول إلى القائل، ولعل ما يبرر ذلك منهجية عصره في التأليف، وطبيعة الصياغة المعدة للإلقاء أو التدريس، والأهم طبيعة الموضوع الذي يقدم فيه ملاحظات يسجلها على معلومات هي من القضايا المشتهرة بين المختصين، وإضافته فيها هي نتيجة خبرته العلمية ومتابعته وقراءاته، والتي نلمسها بوضوح من خلال ما يسجله من ملاحظات

يستدرك بها على السابقين، فمثلاً يسجل بعض الملاحظات حول ترجمة الرازي لا توجد في كتب التراجم استخلصها من قراءة تفسيره، ويبدو أنه قرأه كاملاً وبنى آراءه حول تفسيره من خلال قراءته، كما كان له اطلاع واسع على المخطوطات، فاستفاد من مكتبة والده، واستطاع من خلال تمكنه من هذه المخطوطات أن يعرِّف بجوانب من تاريخ علم التفسير فاتت الآخرين، فمن ذلك اطلاعه على مخطوطات تفسير ابن سلام، ومخطوطات تفسير ابن عرفة، وتعريفه بالتفسيرين من خلال معرفته بمخطوطاتهما، على أن بعض المصادر ربما لم يتمكن من الاطلاع عليها، لكونها لم تطبع في حياته أو طبعت في المشرق ولم تطبع في المغرب، ما أدى إلى إغفاله بعض المحطات المهمة في تاريخ التفسير، مما سنشير إليه.

٤ – معيار من اختارهم من المفسرين:

لا يخفى على قارئ الكتاب أن مؤلفه لم يقصد الشمول أو التوسع، وأنه حرص على الإيجاز والتحقيب الزمني لعلم التفسير، لكنه لم يفصح عن معيار ما انتقاه من تفاسير لتعتبر منارات في تاريخ هذا العلم، لاسيما أن ثمة تفاسير لا تقل أهمية أحياناً لم يقف عندها، لذلك يمكن أن نستخلص بعض الاعتبارات التي اختار على أساسها:

- ركز الفاضل فيما اختاره على **المشهور من التفاسير ذات الأثر العلمي** (كالطبري والزمخشري والرازي والبيضاوي) **أو المغمور من التفاسير الذي لم يعط حقه ومكانته** (كابن سلام وابن عرفة).

- اختار الفاضل من التفاسير **ما يشكل إضافة في مسار مركزي لعلم التفسير، ويسجل إضافة تراكمية في حلقة مستقرة من التأليف فيه،** ويمكن لحظ ذلك من خلال الربط بين كل حلقة والتي قبلها، وقد لاحظ في مسار التأليف وجود نسقين الأول يعتمد الطريقة الأعجمية، والثاني يعتمد الطريقة المغربية، لكن النسق الثاني لم يكن واضح السلسلة أو الانتشار كالطريقة الأخرى، رغم توفر مصادر يمكن إكمال النسق من خلالها.
- **أغفل ابن عاشور التفاسير غير الشاملة** والمختصة بجوانب من علم التفسير كالتفسير الفقهي، والتفسير اللغوي، وغيرها من الفروع.
- **أغفل الفاضل كتب الفرق الإسلامية** ولم يذكرها (سوى الكشاف) رغم إشارته إلى أثرها في دفع نسق التفسير السني الأشعري.

وإذا أخذنا بالاعتبار هذه المعايير، فإن **تفاسير مهمة كان ينبغي أن يتطرق إليها** وبعضها مما كان متوفراً بل يكمل نسق ما كتبه أو تطرق إليه، **ويستغرب أنه لم يذكرها،** فأغفل الإمام **القرطبي** (ت:٦٧١هـ) وكتابه "الجامع لأحكام القرآن"، وهو من الكتب التي اطلع عليها، كما أغفل كتاب "البحر المحيط" **لأبي حيان** (ت:٧٤٥هـ)، وهو أيضاً من المحطات المهمة في التفسير، وكلاهما ينتمي إلى النسق المغربي الذي حرص على إبرازه، والذي بدا مبتوراً في كتابه.

٥-أقدم من ألف في التفسير، وأقدم ما وصل إلينا من التفاسير:

أشرنا سابقاً إلى أن الفاضل يتابع والده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في التأريخ لبدايات عصر التدوين في علم التفسير، فيعتبران أن أول شخصية أدخلت التفسير ميدان التدوين هو عبد الملك بن جريج(١٤٩هـ)[١]، ويعتبر الفاضل أن تفسير ابن سلام (٢٠٠هـ) "أقدم التفاسير الموجودة على الإطلاق"[٢]، لكن دراسات الباحثين أكدت خلاف هذين الحكمين، اللذين يبدو أنهما صدرا في ضوء معطيات عصر ابن عاشور، فقد أثبتت الدراسات والوثائق خلاف ذلك.

فقد حقق تفسير مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) وطبع وأصبح متداولاً[٣]، فأصبح أقدم ما وصل إلينا، وهو أقدم من تفسير يحيى بن سلام، وبالتالي فقول الفاضل عن تفسير ابن سلام بأنه أقدم التفاسير الموجودة على الإطلاق فيه شيء من التوسع، ولعل ذلك الحكم في ضوء ما اطلع عليه من فهارس المخطوطات.

أما أن ابن جريج هو أول من دوَّن في علم التفسير، وهو معاصر لمقاتل

---

(١) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٠-٣١، وقد عرض الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لذلك في المقدمة الأولى من تفسيره.

(٢) انظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، م.س، ص٣٧-٣٨

(٣) حقق الكتاب الدكتور عبد الله شحاته، وطبع أكثر من طبعة، صدرت آخرها عن دار الكتب العلمية بيروت٢٠٠٥، وأصبح متوفراً على الانترنت من خلال موقع "http://www.altafsir.com" .

ولادة ووفاة، فقد تعقَّب هذه الفرضية بعض الباحثين، ولاحظ أن ابن جريج نشأ بالحجاز، ويقال:إنه أول من صنف الكتب بالحجاز، أما مقاتل فنشأ بخراسان، كما لا حظ أن ابن جريج لم يطلب العلم إلا في الكهولة، وأما مقاتل فقد دوَّن تفسيره في شرخ الشباب، وبالتالي **يرجح أن تفسير مقاتل هو أسبق بالتدوين**، ويقارن بينهما من ناحية أخرى أن **عمل ابن جريج هو الجمع للأخبار فقط**، بينما **يتميز عمل مقاتل بالتأليف الفني والتوفيق بين الآيات وتمحيص الأقوال**، فكل من سبق مقاتلاً كانوا رواةً للتفسير، وحتى ما دون منها يغلب عليه النقل والأثر، أما تفسير مقاتل فهو أول تفسير كامل لكامل آيات القرآن، كما أنه أول تفسير فني يشرح كل آية في تفسيره ويوضحها[١].

فلعل ابن عاشور (الطاهر والفاضل) اعتمدا في النسبة لابن جريج على ما شاع عنه في التاريخ أنه أول من صنف في الحجاز، وأما دعوى أن تفسير ابن سلام أقدم ما وصل فذلك مقيد بما وصل إليه علمه في عصره.

(١) انظر: عبد الله محمود شحاته، تقديم تحقيقه كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن" لمقاتل بن سليمان البلخي، ط:٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٤، ص٧٥-٧٦.

الخاتمة:

لئن أرَّخ العلامة الفاضل ابن عاشور لتاريخ علم التفسير، وسجل المحطات المهمة لمسيرة هذا العلم تاريخياً وحضارياً، ضمن كتابه "التفسير ورجاله"، فإن كتابه على صغر حجمه يعتبر محطة مهمة في التأريخ لهذا العلم، بل **يمكن اعتباره المؤسس للدرس النقدي لمناهج المفسرين**، إذ قدم من خلاله نموذجاً في قراءة تاريخ العلوم والعوامل المؤثرة في تطورها، فالتفسير كما يقدمه الفاضل لا ينفصل في حركته التاريخية عن الأنساق المعرفية التي مرت بها الحضارة الإسلامية، بل والظروف السياسية التي تركت أثرها في الحراك العلمي سلباً أو إيجاباً، كما لا ينفصل عن الأبعاد الاجتماعية التي تفرض على المفسر مراعاة بعض الجوانب منها، لانسياق المفسر فيها أو لصعوبة تجاوزها.

وإذ يقرأ الفاضل ابن عاشور مسيرة علم التفسير فإنما يسلط بقراءته مجهراً يكشف مساحة أوسع بكثير من علم التفسير، تمتد إلى المنطقة الجغرافية التي يتناولها في كل مرحلة وخصائصها العلمية وأدوارها الحضارية، كما تكشف عن الجوانب الشكلية التي فرضت نفسها في صياغة المعرفة وتعليمها، وتاريخ تلك المنهجيات.

هذه الجوانب في كتاب "التفسير ورجاله" تفتح أفقاً للباحثين لرصد وتأريخ مختلف العلوم الإسلامية وفق هذه المنهجية النقدية، وقد كان للعلامة الفاضل مقاربات أخرى في مجال علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة، ولعله في هذا المجال كان يحمل بذور مشروع قراءة حضارية

لحركة العلوم الإسلامية لم يسمح قصر أجله بإتمامه، ولا تستغرب هذه الرؤية لدى الشيخ الفاضل وقد تربى في بيت الشيخ الطاهر، والذي كانت له رؤية مهمة في تاريخ العلوم ومساراتها، فتكون مقاربة "التفسير ورجاله" من هذه الزاوية إسهاماً مهماً ولبنة أساسية تضاف إلى ما طرحه والده من رؤى في هذا المجال.

ثبت المصادر والمراجع

- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط: دار العلم للملايين- بيروت ١٩٨٠.
- سامر رشواني، **الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور**، بحث منشور في مجلة "إسلامية المعرفة"، العدد:٢٣، شتاء ٢٠٠٠.
- سيد أحمد الإمام بن خطري، **منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه "الصحيح"**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.
- عبادة بن أيوب الكبيسي، **شبهات حول تفسير الرازي:عرض ومناقشة**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي، العدد:١٦-١٩٩٨.
- عبد الرحمن حللي، «**التفسير المأثور**» **الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم**، صحيفة الحياة/ لندن ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٩.
- عبد الله محمود شحاته، **تقديم تحقيقه كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن" لمقاتل بن سليمان البلخي**، ط:٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٤.
- الفاضل ابن عاشور، **التفسير ورجاله**، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس مع دار السلام بالقاهرة عام ٢٠٠٨، وتتضمن تقديماً للشيخ عبد الحليم محمود وتقديماً وتذييلاً للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة.
- **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ط:جامعة الدول العربية، ١٩٥٦.
- **روح الحضارة الإسلامية**، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢.
- محسن عبد الحميد، **الرازي مفسراً**، ط:دار الحرية- بغداد ١٩٧٤.
- محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، المقدمة الأولى،

ط:الدار التونسية للنشر ١٩٨٤.

- **أليس الصبح بقريب؟**، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الطاهر الميساوي، دار الملتقى بحلب ٢٠٠٩.
- محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، د.ط، د.ت.
- محمد رجب البيومي، **محمد الفاضل ابن عاشور:بحَّاثة ذو رسالة، وكاتب ذو بيان**، نشر في طبعة التفسير ورجاله التي صدرت هدية من مجلة الأزهر في شهري جمادى الآخرة ورجب لسنة ١٤٢٥هـ.
- محمود شمام وآخرون، **الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ومسيرة التحرير والتنوير**، أعمال ندوة نشرت ضمن سلسلة آفاق إسلامية، من إصدار وزارة الشؤون الدينية بتونس، سبتمبر١٩٩٢م.
- مقاتل بن سليمان، **التفسير الكبير**، تحقيق الدكتور عبد الله شحاته، دار الكتب العلمية- بيروت٢٠٠٥.